وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية
قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية في بغداد في القرن السابع الهجري

أطروحة تقدمت بها

إيناس عماد عبد المنعم حسين

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بأشراف

الأستاذ الدكتور رشيد عبد الله صالح ألجميلي

1427هـ 2006م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۞ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞

صدق الله العظيم

سورة الحجرات آية : 13

إقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الأطروحة المعنونة بـــ((الحياة الاجتماعية في بغداد في القرن الســـابع الهجري)) التي تقدمت بها الطالبة ((إيناس عماد عبد المنعم)) قد جرت تحت أشرافي في قسم التاريخ / كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي.

التوقيع :

الأستاذ الدكتور
رشيد عبد الله صالح ألجميلي
التاريخ : / /2006

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة :

التوقيع :

رئيس قسم التاريخ
رئيس لجنة الدراسات العليا
التاريخ : / /2006

أقرار لجنة المناقشة

نحن أعضـــاء لجنة المناقشـــة , اطلعنا على الأطروحة المعنونة ((**الحياة الاجتماعية في بغداد في القرن السابع الهجري**))والمقدمة من الطالبة(**إيناس عماد عبد المنعم**) ، وقد ناقشـــنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسـلامي بتقدير ( ).

التوقيع :	التوقيع :
الاسم :	الاسم :
التاريخ :	التاريخ :
رئيسا	عضوا

التوقيع :	التوقيع :
الاسم :	الاسم :
التاريخ :	التاريخ :
عضوا	عضوا

التوقيع :	التوقيع :
الاسم :	الاسم :
التاريخ :	التاريخ :
عضوا	عضوا ومشرفا

صدقت الأطروحة من مجلس كلية التربية – الجامعة المستنصرية

التوقيع :
الاسم :
التاريخ :
عميد كلية التربية

الإهداء

إلى معلم الحياة الإنســـانية رســـولنا الكريم ، قدوتنا وشـــفيعنا نبي الرحمة محمد((صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين))

إلى والدي ووالدتي

...إجلالا واحترامـا

...

إلى أخواتـــــي

... حبا وأكراماً ...

إلى كل من تمنى لي الخير ...

اهدي جهدي المتواضع

فهرست محتويات الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

شهدت بغداد عاصمة الخلافة العباسية أحداثا مهمة خلال القرن السابع الهجري / الثاني عشر الميلادي ، اذ عاصرت المدينة حقبتين مميزتين أولهما حقبة ما قبل الغزو المغولي لها ، يوم كانت عاصمة للدولة العباسية وثانيها حقبة ما بعد الغزو الذي وضع نهاية الدولة العباسية التي عاشت أكثر من خمسة قرون ، وبعد أن كانت بغداد عاصمة للخلافة العباسية والدولة العربية الإسلامية أصبحت مدينة ثانوية تابعة لحكم السلطان المغولي .

هذا وقد كتب المؤرخون والباحثون عن الأوضاع السياسية التي مرت بها بغداد في تلك الحقبة ، إلا أنهم لم يهتموا بدراسة الجوانب الاجتماعية رغم أهميتها البالغة من حيث ارتباطها بالجوانب السياسية من جهة وكونها تعكس مدى تقدم المجتمع وما وصل أليه من استقرار ورخاء من جهة أخرى فقد انصب جل اهتمامهم على دراسة الجوانب السياسية فضلا عن الجوانب الحضارية التي تتناول النظم والمؤسسات والمسائل الفكرية والعقائدية.

ولا شك أن دراسة الحياة الاجتماعية في أي عصر من العصور الإسلامية تعد من أصعب الموضوعات وأشقها نظرا لتركيز المصادر التاريخية على تناول الأحداث السياسية وخاصة تواريخ الخلفاء ، هذا فضلا عن شحه المعلومات في هذه المصادر عن الحياة الاجتماعية إلا انه عمدنا إلى الاستعانة بمصادر المعرفة الأخرى وان كانت أشتاتا لنستخلص منها مضافا إلى المعلومات الواردة في تلك المصادر التاريخية ، بغية أغناء بحثنا ببعض مضامين الحياة الاجتماعية ولإلقاء نظرة عن طبيعة المجتمع البغدادي في تلك الحقبة موضوع البحث.

لقد قسمت هذه الدراسة على أربعة فصول . تناول الفصل الأول منها دراسة الأوضاع السياسية في المجتمع البغدادي في القرن السابع الهجري اذ تتداخل الجوانب الاجتماعية بالجوانب السياسية ، فمن خلالها نستطيع أن نرسم صورة واضحة لأحوال المجتمع البغدادي وعلاقته بالسلطة الحاكمة آنذاك ، فكان لا بد من معرفة سياسة خلفاء العصر العباسي الأخير تجاه أفراد المجتمع وهذا ما يبرز من خلال أعطاء صورة واضحة عن عصر كل خليفة وأعماله إزاء مجتمعه أو رعيته . وهذا ما حاولت دراسته في المبحث الأول من الفصل الأول.

أما المبحث الثاني من الفصل الأول فقد تطرقت إلى دراسة الأوضاع السياسية في بغداد بعد سقوط الخلافة العباسية وما حل بالمدينة من خراب على يد الغزاة المغول . كما تطرق المبحث إلى دراسة الحالة السياسية في مدينة بغداد وما آلت أليه الأوضاع بعد قدوم حكام المغول وموظفيهم لإدارة المدينة.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة طبيعة المجتمع البغدادي خلال القرن السابع الهجري وقد قسم الفصل على ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول دراسة العناصر الجنسية أو العرقية في المجتمع البغدادي من العرب والأتراك والفرس.

أما المبحث الثاني فتطرقت إلى دراسة المكونات الدينية وهم المسلمون واليهود والنصارى. أما المبحث الثالث فقد خصص لدراسة فئات المجتمع البغدادي وهم الأشراف والقضاة والفقهاء والمحتسب والتجار وأرباب الحرف والصناع والعامة.

وكرس الفصل الثالث لدراسة الحياة الاجتماعية للأسرة البغدادية وقد قسمت الفصل على ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول دراسة العلاقات الاجتماعية فتحدثت عن العائلة ، ومكانة المرأة في البيت والزواج ، والأطفال ، والطلاق ، وتحدثت عن المرأة وأثرها في المجتمع البغدادي.

أما المبحث الثاني من الفصل الثالث فقد خصص لدراسة الأحوال الاجتماعية فتحدثت عن الطعام ، والملابس وأنواعها ، وأدوات الزينة ، والسوق ومستوى المعيشة الذي تضمن الحديث عن النظام النقدي المتداول نهاية العصر العباسي وبداية العهد الايلخاني ، كذلك تحدثت عن مستوى أسعار السلع أواخر العصر العباسي ، فضلا عن دخل فئات المجتمع البغدادي أما المبحث الثالث فقد خصص لدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع البغدادي فتحدثت عن عادات أهل بغداد في الأفراح والمآتم ، كذلك تصديقهم للخرافات والأساطير ، وعاداتهم في الأحلام والرؤيا ، والتفاؤل أو (الفأل) ، التبرك ، و عاداتهم في تشييع الموتى . كذلك عاداتهم في التهاني والتعازي ، وعادات أهل بغداد في يوم عاشوراء ، وعاداتهم في دفن الموتى قرب الأضرحة الشريفة ، ونثر الذهب والفضة ، وعادة رمي التراب.

أما الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة فقد خصص لدراسة المظاهر الاجتماعية في المجتمع البغدادي ، وقد قسمت الفصل على ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول الحديث عن الأعياد والاحتفالات الدينية والرسمية والأسرية وتطرقت في المبحث الثاني في الحديث عن وسائل التسلية مثل (الألعاب الرياضية كالفروسية واللعب بالبندق والصيد والسعي ((العدو)) واللعب بالحيوانات) . كذلك تطرقت إلى

دراسة المجالس الاجتماعية التي تضمنت مجالس الوعظ ومجالس القصص ومجالس الأحاديث ومجالس الخمر والمجون أما المبحث الثالث فقد تضمن الحديث عن المؤسسات الاجتماعية فتطرقت للحديث عن المساجد والدور والحمامات والمدارس والبيمارستان.

وهذه الدراسة شانها شان غيرها من الدراسات الأكاديمية اعتمدت على عدد كبير من المصادر والمراجع والبحوث التي توزعت على ميادين مختلفة في التاريخ العام ، والتاريخ المحلي أو في التراجم والسيرة أو كتب الجغرافية وأدب الرحلات فضلا عن المراجع الحديثة وفيما يلي عرض وتحليل موجز لأهم المصادر والمراجع التي كان لها اثر واضح في إعداد هذه الأطروحة ، فمن أهم المصادر كتب التاريخ العامة ويأتي في مقدمتها كتاب " المنتظم " لابن الجوزي (ت 597هـ) الذي اشتمل على معلومات متنوعة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، لذا تجلت الفائدة منه في معظم فصول الأطروحة ، وكتاب " مضمار الحقائق وسر الخلائق " للأيوبي (ت617هـ) الذي رتب فيه الحوادث بحسب التسلسل الزمني ، ومن الجدير بالذكر أن هذا المصدر لم يصل منه إلا الجزء الذي يشمل على حوادث السنين المحصورة بين(575 – 582 هـ) ، وقد أفدت منه بصورة واضحة في الفصل الأول.

أما كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير (ت630 هـ) فلا شك في كونه موسوعة في التاريخ الإسلامي ، وقد أفدت منه كثيرا في الفصل الأول أيضا ، وكذلك كتاب " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " لسبط ابن الجوزي (ت654هـ) الذي يعد من المصادر المهمة في التاريخ الإسلامي . إذ تبرز أهميته لاحتوائه على معلومات قيمة مرتبة زمنيا ، وقد كانت الفائدة منه قيمة جدا لكونه من المعاصرين للأحداث وخصوصا في الفصل الأول من الأطروحة ومن أهم الكتب التي جمعت بين التاريخ العام والاهتمام بسير الأشخاص الجزء المتوفر من كتاب " الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير " للمؤرخ الكبير أبن الساعي (ت 674هـ) فهو وأن لم يتضمن سوى تاريخ سنوات معدودة (595- 606هـ) ألا أنه تميز بالمعاصرة والدقة في المعلومات ، وقد أخذت منه في اغلب فصول الأطروحة ، ومن كتب التاريخ العام أيضا كتاب " الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية " لأبن الطقطقى (ت 709هـ) ، " وخلاصة الذهب المسبوك " للأربلي (ت 717هـ) ، و " العسجد المسبوك " للأشرف الغساني (ت 812هـ) أما كتاب " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة " لمؤلف بغدادي مجهول ، وقد نسب خطأ لأبن الفوطي ، فقد كانت معلوماته قيمة جدا لكونه معاصرا للأحداث ، حافلا بحوادث مهمة عن تاريخ العراق في القرن السابع الهجري ، لذا جاءت الفائدة منه في معظم فصول الأطروحة.

أما كتب التاريخ المحلي التي اشتملت على معلومات قيمة مفيدة لهذا البحث كتاب " ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد " للمؤرخ أبن الدبيثي (ت 637هـ) وكتاب " التاريخ المجدد لمدينة السلام " لأبن النجار (ت 643هـ) ، ومن الكتب المهمة التي لا يستطيع أي باحث في تاريخ العصر العباسي الاخير أن يستغني عنها كتاب " تلخيص

مجمع الآداب في معجم الألقاب " لأبن الفــوطي (ت723هـ) الذي امتاز بشمولية ترجمة الأشخاص ووفياتهم على اختلاف طبقاتهم.
ومن المصــادر الأخرى التي أفادت منها هذه الدراســة ، كتب الطبقات والتراجم والسير على اختلافهم ، وفي مقدمتها, معجم الأدباء لياقوت الحموي(ت626هـ) ، " وتاريخ الحكماء " للقفطي (ت646هـ) ، " وعيون الأنباء في طبقات الأطباء " لأبن أبي أصيبعة (ت668هـ) ، وكتاب " وفيات الأعيان " لأبن خلكان(ت681هـ) ، و" سير أعلام النبلاء " للذهبي (ت748هــ) وكتاب " الوافي بالوفيات " للصفدي (ت764هــ) ، و " فوات الوفيات " لأبن شاكر الكتبي (ت764هــ) ، و" منتخب المختار المذيل به على تاريخ أبن النجار " لأبن رافع الســلامي (ت774هــــ) ، وغيرها من المصادر .
أما كتب الرحلات فمنها كتاب " رحلة أبن جبير " لمحمد بن جبير الأندلســي (ت614 هـ) وكتاب " تحفة النظار " لابن بطوطة (ت 779 هـ) ، هذا فضلا عن كتب الجغرافية التي أغنت البحث بالمعلومات المختلفة ســواء كانت تختص بتســمية المدينة أم موقعها ومنها كتاب " معجم البلدان " لمؤلفه ياقوت الحموي
(ت 626 هـ) الذي يعد سجلا لكثير من المؤرخين الجغرافيين الذين جاءوا من بعده ومنهم ابن عبد الحق البغدادي (ت739هــ) وكتابه " مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ".
أما المصــادر التاريخية الفارســية المعنية بتاريخ المغول فيأتي في مقدمتها كتاب " جامع التواريخ " لرشيد الدين فضل الله الهمداني (ت718 هــ) الذي يعد من أفضل المؤلفات التاريخية في العهد الايلخاني لما ضـــم بين دفتيه من معلومات قيمة عن تاريخ المغول وسلاطينهم ، كتبه بالفارسية والعربية وطبع باللغة الأولى ، وترجم إلى العربية.
أما المراجع الحديثة التي أفادتني في دراســتي عن هذه الحقبة فيأتي بالدرجة الأولى كتاب " الحياة الفكرية في العراق في القرن الســابع الهجري " للأســتاذ الدكتور محمد مفيد ال ياســين , وكتاب " العراق في عهد المغول الأيلخانين للاســتاذ الدكتور جعفر حسين خصباك ، وكتاب " الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير " للدكتور محمد صالح القزاز وكتاب " تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير " و" العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري " للأســـتاذ الدكتور بدري محمد فهد , هذا فضلا عن المراجع الأخرى المثبتة في قائمة المصادر
والمراجع والرسائل الجامعية والمجلات والبحوث المنشورة التي أمدت الأطروحة بالشئ الكثير.
وأخيرا فان الكمال لله ســبحانه وتعالى وحده وان الخطأ والهفوات واردة في ثنايا الرســالة ، وان المناقشـــة هي التي تعدل وتقوم هذه الأمور والأخطاء لذا ارجو من قارئ الأطروحة ومتصــفحها أن يغفر لباحثتها هذه الهفوات راجية من الله أن يســدد خطانا ويبارك لنا في جهدنا المتواضع خدمة للعلم.

الفصل الأول

الحياة السياسية في بغداد في القرن السابع الهجري

المبحث الاول

أثر الحياة السياسية على المجتمع البغدادي في القرن السابع الهجري

تعد الحياة السـياسـية من أبرز العوامل التي تؤثر في حياة المجتمعات قديما وحديثا إذ أن استقرار الأوضـاع السـياسـية يؤدي إلى انصـراف الدولة إلى الإصـلاحات الاجتماعية والعناية بالمرافق العامة . وتحقيق رفاهية الشـعب الاجتماعية. كما إن الصـراع السـياسـي غالبا ما يؤدي إلى صـراع اجتماعي يفتت الوحدة الاجتماعية. ويبعثر جهود أبناء المجتمع الواحد ولذا فأن من المهم دراسـة السـياسـة الداخلية التي أنتهجها خلفاء العصـر العباسـي الأخير ومدى تأثيرها على حياة المجتمع البغدادي في ذلك العصر.

فقد شـهدت بغداد خلال العصـر العباسـي الأخير أحداثا غاية في الأهمية تركت بصـمتها الواضحة على الحياة الاجتماعية... فقد تميز هذا العصر بنهاية حكم السلاجقة الذي دام قرناً ونصف القرن من الزمن (447 – 590هـ / 1055 – 1193م) وأصبح الخليفة العباسي ممتلكا لزمام الحكم وموجها لسياسة الدولة . فاستطاعت بغداد عاصمة الخلافة العباسية أن تنهض من كبوتها وتبدأ عصـرا جديدا ، فقد وصـل إلى سـدة الحكم خلفاء أقوياء تميزوا بالكفاءة في إدارة الدولة أمثال الناصر لدين الله(575–622هـ/1179ـ 1225م)والظاهر بأمر الله(622–623هـ/1225–1226م)والمسـتنصـر بالله(623–640هـ/1226–1242م)والمستعصم بالله(640–656هـ/1242– 1258م) اذ شهد عصره نهاية الخلافة العباسية على يد المغول الايلخانين.

وقبل أن نتحدث عن ملامح الحياة الاجتماعية في بغداد في تلك الحقبة ، لابد من إلقاء الضوء على عصر كل خليفة لما له من أهمية لدراسة واقع الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة ، فالخليفة الناصر لدين الله امتدت خلافته سبعاً وأربعين سنة وهي أطول حقبة حكمها خليفة عباسـي ، ووقعت في عهده أحداث مهمة من بينها نهاية النفوذ السـلجوقي في العراق سـنة

590هـ ، اذ تعد حقبة خلافته عصر نهضة الخلافة العباسية وازدهار العلوم والمعارف في مجالاتها المختلفة وجوانبها المتعددة نظرا لاهتمام الخليفة بشؤون دولته ، إذ تسلم الخلافة في ذي القعدة من سنة 575هـ/1179م بعهد من والده المستضيء (566 – 575هـ)[1] ، فبعد تسلمه الخلافة . ضرب على أيدي المتسلطين ، وعمر البلاد ، فقد كان " شهما شجاعا أبي النفس ، حازما متيقظا ذا فكرة صائبة وعقل رصين ودهاء ومكر وكانت هيبته عظيمة[2].

فبدأ بإبعاد من لهم نفوذ في الدولة وإدارة أمورها فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار بعد أيام قلائل من خلافته[3]، كما وصف بأنه " من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيرا بالأمور ، مجربا ، سائسا ، مهيبا ، مقداما .. متوقد الذكاء والفطنة ... يفاوض العلماء مفاوضة خبير ويمارس الأمور السلطانية ممارسة بصير[4] فكان كل واحد من أرباب المناصب والرعايا يهابه ويخافه ويحاذره[5].

اعتمد الخليفة الناصر لدين الله في تثبيت سلطته على أصحاب الأخبار اذ كانوا يوافونه بكل صغيرة وكبيرة في داخل الدولة وأطرافها[6] ، فقد اهتم الخليفة بهذه المؤسسة اهتماماً بالغاً

---

[01] العماد الكاتب الاصفهاني،عماد الدين بن محمد (ت 597هـ) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي البنداري الاصفهاني,مطبعة دار الافاق الجديد ،ط3، بيروت ، 1980م ،ص277 ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن عبد الكريم (ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1978م ، جـ 9 ،ص148 ؛ ابن دحية، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ) ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1946م،ص164 ؛ ابن الدبيثي، ابو عبد الله محمد بن سعيد (ت 637هـ) المختصر المحتاج اليه، انتقاء محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق مصطفى جواد ، مطابع دار الزمان ، بغداد ، 1963م ، جـ 2 ، ص30 ، سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت 654هـ) ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، 1952م ، جـ 8 ، ق2،ص653 ؛ ابن الساعي ، تاج الدين علي بن انجب(ت674هـ) ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق مصطفي جواد ، المطبعة الكاثوليكية ، بغداد ، 1934م ، جـ 9 ، ص92.

[02]ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ) ، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة القاهرة ، 1953م ، جـ3 ،ص228.

[03] ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1966م ، جـ 12 ، ص302 ؛القلقشندي ، احمد بن عبد الله (ت821هـ) ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، الكويت ، 1964م ،جـ 2 ، ص 57.

[04] ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ، د.ت ، ص 322.

[05]م.ن ، ص 322.

[06] الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت748هـ) ، دول الإسلام ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد الركن ، ط 2 ، 1365هـ ، جـ 2 ، ص 65 ، ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ)

إلى جانب مؤسسات الدولة الأخرى ، نتيجة لما مرت به الخلافة العباسية من اضطراب بسبب التسلط الأجنبي ، اذ أراد بذلك إعادة هيبة الخلافة[1] فبعد أن أصبح زمام الأمور بيده عمل جاهدا من اجل القضاء على نفوذ سلاطين السلاجقة ومحو أثرهم في العراق[2] ، فقد قام بعدة إجراءات عسكرية من اجل القضاء على أخر سلاطين السلاجقة (طغرل الثالث)*. التي انتهت بهزيمته وقتله[3] ، وبذلك انقرضت دولة آل سلجوق وحل محلها الخوارزميون الذين لا يقلون خطرا على الخلافة من أسلافهم السلاجقة[4]. كما استطاع

نكت الهيمان في نكت العميان ، المطبعة الجمالية ، مصر ،1911م ،ص94 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 13 ، ص106 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ) ، تاريخ الخلفاء ، دار المنار ، القاهرة ، د.ت ، ص 332 ؛ القزاز ، محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، مطبعة القضاء ، النجف ، ص80.

[01] ابن جبير ، محمد بن احمد الكناني (ت614هـ) ، الرحلة ، دار صادر بيروت ، 1964م ، ص 203.

[02] ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد (ت 697هـ) ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1970م ، ص245 ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 322 ؛ الغساني ، الملك الاشرف إسماعيل بن عباس (ت803هـ) ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في تاريخ الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان ، بغداد ، 1975م ،جـ 2 ، ص202 ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، 1977م ، جـ 5 ، ص 99 ؛ العمري ، ياسين خير الله ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، 1968 ، ص 158 ؛ فوزي ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، مطبعة دار الخليج ، الشارقة ،1983م ، ص 91.

***يتضح موقف الخليفة الناصر وإصراره علي التصدي للسلاجقة حين أرسل السلطان السلجوقي طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه سنة 583هـ / 1187م رسولا إلى الخليفة يطلب أن يقوم الديوان بعمارة دار السلطنة ليسكنها إذا وصل بغداد فرد الخليفة الناصر رسوله بدون جواب وأمر بهدم الدار وإزالة آثارها تماما . ينظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص189 ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ 2 ، ص 68 ، ابن خلدون ، العبر ، جـ 5 ، ص 99.**

[03]الراوندي ، محمد بن علي (ت 603هـ) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، مطابع دار العلم ، القاهرة ، 1960م ، ص 513 ؛ الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي (ت في القرن السابع الهجري) ، أخبار الدولة السلجوقية ، باعتناء محمد إقبال ، لاهور ، جامعة البنجاب،1933م، ص178.

[04]ألجميلي ، رشيد عبد الله ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، بغداد ، 1988م ، ص74.

*** داقوقا او دقوقاء او داقوقي : مدينة بين أربل وبغداد ، معروفة لها ذكر في الأخبار والفتوح ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1996م ، جـ 2 ، ص 303.**

الخليفة أن يعيد عدداً من الأقاليم إلى نفوذ الدولة العربية ، اذ كان حكام تلك الأقاليم قد استقلوا بأقاليمهم مما أدى إلى تقلص نفوذ الخلافة ، فاخذ الخليفة يعمل على توسيع رقعة دولة الخلافة ، ففي سنة 579هـ/1183م استغل الخلاف الذي نشب بين اتابك الموصل عز الدين مسعود وقائد جيشه مجاهد الدين قايماز فارسل الخليفة جيشا احتل داقوقا[1]*. كما استرد سنة 585هـ /1189م تكريت[2].

واستطاع وزير الخليفة مؤيد الدين بن القصاب الذي كان يتمتع بكفاءة عسكرية فضلا عن قابليته الإدارية والمالية ان يسترد الاحواز واصفهان وحاصر الري[3].

وبذلك أصبحت حدود العراق تمتد من أطراف الموصل شمالا حتى عبادان جنوبا ومن القادسية غربا حتى حلوان شرقا[4].

واهتم الخليفة الناصر لدين الله ببناء دولته ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا فقد استطاع القضاء على الطائفية التي زرعها وغذاها البويهيون والسلاجقة في المجتمع العربي[5]، فقد كان " شديد الاهتمام بالملك ومصالحه ، لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته كبارهم وصغارهم" [6]. فيذكر انه انشأ جهاز استخبارات نشطاً يزوده بالأخبار سواء ما كان يحصل في الداخل أم في الخارج[7] ، إذ كانت تصله الأخبار أولا بأول بكل ما يحصل في

---

01 **ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص163 .**

02 **ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص205 ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص يو ؛ فهد، بدري محمد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973م،ص6**

03 **ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، جـ 9 ، ص 229 ، 231 ، 232 ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص324 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 13، ص11 ؛ القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، جـ 2 ، ص58 ؛ ألجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، ص74.**

04 **فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 7.**

05 **أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد، بغداد،1965، ص171، 172 ، 173 .**

06 **الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حققه وضبطه بشار عواد معروف وشعيب الارنؤوط وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ،1408هـ / 1988م ، ص78 ؛ الصفدي ، نكت الهيمان ، ص 94 ؛ 95 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص 342.**

07 **ابن الطقطقي ، الفخري ، ص322 ؛سلمان ، عيسى ، تحرير العراق من التسلط الأجنبي وانتعاش الخلافة ، بحث منشور في كتاب العراق في التاريخ ، بغداد ، 1983م ، ص460.**

دولته وأحوال الملوك الظاهرة والباطنة[1] ، فضلا عن هذا كان الخليفة الناصر يقوم بنفسه بجولات داخل بغداد بصورة سرية ليراقب عن كثب أحوال الناس[2]، حتى اعتقد البعض ان له كشفا واطلاعا على الغيب[3] ولهذا وصفه المؤرخون بالدهاء والحنكة[4].

ومن شدة اهتمامه بمصالح الملك والرعية أطلق حق البيع[5] وتأمين طرق التجارة مما أدى إلى رخص الأسعار وكثرة البضائع ، وقد تحسن الوضع المالي في عصره تحسنا كبيرا.بحيث أصبحت بيد الخليفة أموال كثيرة من واردات الدولة ، ونتيجة لذلك ازدهرت الصناعة في عصره ، فضلا عن ازدهار التجارة[6].

هذا وقد اهتم الخليفة الناصر لدين الله بالشباب باعتبارهم عماد الأمة رجال المستقبل فأكد على بنائهم الجسماني والأخلاقي وذلك من خلال إحياء نظام الفتوة[7] ، حتى أن حكام الأطراف أرسلوا إليه يلتمسون أنعامهم بلباس الفتوة وإدخالهم فيها ، فأرسل الخليفة رسله إليهم والبس عدداً منهم لباس الفتوة[8].

---

[1] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص78 ؛الصفدي،نكت الهيمان ، ص94.

[2] ابن الطقطقي، الفخري ، ص322 ؛سلمان،تحرير العراق ، ص460.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام ، ص 79.

[4] ابن الطقطقي،الفخري، ص322؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص342.

[5] الأيوبي ، محمد بن تقي الدين عمر (ت 617هـ)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، مطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، 1968م ، ص115 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،جـ 9،ص 298.

[6] ابن جبير ، الرحلة ، ص182 ؛ الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص11 ؛ النقيب ، أحلام حسن مصطفى ، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية، سلسلة رسائل جامعية ، بغداد ، 2000م ، ص89 ، 91 .

[7] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 361 ؛ ابن المعمار ، محمد بن أبي المكارم البغدادي (ت 642هـ) ، الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ، 1960م ، ص256 ، 257 ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص221 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ93 ، ص107 ؛ الدسوقي ، عمر ، الفتوة عند العرب ، مطبعة النهضة ، مصر ، د.ت.

[8] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9،ص361 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ،ص513 ، ابن الساعي ، الجامع المختصر، جـ9 ، ص222 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ص76 ؛ الصفدي ، نكت الهيمان ،

ويبدو أن غرض الخليفة الناصر من أحيائه نظام الفتوة هو تعبئة الشعب لمجابهة الظروف الخطيرة التي كانت تتعرض لها أراضي الخلافة من حين للآخر ، كذلك فأن الهدف منه هو بناء قاعدة شـــعبية قوية قادرة على حفظ الأمن والأمان في الدولة وزج أبناء الجماهير في أمور ذوات فائدة للمجتمع ، بدلاً من جلب المتاعب للدولة والمجتمع كالفتن المذهبية والصراع الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد.

وعرف عن الخليفة الناصـــر لدين الله اهتمامه بالعلوم والمعارف ، ابتداءً بأهل بيته اذ ندب أفضل المدرسين لتدريس أولاده[1] ، كما أولى اهتماما خاصا بالكتب والمكتبات فقد انشأ خزانة الكتب في دار المســناة ونقل أليها الكتب من خزائنه في الدار الخليفية[2] فكانت دار علم لمفاوضة العلماء ومشاركتهم كما كان المأمون يفعل في أيام خلافته[3].

وما يشير إلى تركيز الخليفة على الجانب الثقافي والعلمي هو ما ذكره المؤرخون أن صنف كتاباً اسماه (روح العارفين) يضم عدة أحاديث نبوية شريفة ، وكان يقرأ بجوامع بغداد[4].

أما عن اهتمام الخليفة الناصـــر لدين الله بالجانب العمراني ، فيبرز ذلك من خلال تشـــييده للمساجد والربط والمدارس وتجديده المشاهد والأضرحة وبناء دور الضيافة[5].

ص93 ؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـــــ)،الســـلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934م ، جـ 1 ، ق1 ، ص172 ، 218 .

[1] ابن الطقطقي، الفخري ، ص322 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، 1963م ، جـــ 4 ، ص257 ؛ آل ياسين ، محمد مفيد ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، الدار العربية للطباعة بغداد 1979م ، ص195.

[2] القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ)، أخبار العلماء وأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1326 هـ ، ص269 ؛ ويذكر سبط ابن الجوزي بأنه نقل إلى المدرسة النظامية " عشرة آلاف مجلد " ، مرآة الزمان ، جـــ 8 ، ق1 ، ص421 . في حين يذكر ابن كثير بأنه نقل أليها " ألوفا من الكتب الحسنة المثمنة " ، البداية والنهاية ، جـ 13 ، ص6 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص205.

[3] جواد، مصـــطفى ، وســـوســـه ، احمد ، دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ، المفصـــل في خطط بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1958م ، ص187 ، 188.

[4] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ 3 ، ص 228 ، 232 ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 322 ؛ الاربلي، عبد الرحمن سـنبط قنيتو(ت 717هـــ)،خلاصـة الذهب المسـبوك مختصـر في سـير الملوك ، تصـحيح مكي السـيد جاسـم ، مطبعة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص281 ؛ المقريزي ، السـلوك لمعرفة دول الملوك ، جــــ 1 ، ق1 ، ص98 ؛ السـيوطي ، تاريخ الخلفاء ،ص 242 ، آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص60

[5] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 229 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص637 ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص244؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 322.

فمن بين المساجد التي أنشأها الخليفة هو مسجد قمرية ، وهو ثاني أقدم مسجدين باقيين في بغداد بعد مسجد الحظائر الذي يقع بالجانب الغربي على شاطئ دجلة . شرع ببنائه الخليفة الناصر لدين الله وأتمه الخليفة المستنصر بالله سنة 626هـــ / 1228م[1]. وألحقت به دار للقرآن وأخرى للحديث[2]، ومن المساجد التي بنيت في عهده مسجد الحظائر الذي شيدته أم الخليفة زمرد خاتون (ت599هــ) ويعرف بــ(جامع الخفافين) أو (جامع الصاغة) ويقع هذا الجامع اليوم على ضفة نهر دجلة اليسرى تحت المدرسة المستنصرية[3].

ومن أبنية الخليفة أيضـــا منارة تربة الشـــيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد وقد كتبت على حوضها بنيت هذه المنارة سنة 612هـ / 1215م[4].

أما عن الربط[5] التي أنشـــأها الخليفة الناصـــر فمنها رباط الخلاطية لزوجته ســـلجوقة خاتون[6] والمعروفة بالأخلاطية والخلاطية (ت 584هــ).وقد افتتح هذا الرباط بعد وفاتها

---

01 ابن ألفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشـــيباني ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائه الســابعة(المنســوب إليه خطأ) تحقيق بشــار عواد معروف وعماد عبد الســلام رؤوف، دار الغرب الإســلامي، بيروت 1997م ، ص19 ؛ ألســـلامي، أبو المعـالي محمد بن رافع (ت 774هـــــ)، تـاريخ علمـاء بغداد المســـمى(منتخب المختار)، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة الأهالي،بغداد، 1938م، ص145 ؛ الســويدي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 1200هــ) ، تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، بغداد ، 1978م ، ص 46 . ينظر أيضا: دليل خارطة بغداد لجواد وسوسه، ص 189 ، 190.

02الحوادث الجامعة، ص 20 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق،ص 208.

03 الحوادث الجامعة، ص 274 ؛ جواد وسوسه ، دليل خارطة بغداد ، ص 188 .

04 جواد وسوسه، دليل خارطة بغداد،ص90.

05 الربط : جمع رباط ، والربط بالكســـر ما تشـــد به الدابة والقربة وغيرها ، والرباط أيضـــا هو المرابطة أي ملازمة ثغر العدو ، أي أن كلا من الفريقين يربط خيله اتجاه الأخر،ثم صـــار لزوم الثغر(رباط) وهو أيضـــا المواظبة على الأمر ، وهو في الأصــل الإقامة على جهاد العدو في الحرب ورباط الخيل وأعدادها ، والرباط هنا بمعناه الاصــطلاحي هي دار يسـكنها الصــوفية ويتخذونها للعبادة والتزهد والدراســة فهي تؤدي نفس وظائف المســجد والمدرســة التعبدية والتعليمية وقد يكون أحيانا مركزاً للاجتماعات ومقبرة لأصــحابه ومريديه وتســد نفقاته مما أوقف له وعليه . ينظر: الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت666هـــــ)،مختار الصــحاح ، مطبعة الرسـالة ، الكويت، 1983م ، ص 228 ؛ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـــ)، لسـان العرب ، القاهرة ، 1308هـــ ، جــــ 9 ، ص 173 ، 174 ؛ مصطفى جواد ، الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية ، مجلة سومر ، مج 10 ، جـ 2 ، بغداد ، 1954م ، ص 218.

06سـلجوقي أو (سـلجوقة) خاتون: هي بنت قلج ارسـلان بن مسـعود بن قلج ارسـلان سـلطان سـلاجقة الروم كانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا ارســـلان حاكم مدينة آمد . ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ

سنة 585هـ / 1189م وكان موقعه في الجانب الغربي من بغداد[1]، فضلا عن إنشاء رباط دار الفلك ، الذي كان في الأصل دارا حولها الخليفة الناصر لدين الله إلى رباط للنساء وذلك سنة 586هـ / 1190م ، ويقع في دار الخلافة قريبا من شاطئ دجلة في الجانب الشرقي[2]. كما انشأ رباط الحريم الطاهري[3]غربي بغداد على نهر دجلة سنة 589هـ / 1193م ونقل إليه العديد من الكتب النفيسة[4] وكذلك رباط المرزبانية الذي انشئ سنة 599هـ/1230م للشيخ شهاب الدين عمر السهروردي[5]، في قرية المرزبانية الواقعة قرب قنطرة الشوك عند نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد[6].

---

9 ، ص 198 ؛ ابن الساعي ، نساء الخلفاء المسمى (جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء) ، تحقيق مصطفى جواد ، ط 2 ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص 115.

01 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص205 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص 422 ، ابن الساعي،نساء الخلفاء ، ص 118 ؛ عباس ، ندى موسى ، الربط في العراق في العصر العباسي ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1996م ، ص32.

02 سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص 637 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 61.

03الحريم الطاهري : نسبة إلى طاهر بن الحسين ، كان عليه سور دائر ظل قائما حتى دخول المغول بغداد. ينظر:البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت 739هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1954م ، جـ 1 ، ص 397 ولمزيد من التفاصيل ينظر:العلي ، صالح احمد ، الحريم ألطاهري ، مجلة الأقلام ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، جـ 9 ، السنة(5) لسنة 1969م ، ص68 ، 69 ، آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص61.

04 ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص229 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص422 ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص224.

05 هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السهروردي شهاب الدين(ت 632هـ) ويرجع نسبة إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .ينظر : ابن النجار ، محب الدين بن محمود البغدادي (ت 643هـ) ، التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من العلماء الأنام ، تحقيق ألاء نافع التكريتي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1989م ، جـ 2 ، ص 749 ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر بيروت ، 1977م ، جـ 3 ، ص 119 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، حققه بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985م ، جـ 22 ، ص 376 ؛ الحوادث الجامعة ، ص102.

06 ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 99؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق2 ، ص 637.أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت 665هـ) ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بـ" الذيل على الروضتين " تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، نشر عزت العطار ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1974م ، ص32 ، 33 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 102.

وقد اهتم الخليفة الناصــر لدين الله بإنشــاء المدارس ومن بينها مدرســة(زمرد خاتون) او (مدرســة الأصــحاب) وهي من أعظم مدارس الشـافعية ببغداد ، افتتحت سـنة 589هـــ / 1193م في موقع مجاور لتربتها قرب معروف الكرخي بمقبرة باب الدير وألحقت بها دور خاصــة بالمدرسـين والفقهاء ورتبت فيها مدرسـين من افاضـل العلماء ،واصـبحت لها بعد النظامية والمســتنصــرية منزلة وقيمة واســتمر التدريس فيها طيلة العهد العباســي والمغولي[1]، ثم توالى تاســيس المدارس ببغداد اذ وجد فيها الرحالة ابن جبير عند زيارته لها سنة (580هـــ) نحو ثلاثين مدرسـة في جانبها الشـرقي ، لها اوقاف عظيمة وعقارات محبسـة تصـرف على مدرسـيها وطلابها[2]. اما تجديد المشـاهد فكانت من جملة اهتمامات الخليفة ،فقد اعاد تشـييد المشـهد الكاظمي اذ قام بتجديد الصـندوق السـاج المطعم بالذهب ، وبنى رواقا جديدا وبهوا ومأذن متعددة وزين كل ذلك بابهى زينة[3].

هذا فضلا عن انشاء الخليفة دور الضيافة اذ ذكر ابن الساعي في حوادث سنة 605هـ (في المحرم منها تقدم الامام الناصـر لدين الله ببناء دور الضـيافة لوفد الله تعالى بالجانب الغربي فبنيت على دجلة بالقرب من تربة الجهة الشـريفية السـلجوقية مجاور مشـهد عون ومعين وتكامل بناؤها في اخره)[4].

وهكذا اسـتطاع الخليفة الناصـر لدين الله خلال مدة خلافته ان يمسـك بزمام الامور ويحافظ على اسـتقلال الخلافة سـواء بجهده الشـخصـي عندما يرى نفسـه قادرا على المجابهة ام بلجوئه الى السـياسـة في التعامل مع اعدائه اذ كان يعمد الى تحريض بعضـهم على بعض

---

[1] الحوادث الجامعة،ص1 هامش رقم(2)،رؤوف،عماد عبد السـلام،مدارس بغداد في العصـر العباسـي،مطبعة دار البصري، بغداد ،1966م،ص123،جواد وسوسه،دليل خارطة بغداد،ص191.

[2] الرحلة ،ص205

[3] ال ياسين ،محمد حسن ،تاريخ المشهد الكاظمي،مطبعة المعارف ،بغداد ،1967م،ص32

[4] الجامع المختصر ،حـ9،ص258،جواد وسوسه ،دليل خارطة بغداد،ص185.

حتى قيل انه كان(يوقع العداوة بين ملوك متحابين وهم لا يعلمون ويوقع الصداقة بين ملوك متحاربين وهم لايعلمون)[1].

كانت وفاة الخليفة الناصر لدين الله ببغداد في اخر ليلة من شهر رمضان سنة 622 هـــ/ 1225م وكان قد عمل لنفسه ضريحا عند موسى بن جعفر (عليه السلام) ليدفن فيه ، ولكن ابنه الظاهر بأمر الله امر بحمله الى الرصافة فدفن عند اهله[2].

وتسلم مقاليد الحكم الخليفة الظاهر بامر الله(622ـــ 623هـــ / 1225 ـــ1226م) وهو ابو نصر محمد بن احمد[3]، تولى الخلافة بعهد من ابيه[4]،وبويع في رمضان سنة 622 هـــ[5]، وقيل بويع يوم عيد الفطر[6]، وعمره اثنان وخمسون عاماً[7] ، ولم يدم حكمه سوى تسعة اشهر وايام[8].

قال عنه ابن الاثير " لما ولي الخلافة اظهر العدل والاحسان واعاد به سنة العمرين فلو قيل لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صـــادقا"[9].حاول الخليفة الظاهر بأمر الله ان يبدأ صفحة جديدة في حكمه ،اذ حاول اصلاح شؤون الخلافة بمحاولته تبديل

---

[1] الذهبي،تاريخ الاسلام،ص78،السيوطي،تاريخ الخلفاء ،ص341،340

[2] سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، حـ8 ،ق2 ، ص636 ، ال ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص65

[3] العماد الكاتب ، دولة ال سلجوق ،ص277، ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، مصر ،1309 هـ ،ص122 ، ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ،ص254 ،الصفدي ، نكت الهيمان ، ص238 ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، حـ1،ق1،ص218.

[4] ابن الاثر ، الكامل في التاريخ ،حــــ9،ص361،سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ،حــــ8،ق2،ص636ابن العبري،غريغوريوس الملطي(ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول ،المطبعة الكاثوليكية،بيروت ،1890،ص242 ، ابن كثير ،البداية والنهاية ،13حـ،ص108،107

[5] ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ،ص254 ، الغساني ، العسجد المسبوك ،حـ2،ص412

[6] الدواداري، ابي بكر بن الله بن ايبك (ت736هـ) ،كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ،1972 م،حـ7،ص272 ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ص12

[7] ابن الراهب ،ابي شاكر بطرس بن ابي كرم بن المهذب القبطي(ت681هـــ) ،تاريخ ابن الراهب، مطبعة الاباء اليسوعيين،بيروت ،1903م، ص77 ،ابن كثير ،البداية والنهاية ،حـ13،ص107

[8] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،حـ9،ص368،سبط ابن الجوزي ،مراة الزمان ،حـ8،ق2،ص643

[9] الكامل في التاريخ ،حـ9،ص361.

بعض اركان دولته الذين يرى منهم الانحراف[1]، وقد كان عازما على ازالة الظلم عن الرعية،يتوضح ذلك من خلال الكتاب الذي اخرجه بيد وزيره ليقرأ على ارباب الدولة(انتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال ... وقد غفرنا لكم ما قد سلف من خراب البلاد وتشريد الرعايا والعباد وقبيح السمعة ... ورزقكم سلطانا يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم)[2].

وانطلاقا من هذا الغى الكثير من المكوس والضرائب واعاد الاموال المغصوبة لاصحابها وامر باعادة الخراج على ما كان عليه سابقا في كل انحاء العراق[3].

ومن شدة عدل الخليفة انه وجد في بيت والده الناصر لدين الله الوفاً من رقاع مختومة لم يفتحها سترا للناس ودرءا عن اعراضهم ، فقيل له :لمَ لاتفتحها ؟ فقال : لا حاجة لنا فيها كلها سعايات[4]، ومن جراء اهتمامه بابناء الشعب انه (لما دخل الى الخزائن قال له خادم : كانت في ايام ابائك تمتلى ، فقال :ما جعلت الخزائن لتمتلى بل نفرغ وننفق في سبيل الله ، فان الجمع شغل التجار)[5]. هذا وقد اهتم الخليفة الظاهر بامر الله ورغم فترة حكمه القصيرة بالجانب العمراني فقد (عمر رباط الخلاطية ،ورباط الحريم ، ورباط المرزبانية ...وتربة عون ومعين وتربة والدته والمدرسة الى جانبها ،والرباط الذي يقابلها ..ومسجد سوق السلطان ودور الضيافة في جميع المحال ودار ضيافة الحج ، وغرم على هذه الاماكن اموالا جليلة ونقل اليها الكتب النفيسة بالخطوط المنسوبة والمصاحف الشريفة)[6]،فضلا عن اهتمام الخليفة بالمشاهد ،ففي ايامه (احترقت القبة الشريفة بمشهد الامامين موسى

---

[1]افندي،نظمي زاده مرتضى،كلشن خلفا ،ترجمة موسى كاظم نورس ،النجف،1971م،ص124.

[2] ابن الاثير،الكامل في التاريخ ،حـ9،ص268،ابن واصل ،مفرج الكروب ،حـ4،ص192،الذهبي ،تاريخ الاسلام ،ص151،ابن كثير ،البداية والنهاية ،حـ13 ،ص113

[3]ابن الاثير،الكامل في التاريخ،حـ9،ص261،سبط ابن الجوزي،مراة الزمان ،حـ8،ق2،ص636 ابن واصل ،مفرج الكروب ، حـ4 ،ص163 ،ابن كثير ،البداية والنهاية ،حـ13،ص107 ،113 الغساني ،العسجد المسبوك ،حـ2،ص413.

[4]الذهبي ،تاريخ الاسلام،ص151،ابن كثير ،البداية والنهاية ،حـ13،ص113

[5] السيوطي ،تاريخ الخلفاء ،ص348

[6] سبط ابن الجوزي ،مراة الزمان،حـ8،ق2،ص637،الصفدي ،نكت الهيمان ،ص238

والجواد (عليهما الســـلام) فشـــرع الخليفة في عمارتها ،فمات ولم تكتمل ،فتممها الخليفة المستنصر بالله)[1].

ورغم عدل الخليفة الظاهر بامر الله وحســن ســيرته الا انه لم يكن مؤهلا لتولي منصــب الخلافة في هذا الوقت العصـيب ،فقد كانت الاخطار تحدق بالخلافة من كل حدب وصـوب ،وذلك لضعف الظاهر[2]،فلم نره يقوم باي دور سياسي بارز ،وقد رضي بالطاعة الاسمية للخلافة العباسية من الخوارزميين[3]. توفي الخليفة الظاهر بأمر الله في شـهر رجب سـنة (623 هــ)[4] , فلم تدم خلافته طويلا بل كان عصره قصيرا , فقيل أن خلافته كانت تسعة أشـهر[5] , وقيل تسـعة أشـهر ونصـفا[6]ومهما يكن الاختلاف بين المصـادر , فان خلافته لم تتجاوز السـنة الواحدة اظهر فيها حسـن سـيرته , وإنصـافه لرعيته. وبعد ذلك تولى الخلافة ولده المستنصر بالله , أبو جعفر منصور بن محمد(623-640 هــ / 1226 – 1242م)[7] وسـلك في الخير والإحسـان سـيرة أبيه[8], فكان متدينا , متواضـعا حريصـا على صـلاته

---

(1) ابن الطقطقي ،الفخري ،ص329 ،ال ياسين ،تاريخ المشهد الكاظمي ،ص34

(2) ال ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ،ص65

(3)القزاز ،الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ،ص102 ،فوزي ،فاروق عمر ،تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الاسلامية (1-656هـ) مطبعة الدار العربية ،بغداد 1988 ،ص341.

04 ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جــ9, ص 368 ؛ ابن الطقطقي , الفخري , ص 240 ؛ ابو الفدا, عماد الدين إسماعيل (ت 732 هـ) , المختصر في أخبار البشر , المطبعة الحسينية المصرية, د.ت , جــ3 , ص136؛ ابن تغري بردي, جمال الدين يوسف الاتابكي (ت813 هــــ),النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة, مطبعة دار الكتب المصرية , د.ت, جـ6 , ص263 ؛ المقريزي , السلوك لمعرفة دول الملوك , , جـ1 , ق1 , ص220

Muir , Sir William : The Caliphate . Its Rise , Decline and fall , Beirut 1963.P593

05 ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص368 ؛ سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص643 .

06 الذهبي , تاريخ الإسلام , ص16 حوادث سنة 623 هـ ؛ ابن العماد الحنبلي , ابو الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب , مكتبة القدس , القاهرة , 1351 هـ , جـ5 , ص110.

07 ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص369 ؛ سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق1 , ص643 ابن الكازروني , مختصـــر التاريخ , ص258 ؛ الاربلي , خلاصـــة الذهب , ص285 ؛ ابن الفوطي , كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني(ت 723 هــــ), تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب , تحقيق مصطفى جواد , دار الكتب الظاهرية , دمشق , د.ت, جــ4, ق3 , ص551 ؛ اليونيني , قطب الدين موسى (ت 726 هــ) , ذيل مراة الزمان , مطبعة دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد الدكن , 1954 م , مج1 , ق1 . ص53.

08 أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر , جـ3, ص137 ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , جـ13, ص113.

وقراءة القران وقد تعلمه على يد المقرئ هبة الله بن الحسن البغدادي[1].وصف الخليفة المستنصر بالله بأنه كان شهما جوادا يباري الريح كرما وجودا سمحا عادلا قريبا من الناس وعطاياه أشهر من أن يدل عليها وأعظم من أن تحصى[2]، فكان قريبا من الرعية كثير الصدقة في السر والعلانية , واظهر من العدل أضعاف ما أظهره والده[3], ولرجاحة عقله في صغره كان جده الناصر لدين الله يسميه بالقاضي[4].

ويذكر انه كان لجده الناصر لدين الله بركة للمال في داره , وكان همه أن يعيش حتى يملاها على خلاف حفيده المستنصر بالله الذي كان عنده نفس البركة , فكان يسال نفسه كم يعيش حتى يفرغها[5], بالصدقات على المحتاجين من الرعية , حتى انه أوقف أموالا كثيرة وزعها في مختلف أبواب البر[6].

وعرف عن الخليفة المستنصر بالله حبه للعلم , وتشجيع طلابه , هذا فضلا عن اهتمامه بالأدب والعلوم الدينية منذ طفولته ولهذا كانت أيامه زاهرة بمختلف العلوم[7], ولعل إنشاءه المدرسة المستنصرية ذلك الصرح الحضاري الذي كثرت عنه كتابات المؤرخين ما هو ألا دليل على حرص الخليفة المستنصر بالله على العلم والمعرفة , هذا فضلا عن اهتمامه بخزائن الكتب التي أنشأها في داره ((جمع فيها أنواع العلوم على اختلافها وتباينها وائتلافها بالأصول المضبوطة والخطوط المنسوبة وما جاوز حد الكثرة))[8].

---

01 **المقرئ أبو القاسم المعروف بالأشقر , كان شيخا فاضلا حسن التلاوة , وكان يدخل إلى الخليفة المستنصر بالله فيقرئه القران . ينظر: ابن رجب , زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد(ت 795 هـ),الذيل على طبقات الحنابلة , مطبعة السنة المحمدية , القاهرة , 1953 م , جـ2 , ص211.**

02 **ابن الطقطقي , الفخري , ص238.**

03 **ابن العبري , تاريخ مختصر الدول, ص425.**

04 **ابن الفوطي , تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب , جـ4 , ق3 , ص551 ؛ الذهبي , دول الإسلام , جـ2 , ص146 ؛ الكتبي , محمد بن شاكر (ت764 هـ) , فوات الوفيات , تحقيق أحسان عباس, بيروت , 1973 , جـ4، ص170 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص349.**

Muir , Sir William : The Caliphate . Its Rise , Decline and fall ,P 593

05 **ابن الطقطقي , الفخري , ص322 ؛ سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8, ق2 , ص740 .**

06**القلقشندي , مآثر الانافة , جـ2 , ص81.**

07**آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص66 .**

08 **الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك , ص286 ؛ آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص66.**

وقد شهد عصر الخليفة المستنصر بالله حركة عمرانية واسعة تمثلت ببنائه المساجد والأربطة والمدارس وتجديده المشاهد , ودور الضيافة , فمن المساجد التي بنيت في عصره (جامع قمرية) الذي يقع على شاطئ دجلة بالجانب الغربي مقابل الرباط البسطامي[1] , وقد انشأ في داخل الجامع خزانة للكتب ومدرسة للصبيان وجعل له معيد ومحدث وقارئ للحديث[2] ,كما عمر مساجد الكرخ في بغداد وذلك سنة 627هـ /1229 م بعد أن هدمها الغرق , واشرف على عمارتها نائب الوزير مؤيد الدين ألقمي , وبعد أتمام البناء جعل فيها الأئمة والمؤذنون[3].

أما الربط ففضلا عن أنها مساكن للمتصوفة والزهاد , فقد كانت في الوقت نفسه معاهد ثقافية , فكان المتصوفون وغيرهم يؤلفون فيها ويدونون الحديث ويسمعونه ويدرسونه ويحدثون بالحديث النبوي الشريف وغيره وينشدون الأشعار[4] وتمنح الأجازات[5], وقد انشأ الخليفة المستنصر بالله رباط المستجد بدار الروم[6], وتم افتتاحه سنة 626 هـ / 1228

---

[1] الرباط البسطامي: انشاه أبو الغنائم ابن المحلبان لأبي الحسن البسطامي الصوفي المتوفي سنة(493هـ) في الجانب الغربي على شاطئ دجلة, عند مصب نهر عيسى في العقبة مقابل جامع قمرية . ينظر: ابن الجوزي , جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن(ت 597 هـ)المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ,مطبعة دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد الدكن , 1358 هـ/1959 م , جـ9,ص116؛ ابن الاثير , الكامل , جـ8 , ص294 والبسطامي منسوب إلى بسطام , مدينة كبيرة بقومس بقرب دامغان , وقد بقيت اخبار هذا الرباط حتى اواخر القرن السابع الهجري , مما يدل على انه من المنشآت التي لم يصبها اذى في اثناء احتلال المغول بغداد . ينظر : الحوادث الجامعة , ص19 هامش رقم(3).

[2] الحوادث الجامعة , ص20.

[3] م . ن , ص32.

[4] جواد , مصطفى , المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق , مجلة الآداب والعلوم , مطبعة وزارة المعارف , العدد الأول , بغداد , حزيران ,1956م , ص47.

[5] الأجازات : بمعنى الشهادة في وقتنا الحاضر , حيث يمنحها الشيخ أو المدرس لتخويله حق التدريس ورواية مادرسه عليه ,واتقنه على يده , وقد تدون الأجازة مستقلة أو على كتاب الذي اتم الطالب دراسته عليه , وتكون الأجازة ألعامه بالسماع المباشر , والخاصة من غير السماع , وليس من شروط الأجازة أن يتصل العالم بمن أذن له اتصالا مباشرا , وكان العلماء يجمعون الأجازات لهم ولأبنائهم من الشيوخ حتى صاروا يجيزون قبل وفاتهم علماء عصرهم رواية الأحاديث التي كانوا يعرفونها وكانت الأجازة نظما ونثرا ينظر : معروف , ناجي ,تاريخ علماء المستنصرية . مطبعة العاني , بغداد , 1965م ,جـ2,ص249 ,250.

[6] دار الروم: نسبة إلى أسرى الروم الذين انزلوا في عهد الخليفة المهدي , فشيدوا هناك بيعة وديرا لهم وكان يعرفونه بدير الروم , ينظر: ياقوت الحموى , معجم البلدان , جـ2 , ص343.

م واسكنه جماعة من الصوفية وجعل شيخهم أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر ألجيلي (ت 633 هـ)[1].

هذا وقد شهدت الربط حركة تأليف واسعة , فمن الكتب التي تم تاليفها في الربط ببغداد في عهد الخليفة المستنصر بالله كتاب " عوارف المعارف " في التصوف للشيخ شهاب الدين عمر بن محمد البكري السهروردي[2], أما عن اهتمام الخليفة بالمدارس فقد اقترن اسمه بإنشائه أعظم انجاز حضاري في ميدان العلم والمعرفة ذلك هو المدرسة المستنصرية التي تعد أول جامعة في العالم الإسلامي , اذ شرع الخليفة ببنائها سنة 625 هـ/1227 م وانتهى من تشييدها سنة 631هـ/1233م[3] , عنيت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية , والمذاهب الفقهية وعلوم العربية والرياضيات وقسمة الفرائض والتركات , وعلم الحيوان , وعلم الطب , وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان في آن واحد[4].

وهي أول مدرسة أسلامية خصصت فيه دراسة الفقه على المذاهب الإسلامية الأربعة(الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي) في بناية واحدة هي مدرسة الفقه[5] , وقد انفق الخليفة المستنصر بالله الأموال الكثيرة على بناء المدرسة وأوقف عليها أوقافاً جليلة[6] , وقدرت نفقات المدرسة بأكثر من سبعين ألف مثقال من الذهب[7] , بحيث جهز لها كل

---

01 الحوادث الجامعة , ص16 , 115 , 116 , ؛ آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق ,ص74 .

02 الحموي , ياقوت , معجم الأدباء , دار المشرق , بيروت , د . ت , جـ3 ,ص290 ؛ سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص680 ؛ الحوادث الجامعة , ص102 .

03للاطلاع على أحوال المدرسة المستنصرية راجع : سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص739 ابن واصل , مفرج الكروب , جـ5, ص316 ؛ ابن الكازروني , مختصر التاريخ , ص260؛ الاربلي , خلاصة الذهب , ص287 ؛ الحوادث الجامعة , ص350 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2, ص287 السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص350 ؛ تاريخ علماء المستنصرية , جزئين ؛ أمين , حسين, المدرسة المستنصرية , مطبعة شفيق , بغداد , 1960 م ؛ ال ياسين , الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ؛ المشهداني , محمد جاسم والنقشبندي , أسامة , المستنصرية في التاريخ , الندوة العلمية للمستنصرية , بغداد , 1986 .

04 الاربلي خلاصة الذهب , ص287 . الذهبي , العبر في خبر من غبر , جـ5 , ص123 ؛ الحوادث الجامعة , ص80 .

05 الذهبي, العبر في خبر من غبر . جـ5 , ص123 ؛ اليافعي , أبو محمد عبد بن سعد بن علي (ت768 هـ) , مرآة الجنان وعبرة اليقظان , دائرة المعارف العثمانية , حيدر أباد الدكن , 1339 هـ,منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت , لبنان, 1970 , جـ4 , ص72 : آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص68 .

06 أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر , جـ3 , ص171 , يذكر الذهبي أن قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار (دول الإسلام , جـ2 , ص103) ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص458 , مهدي الرحيم , عبد الحسين , الخدمات العامة في بغداد , دار الشؤون الثقافية , بغداد , 1987 , ص190.

07 السيوطي , تأريخ الخلفاء , ص350.

مستلزماتها من مواد الدراسة والمسكن والمأكل وخصص لكل علم من العلوم جانباً من بناية المدرسة كما انشأ الخليفة فيها مكتبة كبيرة جدا حوت الكثير من الكتب التي تضم مختلف العلوم بحيث حمل أليها بما يقارب مائتين وتسعين حملا[1]

وقد وصفها ابن الفوطي فقال " والتي لم يوجد مثلها في العالم "[2] , هذا وقد خصص الخليفة المستنصر بالله العلماء الصالحين والأدباء المشهورين لغرض التدريس , كما أمر أن يتخذ لقارئ القرآن فيها دارا خاصة لتعليم العلوم الشرعية والأدبية وتدريس الحديث النبوي الشريف دار خاص بها , وتقرر أن يكون عدد طلابها مائتان وأربعون متفقها, من كل مذهب اثنان وستون[3] وان يكون لكل مذهب مدرس وأربعة معيدين[4].

أما اهتمام الخليفة المستنصر بالله بالمشاهد والأضرحة , فقد أولاها عناية كبيرة , ففي سنة 623هـ / 1226 م تولى عمارة المشهد ألكاظمي , فأكمل القبة والرواق والمآذنة , ووسع البهو وزاد سعة الحرم وكان الناضر في ذلك رجلا يدعى احمد جلال الدين , وأتم اكمال عمارته سنة 624 هـ / 1226 م , ومن جملة أعماله هو تنصيب صندوقين فخمين من الخشب الجديد على قبري الإمامين موسى والجواد (عليهما السلام) , وتشاء المصادفة الحسنة أن يبقى احد الصندوقين إلى اليوم وهو صندوق قبر الأمام موسى بن جعفر(عليه السلام) وقد تم صنعه سنة 624 هـ[5].

وكان الخليفة يزور قبور الأئمة والأولياء وينعم على المقيمين في تلك المشاهد ففي سنة 634 هـ / 1236م قصد الخليفة موسى بن جعفر (عليه السلام) في الثالث من رجب فلما عاد ابرز ثلاثة ألاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين الاقساسي نقيب الطالبين وأمره أن

---

[01] الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك , ص287 ؛ ويذكر الحوادث الجامعة , ص81 أنها حملت على مائه وستين جملا .

[02] تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب , جـ4 , ق1 , ص28 .

[03] الحوادث الجامعة , ص85 .

[04] ابن كثير , البداية والنهاية , جـ13 , ص140 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص458 أمين , المدرسة المستنصرية, ص45 ؛ آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص68

[05] آل ياسين , تأريخ المشهد ألكاظمي , ص34 , 35 .

يفرقها على العلويين المقيمين في مشـــهد امير المؤمنين علي ابن أبي طالب والحســـين وموسى بن جعفر (عليهم السلام)[1].

كما أمر بعمارة ضـريحي الإمامين علي الهادي والحسـن العسـكري (عليهما السـلام) بعد الحريق الذي أصاب ضريحيهما سنة 640 هـ /1242م[2].

اما دور الضـيافة فقد كان الخليفة المسـتنصـر بالله كثير الصـدقات والبر والحسـنات لرعيته بكل ما يقدر عليه , فقد جعل في كل محلة من محال بغداد دار ضـــيافة للفقراء , وزاد عما كان موجوداً سابقا[3].

هذا فضلا عن اهتمامه بالوضع الاقتصادي للبلد اذ أمر بضرب الدراهم الفضية ليتعامل بها بدلا عن قراضــة الذهب[4] , ونقش الدراهم " السـمة الشـريفة المسـتنصـرية "[5] وفعل ذلك إنقاذا لرعيته من الصرف القائم على الربا في المعاملة فيما بينهم.

هذا وقد شهد عصر الخليفة المستنصر بالله أحداثا سياسية بارزة منها , أعادة سيطرته على مدينة اربل بعد وفاة صاحبها مظفر الدين كوكبري سنة (630 هـــ) فقد سير الخليفة جيشا استولى عليها[6] , وكذلك أعاد مدينة عانة إلى أملاك الخلافة سنة(637هـــ)[7], كما اســتطاع الخليفة المســتنصــر أن يحســن علاقة الخلافة بالخوارزميين , اذ عادت الخطبة للخليفة في ديارهم , ولكنه لم يستطع أن يحــقــق التعاون بين الخوارزميين والايوبين حكام

---

01 **الحوادث الجامعة , ص124.**

02 **الحوادث الجامعة , ص181،ابن كثير , البداية والنهاية , جـ13 , ص170 , ص171 .**

03 **الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص174 .**

04 **السيوطي , تأريخ الخلفاء , ص350 .**

05 **الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص465 ؛ ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , جـ5 , ص147 , 148.**

06 **سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص680 ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , جـ13 , ص145 .**

07 **سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص729 .**

بـــلاد الشام ومصر من اجل التصدي للمغول[1] وإيقاف زحفهم اتجاه الشرق[2] , إذ لم يفلح في توجيه الزعامات الإسـلامية لمواجهة الخطر الداهم على بلاد الإسـلام عموما وأراضـي الخلافة بشـكل خاص مثل حملات المغول على داقوقا واربل , اذ تعرضـت لهجماتهم على مدار عدة سنوات[3].

وعلى الرغم مما أورده بعض المؤرخين من أن جيش الخليفة المستنصـر بالله بلغ نحو مائه ألف فارس , اسـتعدادا لمواجهة المغول[4], وانه اسـتخدم عسـاكر لم يسـتخدمها قبله جده وأبوه[5] , إلا أن بعض الباحثين يشـكك في هذه الرواية , وينعتها بالمبالغة والبعد عن الواقع ,وإلا لكان بإمكانه الوقوف بوجه الحملات المغولية غير المنظمة , ولاسـتغني عن سـياسـته في استرضـاء المغول ومصـانعتهم[6].

---

01 المغول: عرف المغول بأسماء مختلفة منها المغل والتتر وهي مسميات متعددة لشعب واحد يتكون من قبائل متعددة ويعتبرون جميعا من الترك , وموطنهم الأصـلي في هضـبة منغوليا شـمال صـحراء جوبي الممتدة في أواسط جنوبي سيبريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان , بين جبال التاي غربا وجبال خنجان شـرقا , وقد مارس المغول الرعي والصـيد فكانوا يتنقلون في أرجاء هضـبة منغوليا سـعيا وراء مواطن المياه والكلأ حيث تتوفر الظروف المناسبة للرعي , وفي الصيف يستقرون في المرتفعات وأعالي الجبال مدة شهرين أو أكثر حسب البرودة والمياه , والواقع أن تأريخهم السياسي بدأ مع ظهور جنكيزخان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سـياسـية قدر لها الاسـتمرار بفضـل مهارتها وحسـن قيادته حتى بعد وفاته . ينظر: الهمذاني , رشيد الدين فضل الله , جامع التواريخ نقله الى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد , دار أحياء الكتب العربية , البابي الحلبي , د . ت , مج2 , جـــ1 , ص212 ؛ ألعريني , ألباز , المغول , دار النهضـــة العربية , بيروت , 1967 , ص28 وما بعدها ؛ الصـــياد , فؤاد عبد المعطي , المغول في التاريخ , دار النهضة العربية , بيروت , 1980 , 1980م , جـــ1 , ص30 , وما بعدها ؛ شلبي , احمد . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ط2 , 1982م , جـ7 , ص556

Browne (E.G):Aliterary History of Persia(London1920**).P** 207 **.**

02 القزاز , الحياة السياسية في العراق , ص103 .

03 سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص699 ؛ الحوادث الجامعة, ص127، 137.

04 اليونيني,ذيل مرآة الزمان ,مج1 ق1،ص86؛ الذهبي , دول الإسلام , جـ2 , ص110 .

05 السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص350 .

06 خصـــباك , جعفر حســـين , تاريخ العراق في عهد المغول الايلخانين , بغداد , 1968م , ص16 ؛ ويذكر اليونيني , ذيل مرآة الزمان , مج1 ق1, ص87 أن المستنصر بالله كان " يصانع التتار ويهاديهم ".

وفي يوم الجمعة عاشر جمادي الأخره[1] سنة(640هــــ) توفي الخليفة المستنصر بالله[2] , وكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما[3] , وقد حمل الخليفة المستنصر خليفته من بعده أرثا ثقيلا , اذ الأخطار تحدق به من كل جانب[4], وسيطر المماليك على أمور الدولة وغدوا المتنفذين الفاعلين , الأمر الذي لم يستطع معه الخليفة المستنصر تسمية ولي العهد من بعده, ويبدو انه كان يريد ان يمهد الطريق لأخيه الخفاجي ليحل محله إلا انه لم ينجح في تحقيق ذلك , اذ اثر الدويدار الصغير وقائد الجيش إقبال الشرابي توليه ولده عبد الله الملقب بـ(المستعصم بالله)640-656هـ 1242 - 1258 م " لما يعلمون من لينه وانقياده ليكون الأمر إليهم فتقلدها واستبدوا بالتدبير "[5].

وقد عارضت الأسرة العباسية هذا الاختيار لكن الحاشية المتآمرة أكرهتهم على البيعة بالتهديد والخديعة[6]. من اجل أبعاد أخي المستنصر الذي عرف بشجاعته وأقدامه اذ كان يقول" أن مكنني الله الأمر لاعبرن نهر جيحون وانتزع البلاد من التتار[7] وهكذا تولى المستعصم بالله في أصعب ظروف تمر بها الدولة العربية الإسلامية , وعرف عن هذا الخليفة بأنه كان متدينا[8] , حافظا للقرآن , عاكفا على تلاوته , كثير الصلاة , عفيف الفرج , مبتعدا عن المحرمات ولم يدن منها[9]

01 ابن الكازروني , مختصر التاريخ , ص259 ؛ أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر , جـــ3 , ص137 ؛ الدواداري , كنز الدرر وجامع الغرر , جـ7 , ص281 .

02 الذهبي , دول الإسلام , جــ2 , ص110 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جــ2 , ص506 ؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ,جـ6 , ص345 ؛ المقريزي , السلوك لمعرفة دول الملوك , جـ1 , ق2 , ص311

03 الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك , ص288 .

04 خصباك , تاريخ العراق في عهد المغول , ص16

05 أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر , جـ3 , ص194 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص352 .

06 الاربلي , خلاصة الذهب, ص290؛ الغساني , العسجد المسبوك .جـ2 , ص510 .

07 الذهبي , دول الإسلام , جـ2 , ص110 .

08 ابن الطقطقي , الفخري , ص241 .

09 الاربلي , خلاصة الذهب , ص291

إلا انه كان لين الجانب سهل العريكة , أوكل أمور الدولة إلى غير الأكفاء من أهلها , وأهمل ما يجب عليه أن يحفظه[1], ولم يكن حازما بل ضعيف الرأي[2].

وهذه الصفات التي تميزت بها شخصية الخليفة المستعصم بالله لم تؤهله ليكون رجل سياسة وحرب في ظروف كانت حرجة تحتاج إلى شخصية قوية توحد العالم الإسلامي في ذلك الوقت للوقوف بوجه الزحف المغولي لعاصمة الخلافة بغداد , فكانت طبيعته تناسب حكم دولة تعيش في ظروف هادئة لا تحيطها الأخطار من كل جانب , ففضلا عن الزحف المغولي كانت الدولة تعاني خلال عهده انحلالا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وهذه الأزمات لم تكن تتناسب مع قابليته وشخصيته الخليفة المستعصم بالله التي عرفت بالتهاون والتغاضي عن معالجة الأمور التي كانت تعصف بالبلاد[3], هذا فضلا عما وصف به الخليفة من البخل والرغبة في جمع المال وتردده في الأنفاق على جيشه مما أدى إلى تفرق جنده وهجرهم البلاد[4], في الوقت الذي كانت فيه الخلافة تحتاج إلى قوة عسكرية تقف بوجه التيار المغولي.

فكان عندما يسمع بزحف المغول يقول:" أن بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد. ولا أيضا يهجمون علي وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي"[5].

والواقع أن إهمال الناحية العسكرية وما ترتب عليها من نتائج سيئة لا يتحمل مسؤولياتها الخليفة وحده بل يشاركه رجال دولته من الوزراء والحجاب وأمراء الجيش والحاشية , فقد كان الخليفة محاطا بعدد غير قليل من المقربين والمستشارين الذي أطلق عليهم ابن

---

[1] ابن الطقطقي , الفخري , ص240 ؛ الاربلي , خلاصة الذهب , ص291 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , جـ7 , ص64 .

[2] أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر , جـ3 , ص194،الذهبي , العبر في خبر من غبر , جـ5 , ص231.

[3] خصباك , تأريخ العراق في عهد المغول , ص6 .

[4] ابن الكازروني , مختصر التاريخ , ص270 ؛ اليونيني , ذيل مرآة الزمان , مج1،ق1 , ص87 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص353 .

[5] ابن العبري , تأريخ مختصر الدول , ص255 .

الطقطقي(الجهال وأراذل العوام)[1] وكان على رأسهم قائد الجيش مجاهد الدين ايبك المستنصري الدويدار الصغير الذي طالما هون أمر المغول أمام الخليفة كما منعه من إرسال الهدايا لهولاكو , هذا فضلا عن التزامه الغوغاء والسفلة الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب والاعتداء أيام غرق بغداد سنة (654 هـ)[2], كذلك عبد الغني ابن الدرنوس الذي كان اقرب أصدقاء الخليفة , والذي كان في بداية حياته حمالا ثم أصبح براجا وبعد أن قربه الخليفة وصار من خواصه أصبح يولي من يشاء , ويعزل من يشاء , فإذا دخل على الوزير نهض إليه , وأخلى له المجلس من جميع الحاضرين , وكان صاحب الديوان يمده بالأموال من اجل أن يحفظ غيبته ويزكيه أمام الخليفة[3].

هذا فضلا عن المشاكل التي كانت تحدث بين أعضاء حكومة المستعصم والتي لعبت دورا كبيرا في تفكك رجال السلطة وانقسامهم على أنفسهم منها الخلاف الذي حدث بين الوزير مؤيد الدين محمد بن احمد العلقمي وقائد الجيش مجاهد الدين الدويدار الصغير سنة (653 هـ) فقد اتهم الوزير مجاهد الدين بأنه يتآمر على الخليفة من اجل خلعه وتنصيب ابنه الأكبر مكانه وعندما ابلغ الخليفة الدويدار بهذا الأمر أنكره وانزعج لهذا الاتهام وجمع مماليكه الذين يمثلون معظم الجيش , كذلك تعصب للوزير ابن العلقمي آخرون ووقعت فتن بين عوام بغداد وخاف الناس من هذا الأمر , ولم يتوقف هذا التوتر إلا بعد أن كتب الخليفة أمانا إلى الدويدار الصغير قرئ أمام الناس وصار اسم الدويدار يذكر بعد اسم الخليفة في الخطبة وبذلك خمدت الفتنة[4] , إلا أن هذه الأحداث ظلت تلقي بظلالها على الأحداث السياسية فيما بعد , فبعد أن زحف هولاكو نحو بغداد اقترح الوزير استرضاءه بالأموال

---

01 **الفخري , ص333 .**

02**الهمذاني , جامع التواريخ , ق2 , جـ1 , ص262؛ سوسة , احمد،الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي , مطبوعات المجمع العلمي العراقي , المجلد العاشر , مجلة المجمع العلمي العراقي , 1962م . ص43.**

03**ابن الطقطقي , الفخري , ص37.**

04 **الحوادث الجامعة , ص336 , 337 , 338 , 339 .**

ووافق الخليفة على ذلك إلا أن الدويدار الصـــغير منع الخليفة من الإقدام على هذا العمل متهما الوزير بأنه يريد أن يدبر حاله مع المغول[1].

وهكذا أصبحت بغداد ضحية للصراع بين أفراد السلطة الحاكمة كل يفكر في أمر نفسه , متناسيا واجباته تجاه المسلمين في هذه الظروف التي تمر بها الدولة العربية الإسلامية هذا إلى جانب تردي الأوضـــاع الداخلية وكثرة الاضـــطرابات والفتن بين محال بغداد والتي تغذيها نار الفتنة الطائفية وكذلك كثرة شـــغب العيارين في بغداد حتى أنهم صـــاروا يحضرون في جماعات ويأخذون ما يجدون على وجه القهر والغلبة[2] فكثر اللصوص في المدينة ففي سنة 644هـ / 1246م سرقوا مخزن المدرسة المستنصرية[3] وفي السنة التالية 645 هـــ أعادوا سرقة المدرسة ثانية[4], هذا فضلا عن تردي الأوضاع الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد بسبب كثرة الفيضانات وسيول الأمطار المتواترة لعدة سنوات وإهمال الحكومة لنظام الري ففي فيضان سنة 653هـــ / 1255م خربت أكثر دور بغداد وذهبت الزروع وتلفت الأشجار فتعذرت الأقوات وغلت الأسعار[5], وكان أسوء تلك الفيضانات هو فيضان سنة 654هـــ / 1256م الذي وقع قبل سقوط الدولة العباسية بسنتين اذ اضعف الفيضان سور المدينة وزادت دجلة زيادة عظيمة وأحاط الماء ببغداد وغرق الجانبان منها وامتلأت أسواق الجانب الشرقي ودار الخلافة ودخل الماء المدرسة النظامية[6] , ورغم هذه الظروف الصعبة التي مرت بها خلافة المستعصم بالله إلا أن عصره لم يخل من جوانب ايجابية كاهتمام الخليفة بالجانب العلمي والعمراني فقد انشأ سنة 641 هـــ / 1243م خزانة كتب , نقل أليها نفائس الكتب وســلمها إلى صـــفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموي[7] ,هذا فضـــلا عن اهتمام وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي بالعلم والمعرفة , فأنشـــأ ســـنة

---

[1] ابن الطقطقي ، الفخري ،ص353 ؛ الخليلي,جعفر, موسوعة العتبات المقدسة قسم الكاظمين , دار التعارف , بغداد , جـ2 . ص323 , 324.

[2] الحوادث الجامعة،ص321.

[3] م . ن , ص254 , 255 .

[4] م . ن , ص258 .

[5] الحوادث الجامعة ص320 ؛ سوسة , الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي , ص42.

[6] الحوادث الجامعة , ص333 , 334 , 646 ؛ سوسة , الفيضان وغرق بغداد , ص43 .

[7] ابن الطقطقي ، الفخري،ص333؛الحوادث الجامعة،ص212.

644 هـــ /1246م مكتبة خاصة به في داره , كانت تضم عدداً كبيراً من الكتب في مختلف أنواع العلوم[1].

وفي عصره شرعت حظية الخليفة وأم ولده أبي نصر المعروفة باب بشير (ت652هـــ) ببناء المدرسة البشرية بالجانب الغربي من بغداد سنة 649هـــ/1251م , وافتتحت سنة 653هـــ/1255م , وكانت على غرار المدرسة المستنصرية , اذ تدرس على وفق المذاهب الأربعة[2].

ورغم ذلك فقد كانت الظروف السياسية التي واجهتها الدولة العباسية سواء ما يتعلق بالخطر المغولي أم الفوضى الداخلية المتردية ترمي بظلالها على البلاد مما أدى إلى أن تنهي حياة هذا الخليفة على يد المغول اذ قتله هولاكو في صفر سنه 656هـ/1258م عندما اجتاح بغداد[3] , ووضع هذا الحدث نهاية الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون.

[1] الحوادث الجامعة , ص250 ؛ السبحاني , جعفر , طبقات الفقهاء في القرن السابع , مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام),مطبعة اعتماد , قم , 1419هـ ,جـ7 , ص169 ؛ آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص80.

[2] الحوادث الجامعة , ص303 , 323 , 324 .

[3] الحوادث الجامعة , ص357 ؛ اليونيني , ذيل مرآة الزمان , مج1،ق1 , ص85 ؛ المقريزي , السلوك لمعرفة دول الملوك , جـ1 , ق2 , ص409.

الفصل الاول

المبحث الثاني:

اثر الاوضاع السياسية على المجتمع البغدادي في عهد الحكم المغولي

قد يرى البعض إن مسؤولية احتلال سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م تقع على عاتق خلفاء العصر العباسي الأخير ، وهم الناصر لدين الله ، والظاهر بأمر الله . والمستنصر بالله والمستعصم بالله ، وقد يكون هذا الرأي صحيحاً إلا انه لا يجب أن نضع اللوم كله على الخليفة فقط وإنما هناك عدة عوامل أدت دورها في نهاية الخلافة العباسية.

فلو اتجهنا إلى الأقاليم الشرقية المحيطة بأراضي الخلافة العباسية واقصد بها الدولة الخوارزمية التي كانت بمثابة الحصن المنيع الذي يدفع عن الخلافة العباسية الأخطار القادمة من الشرق ، لم يلبث حاكمها علاء الدين بن تكش(617-596هـ)أن يطمع بالاستيلاء على بغداد ومحاولاته المتكررة لانتزاع السلطة من الخليفة ، اذ كان يرى ان له الحق في أن يرث عرش البويهيين والسلاجقة الذين كانوا قبله وهذا ما جعل الخليفة الناصر لدين الله ينصرف لمحاربته وصد زحفه نحو بغداد ، في حين كان من الأولى أن يتوحد الجانبان لصد الزحف المغولي نحو أقاليم الدولة العربية الإسلامية واستمر العداء بين الجانبين حتى بعد اعتلاء جلال الدين منكوبرتي بن علاء الدين محمد (617-628هـ)عرش الدولة الخوارزمية.

أما الأقاليم الشمالية والغربية المحيطة بأراضي الخلافة العباسية التي كانت تضم الجزيرة وبلاد الشام ، فرغم إنهم كانوا يلبون نداء الخلافة عندما تطلب منهم الإمدادات العسكرية لتقف متحدة مع جيش الخليفة لصد هجمات المغول ، إلا إن هذه الإمدادات كانت قليلة لا تتناسب وخطورة الموقف الذي كان يحدق بالخلافة وبالدولة العربية الإسلامية . ويمكن اعتبارها امدادت رمزية . كما إن اغلبها وصلت متأخرة ويمكن تعليل ذلك هو خوف حكام الأطراف على مناصبهم من منافسيهم ومن الأقاليم المجاورة لهم هذا فضلا عن تهديد الحملات الصليبية لتلك الأقاليم ولذلك كانت مساعداتهم للخلافة لا تناسب وحجم الكارثة التي تتعرض لها الدولة العربية الإسلامية.

ومهما تعددت الأسباب والعوامل التي أدت إلى إنهاء الخلافة العباسية ، فأن الغزو المغولي لبغداد كان جزءا من حركة واسعة تستهدف إقامة إمبراطورية مغولية واسعة نجحت أيام مؤسسها جنكيز خان باحتلال إمبراطورية الصين الشمالية وأواسط آسيا وإيران وجورجيا والقفقاس وروسيا وبولندة وأجزاء أخرى من أوربا الشرقية[1]، واستمرت حملات الغزاة هذه حتى بعد وفاة جنكيز خان سنة 624هـ ، وتنصيب ابنه أوغوتاي أو (أوكتاي) خلفا له حيث أرسل بجيوشه للقضاء على الدولة الخوارزمية سنة 628هـ ، فأصبح الطريق مفتوحا أمام الغزاة للتوجه نحو بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وهذا ما تم فعلا على يد قائد المغول هولاكو الذي استباح بغداد سنة 656هـ وقتل الخليفة ، وغالبية أهل بيته ، هذا فضلا عن قتلهم النساء والأطفال والشيوخ من دون تمييز بين طوائف المجتمع ، كما أشاعوا الفوضى في البلاد من قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب[2]، ولم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ، ماعدا النصارى فقد عين لهم أشخاص يحرسون بيوتهم والتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم ، وكان ببغداد جماعة من التجار ممن كانوا يعرفون أمراء المغول وحصلوا منهم على أوامر بعدم التعرض لهم وعين لهم من يحرس بيوتهم والتجأ إليهم جماعة من جيرانهم فسلموا ، وكذلك دار الوزير ابن العلقمي ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي، وقد سلم فيها خلق كثير وألقيت النار في معظم البلد ومنها جامع الخليفة ومشهد موسى الكاظم (عليهم السلام) ومراقد الخلفاء وكان القتلى في الأسواق والدروب كالتلال ، وقعت عليهم الأمطار وداستهم الخيول فتغيرت صورهم[3].

وقد اختلف المؤرخون في عدد من قتل في واقعة بغداد ، فذكر أن عدد القتلى زادوا عن ثمانمائة ألف نفس عدا ما القي في الوحل من الأطفال ومن هلك في القنى والآبار وسراديب

---

[1]خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص1.

[2] ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص271 ؛ الحوادث الجامعة ، ص359 ؛ الصالح ، عباس علوان ، نصير الدين الطوسي واستيلاء المغول على بغداد ، مجلة الرسالة ، العدد 46 ، السنة الثانية ، 1934م ، ص758.

[3]ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 272 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 360 ؛ الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة قسم الكاظمين ، ص 337 .

الموتى جوعا وخوفا[1] ، وهناك من قدر ان عدد الموتى بلغ ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة[2] ، وأشـــار ابن كثير إلى اختلاف الروايات في تقدير من قتل في الواقعة حتى قال البعض إنهم بلغوا ثمانمائة ألف، وذكر آخرون ألف ألف وثمانمائة، وقال غيرهم ألف ألف نســـمة[3] ومهما تعددت الروايات حول عدد القتلى[4] ، فالنتيجة هي واحدة هو ان أي غزو لمدينة ما ســـيخلف وراءه عدداً من الضـــحايا والخراب والدمار هذا إذا علمنا إن الغزاة المغول هم بالأصــــل أقوام وثنية تعيش على هجماتها المتكررة لاســـتباحة المدن ونهب خيراتها[5] ، وهذا ما حل ببغداد ، فقد خلت المدينة من السكان إلا القليل منهم ، وأصابها من الخراب الشـيء الكثير[6] ، قد وصـفها ابن الكازروني بقوله " وافيتها بلدة خالية وأمة جالية ، ودمنة حائلة ، ومحنة جاثمة وقصـورا خاوية ، وعراصـا باكية ، قد رحل عنها سـكانها ، وبان عنها قطانها وتمزقوا في البلاد ، ونزلوا بكل واد ، وقصـــورها المشـــيدة مهدومة ونعماؤها مسلوبة معدومة ، موحشة لفقد قطانها ، باكية بلسان الحل على سكانها "[7].

---

[1] الحوادث الجامعة ، ص 360.

[2] الذهبي ، دول الإسلام ، جـ 2 ، ص 121 .

[3] البداية والنهاية جـ13،ص202.

[4] يرى الأسـتاذ الدكتور جعفر خصـباك " إن هذه الأرقام مبالغ فيها عن عدد من قتل في هذه الواقعة حيث ذكر أن أسـوار بغداد كانت تضـم الرقعة المحصـورة بين باب المعظم الحالي والباب الشـرقي من جهة ، وتمتد بعيدا عن النهر حتى مبنى الأسلحة الحالي ، وهي مساحة صغيرة نسبيا لا يمكن أن تضم ملايين من السكان ، واستدل على سـلامة الكثير من أهلها من القتل ، بعودة الازدهار والنشـاط إلى المدينة بعد حقبة قصـيرة ، كما يذكر أن بغداد لم تكن أواخر العصـر العباســي مدينة مزدحمة السـكان بل كانت تعاني من الخراب منذ حقبة طويلة قبل الغزو المغولي.(العراق في عهد المغول الايلخانين، ص 56).

[5] القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ، 1970 ، ص2، 19- 28.

[6] ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـــ 1 ، ص163 ؛ لسترنج ، غي ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، بغداد 1936م ، ص294 ؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 106

[7] مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباســية ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، بغداد ، 1962م ، ص 15

هذا ومهما ذكرت المصـــادر عن مدى الخراب الذي نال المدينة من أثر الغزو المغولي لها فأن احتلال بغداد وزوال الخلافة العباسية لم يكن حدثا اعتيادياً لكي يمر من دون تأثير على المجتمع البغدادي والمجتمع الإسلامي ككل ، فقد رثى الشعراء نكبة بغداد وسقوط الخلافة العباسية ، ومنهم الشاعر شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ:

يا دارُ اين الساكنون ؟ وايـن ذ	ياكَ البهاءُ وذلك الاعظــامُ !؟
يا دارُ اين زمانُ ربعكِ مونقــاً	وشعارُكِ الاجلالُ والاكــرامُ !؟
يا دارُ مذ أفلت نجومُك عّمنــا	والله من بعدِ الضياء ظـــلامُ
فلبعدهم قَرُبَ الردى ولفقدهــم	فُقدَ الهدى وتزلزلَ الاســـلامُ
فمتى قبلتِ من الاعادي ساكنـا	بعد الاحبّةِ لاسقاك غمـــامُ[1]

ولم يكن تأثير هذه النكبة مقتصــراً على ســكان المدينة وإنما أثرت على مكانة بغداد الدينية والســياســية ، ففضــلا عن إنها كانت مركزا رئيســياً لقاعدة الخلافة الإســلامية التي تمثل الســلطان الروحي الذي يجمع ولاء المســلمين ويشــد بعضــهم إلى بعض ، فهي كانت في الوقت نفسه مركزا للنشاط السياسي للعالم الإسلامي فمنها تصدر التقاليد والتشريفات التي كانت تضـفي الشـرعية على حكم أمراء المسـلمين واليها يلجأ هؤلاء الأمراء عند تعرضـهم لاعتداءات الخارجية لكي تأخذ بأيديهم وترد عنهم بما ترسـله من رسـل وأوامر ، وفضــلا عن إنها مجمع العلماء والأدباء المفكرين ومقصـــد لطلاب العلم ومنبع للتراث الإنســـاني ، فبســـقوطها فقدت بغداد زعامتها للعالم الإســـلامي، وتحولت إلى مدينة ثانوية تابعة لحكم المغول الغزاة مرغمين ســـكانها على تقديم الولاء للحاكم الوثني بدلا من إمام المســـلمين

[1] ينظر القصيدة كاملة عند: الكتبي، فوات الوفيات ، جـــ 1 ، ص 497 ، 498 ؛ العبود ، عبد الكريم توفيق ، الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ،دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ،1976،ص 180.

ورغم ذلك فان الشعور الديني لم يضعف لدى الناس ، فقد اشتد عندهم للدفاع على الأقل عن وجوده ، وخير دليل على ذلك هو اعتناق بعض الغزاة المغول للدين الإسلامي بعد أقل من ثلاثين سنة من سقوط الخلافة العباسية[1].

هذا ولم تقتصر خسارة بغداد لفقدها مكانتها كقاعدة للخلافة الإسلامية وإنما طال ذلك أيضا نتاجها العلمي والفكري ، فقد شهدت المدينة ضياع العديد من الكتب القيمة وتلفها ، على اثر الحرق والتدمير الذي رافق عملية غزو المغول ، فمن جراء ذلك فقد الكثير من المؤلفات العلمية التي نقرأ عن أسمائها ولا نجدها[2] . وقد أشارت المصادر التاريخية إلى هذه الخسارة رغم المبالغة في وصفها بالقول " إن المغول بنوا إسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن وذكر مصدر آخر إن أمواج دجلة ابتلعت الكثير من الكتب حتى قيل أن لون مائه قد تغير[3]، والقليل الذي حفظ بعد الواقعة ، هو ما بيع لأهل الحلة والكوفة والمسيب الذين كانوا يجلبون الأطعمة إلى بغداد ويبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة بابخس الأثمان[4]، وأورد البعض عما أصاب الكتب من ضياع بقوله " بأنها ذهبت فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وأعفيت آثارها"[5].

---

[1] ارنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد ، القاهرة ، 1957م ، ص 254 ، 258 ، 260 ؛ بدر ، مصطفى طه ، مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، القاهرة ، د.ت ، ص 12 ؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 110.

[2] ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، ص 290 ، 294 ؛ ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد(ت 852هـــ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق سالم الكرنكوي، حيدر أباد الدكن ، 1348هـ ، جـ 3 ، ص 119 ، 129 ؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 112 ، راجع حول هذا الموضوع كتاب الأستاذ الدكتور آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، ص 97 ، 98.

[3] ابن الساعي ،مختصر أخبار الخلفاء،ص127.

[4] الحوادث الجامعة ، ص 361 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 98 ، 99 .

[5] القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه علق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، جـ 1 ، ص 537 .

وتشير بعض المصادر إلى نقل كتب مهمة من بغداد إلى مراغة حيث ذكر إن نصير الدين الطوسي[1] الذي رافق هولاكو عند غزوه بغداد كان قد أسس مرصدا بمراغة فيه خزانة كتب مهمة ملأها من كتب بغداد وغيرها من المدن " حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد" [2] وقد ذكر ابن كثير ذلك أيضا بقوله " نقل إليه – أي الرصد – شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد "[3].

---

[1] نصير الدين الطوسي : هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ولد بطوس سنة 597هـ ، وتوفي ببغداد في 18 ذي الحجة سنة 672هـ ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر – عليه السلام – من رجال الفكر الإسلامي في الفلسفة والرياضيات ، والفلك والسياسة والأدب ، كريم الطبع لين العريكة ، حاد الذهن ، سريع البديهة ، طويل الأناة ، أغنى المكتبة العربية الإسلامية بنتاجه حتى زاد عدد كتبه عن السبعين كتابا ، عاش متنقلا بين قم ونيسابور وقهستان وبغداد ، والحلة ، ومراغة ، وكانت قمة نشاطه في التأليف في تلك الفترة التي قضاها بين الإسماعيلية ، وكان قد التحق بهم قبيل استيلاء المغول على خراسان وما جاورها فكان موضع حفاوة وتقدير عندهم ، ألف العديد من الكتب منها (تحرير أصول اقليدس) ، (الفرائض النصيرية) ، (رسالة في الإمامة) و (رسالة في العصمة) ، وكتب أخرى في التنجيم والفلك ، وبعد أن قضى هولاكو على قلاع الإسماعيلية طلب منه مصاحبته في حملته على بغداد انطلاقا من إيمانه بالغيبيات وتأثير النجوم ، وما بلغه عن نصير الدين من مهارة بهذا الشأن ، فاستجاب الأخير ورافقه حتى أصبح مستشاره الخاص ، واشتهر نصير الدين ببنائه (مرصد مراغة) الذائع الصيت وصرف عليه الشيء الكثير من المال وشيد إلى جانبه مكتبه ضخمة استطاع أن يسترد بسببها أكثر الكتب التي نهبها المغول عند احتلالهم بغداد ، هذا فضلا عن اجتذابه الكثير من المفكرين وإنقاذهم من مصيرهم المحتوم حيث كان القتل ينتظرهم خلال احتلال المغول بغداد فجاء بهم إلى مراغة ووفر لهم كل ما يحتاجون إليه ، من مؤلفاته الأخرى " رسالة فتح بغداد " . ينظر الحوادث الجامعة ، ص 171 ، 382 ، 411 ؛ اليونيني ، ذيل ، مرآة الزمان ،جـ 3 ، ص 79 ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ 2 ، ص 307 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 13 ق1، ص 267 ، 268 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ 7 ، ص 245 ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ 1 ، ق 1 ، ص 614 ؛ مصطفى جواد ، مقدمة كتاب ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ 4 ، ق 1 ، ص 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ؛ الهاشمي ، محمد ، الفكر العربي جذوره وثماره ، شيكاغو ، 1997م ، ص 126 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، السبحاني ، موسوعة طبقات الفقهاء ، جـ 7 ، ص 243 ، 245.

[2] الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ 2 ، ص 307 ، 208 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 103 ، السبحاني ، موسوعة طبقات الفقهاء ، جـ 7 ، ص 245.

[3] البداية والنهاية في التاريخ ، جـ 13 ، ص 215 ، 268.

هذا وقد طالت عملية غزو المغول لبغداد رجال العلم والفكر ، فقد ورد ذكر أسماء من قتل في هذه الواقعة وهم : " محي الدين ابن الجوزي أستاذ الدار ، وولده جمال الدين عبد الرحمن وأخوه شرف الدين عبد الله ، وأخوه تاج الدين عبد الكريم ، وشيخ الشيوخ صدر الدين علي بن النيار ، وشرف الدين عبد الله محمد، وبهاء الدين داود ابن المختار ، والنقيب الطاهر شمس الدين علي بن المختار ، وشرف الدين محمد بن طاووس ، وتقي الدين عبد الرحمن بن الطبال وكيل الخليفة "[1].

ويذكر نصير الدين الطوسي قوله " أمر السلطان أن ترسل ست رسائل بواسطة النشاب لجماعة السادة والعلماء والأركان والمشايخ وغيرهم ليفهموهم بان الجيوش المغولية لا تتحرش بهم إن القوا سلاحهم وكانوا في حياد"[2] ، وذكر إن " الخليفة قابل الملك – يقصد هولاكو – في باب كلواذ – بجمع غفير من السادة والأئمة والمشايخ والأركان"[3] ، ولكن لم يذكر في نص رسالته قتل المغول لهذا الجمع الغفير ، ويدل هذا النص على طلب المغول من العلماء والسادة والعامة بعدم المقاومة والالتزام بالحياد فهو بذلك يأمن على نفسه ، وقد أشار ابن العبري إلى ما ذكره الطوسي بالمعنى نفسه فقال : " وأمر هولاكو البيتكجية ليكتبوا على السهام بالعربية : إن الاركاونية والعلويين والداذنشمندية وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله وكانوا يرمونها إلى المدينة "[4].

هذا ويتفق مصدر آخر فيما ذكره الطوسي وابن العبري إلا انه يضيف نصا آخر لتوضيح ما ذكر حيث يقول " أمر الملك بأن يكتب ستة منشورات تفيد بأن القضاة والعلماء والشيوخ والسادات والتجار وكل من لا يحاربنا ، لهم الأمان منا ، وربطوا هذه المنشورات بالنبال وألقوها على المدينة من جوانبها الستة "[5] ثم يذكر خروج الخليفة إلى هولاكو عندما وجد إن لا مناص منه " وكان معه ثلاثة الآلف من السادات والأئمة والقضاة والأكابر واعيان

(1) الحوادث الجامعة ، ص 358 ، 359 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 113.

(2) الصالح ، رسالة استيلاء المغول على بغداد ، ص 759،758.

(3) م. ن، ص 758 ، 759.

(4) تاريخ مختصر الدول ، ص 271 وقد ورد في الصفحة نفسها ، هامش رقم(3) ان الاركاونية (أي أتباع أركون) ومعناه الدهقان العظيم وهي كلمة يونانية وهامش رقم (4) الداذنشمدية أي (الدانشمدية).

(5)الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 287

المدينة ... ثم أمر – يقصـــد هولاكو – بأن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه ببوابة كلواذي في معسكر كيتوبوقانويان ، ونزلوا فيها وعهدوا بحراستهم إلى عدد من المغول "[1].

ثم يذكر قتلهم الخليفة في اليوم الرابع عشر من صفر " وفي اليوم التالي قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذي"[2].

ويذكر ابن ألفوطي الذي كان قد أسر من قبل المغول[3]، إن عدد من قتل من رجال العلم في هذه الواقعة لا يتجاوز أربعة عشر شهيدا[4].

ومهما كانت المبالغة والاقتضـــاب في المصـــادر حول من قتل في واقعة بغداد فيكفي أنها أشـــارت إلى مقتل الخليفة وأهل بيته وأوردت أرقاما قد تكون مبالغاً فيها إلا إنها لا تعفي المغول من مســـؤولية قتلهم للعلماء والفقهاء ، أو حتى تشـــريدهم في البلاد فقد فر البعض منهم بدينه وعلمه إلى بلاد الشـــام والقاهرة بحثا عن الاســـتقرار وقد يكون قد نقل معه ما شـــاهده من مأســـاة على يد الغزاة المغول[5]، لهذا نرى إن بعض مؤرخينا في بلاد الشـــام ومصر قد أكدوا قتل العلماء والفقهاء والمجازر التي أحدثها الغزاة ببغداد[6].

---

(1) م . ن ، م 2 ، جـ 1 ، ص 290 ، 291 .

(2) م . ن ، م 2 ، جـ 1 ، ص 294 .

(3) ينظر حول هذا الموضوع مقدمة لــ مصطفى جواد في كتاب (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) ، جـ 4 ، ق 1 ، ص 16 .

(4) ينظر كتاب د. آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، حيث أورد إحصائية بأسماء الأربعة عشر من رجال العلم الذين استشهدوا في تلك الواقعة ، هذا فضلا عن ذكره للمصادر التي عالجت هذا الموضوع راجع الصفحات 119 و 120 و 121 .

(5) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 133 .

(6) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جــ 1 ، ق 1 ، ص 88 ، 89 ؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر، جــ 3 ، ص 194 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـــــ 13 ، ص 201 ؛ آل ياســين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 123 ، 124 ، 125.

هذا ويجب أن لا ننسى انه قد يكون بعض العلماء والفقهاء قد طلبوا الأمان من هولاكو عند دخوله بغداد ، وقد أمنوا على أنفسهم ولم يصابوا بمكروه بل على العكس فقد أسندت لهم مناصب مهمة بعد الغزو المغولي هذا فضلا عن استمرارهم بنشاطهم العلمي[1].
وقد انعكست أثار الغزو المغولي على الحياة الاقتصادية للمجتمع البغدادي ، اذ كان الناس في قلق تام نتيجة وصول جيوش الغزاة ، فغلت الأسعار[2] ، وحدثت المجاعات، وهجر الناس قراهم ومزارعهم الواقعة شرقي بغداد قبل أكثر من عشرين سنة من سقوط المدينة بسبب تعرضهم لهجمات المغول المستمرة فخلال تقدم هولاكو إلى بغداد ، كان الطريق الذي سلكه للوصول إليها قد خلا من ساكنيه وتحولت مدنه وقراه إلى خراب[3] ، وقد أمر هولاكو بعد انتهاء عمليات الاستباحة بإصلاح ما خرب من المدينة وترميم الأسواق وإعادة أعمال أهلها إلى ما كانت عليه سابقا ورفع القتلى من الناس والحيوانات[4].
وهكذا اجبر أهل بغداد وغيرهم من المسلمين الذين استولى المغول على بلادهم للرضوخ للسلطان الجديد وبدء عهد مهم في تاريخ المدينة ، فالناس أرغموا على تقديم الولاء للحاكم الوثني بدلا من إمام المسلمين ، على إن الحكام الجدد كانوا لا يتعصبون لمذهب معين ولا يتقربون لطائفة معينة أو دين خاص ، فمنهم " من دان باليهودية ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من اطرح الجميع ، ومنهم من تقرب بالأصنام"[5] وكان اهتمام هؤلاء الحكام

[1] حيث جاء في الحوادث الجامعة ، ص 362 إن بعد واقعة بغداد(عين عماد الدين القزويني نائب عن الأمير المغولي ، فكان يحضر الديوان مع الجماعة ، وكان ذا دين ومروءة ، وعين علي شهاب الدين بن عبد الله صدرا في الوقف ، وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة وكان قد احرق ، ثم فتح المدارس والربط ، واثبت الفقهاء والصوفية ، وأدر عليهم الاخباز والمشاهرات). وهذا النص يدل على إن المدينة لم تخل من الفقهاء ورجال العلم.

[2] الحوادث الجامعة ، ص 351.

[3] القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 114.

[4] الصالح ، نصير الدين الطوسي واستيلاء المغول على بغداد ، ص 857 ؛ خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 57 .

[5] الجويني ، علاء الدين عطا ملك (ت 681هـ) ، تاريخ جهانكشاي ، تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني ، ليدن ، 1916 ، جـ 1 ، ص 18 ؛ القزويني ، حمد الله بن أبي بكر (ت 750هـ) تاريخ كزيدة ، تحقيق ونشر براون ، لندن ، 1328هـ ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، جـ 4 ، ص 310 ؛ الصياد ، المغول

ينصب على إخضاع الناس لسلطانهم وتأمين جباية الأموال دون التعرض للمسائل الأخرى واقصد بها العادات والتقاليد والشعائر الدينية التي يمارسها الناس . وقد أشار برصوما اخو أبي الفرج ابن العبري ، عن طبيعة الغزاة المغول بقوله " إن المغول ... لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي ، فهم يسوسونهم بصولجان واحد ، وإذا اختلف إليهم احد وقدم شيئاً من المال التقفوه منه وعززوه ولبوا طلبه مهما كان . سواء أكان متضلعا خبيرا أم جاهلا غنيا ، إنما يطلبون خدمه متواصلة وخضوعا وانقيادا تاما"[1] ، يؤيد ذلك ما ورد في نصائح الإمبراطور (مانغوخان) لأخيه هولاكو عند توجيه لفتح الأقاليم الغربية ومنها العراق إذ نص على ضرورة التزامه بتقاليد جنكيزخان وقوانينه في كل صغيرة وكبيرة من أموره وبعدم التعرض لخليفة بغداد مطلقا إذا بادر بتقديم فروض الطاعة " أما إذا تكبر وعصى"[2] فما عليه إلا إلحاقه " بالآخرين من الهالكين"[3] كما أوصاه بحسن معاملة من يطيعه ويتجنب نواهيه من سكان البلاد الممتدة من جيحون حتى أقاص مصر بأنواع اللطف والعطف والإنعام وبإغراق من يعصيه بالذلة والمهانة والهلاك . ونصحه باتخاذ العقل والحكمة والسداد رائدا له في جميع الأحوال . وبتخفيف التكاليف والمؤن عن الرعية والترفيه عنهم[4].

وشملت الحرية الدينية التي تمتع بها سكان بغداد في الحقبة الأولى من الحكم الايلخاني[5](656-694هـ) الطوائف الدينية غير المسلمة أيضا ، فقد اهتم المغول الأوائل

في التاريخ ، ص 94 ، 98. آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 133 . ويشير ابن الأثير بقوله عن ديانة المغول " أما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس " ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 329 .

[1] آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 134 نقلا عن تاريخ الدولة السرياني ، ترجمة اسحق أرملة السرياني ، مجلة المشرق لسنة 1956.

[2] الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 236 ، 237 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 134 .

[3] الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 236 ، 237 .

[4] الهمداني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 236 ، 237 .

[5] الايلخان : لفظة تركية معناها سيد القبيلة ، وهو الزعيم الإقطاعي التابع للخاقان الذي كان يقيم في قراقورم ، وهو لقب اتخذه هولاكو لنفسه . ينظر : حتى ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، بيروت ، 1950م ، جـ 2 ، ص 584.

بنصارى بغداد ، فلم يصب هؤلاء بأذى[1]، ولعل سبب ذلك يرجع إلى رغبة هولاكو في رد جميل الكتيبة الارمنية (من أهل جورجيا) المشتركة مع قواته في فتح بغداد تلك الكتيبة التي كان أفرادها - على ما يبدو - متحمسين للتنكيل بالناس من جهة[2] والى تأثير زوجة هولاكو دوقوزخاتون(المؤمنة بالمسيحية) من جهة ثانية ، فقد " كانت عظيمة في رأيها وخبرتها"[3] مما دفع الإمبراطور المغولي أن يوصـــي أخاه هولاكو بمشـــاورتها في جميع القضـــايا والشؤون[4] ، وخير دليل على اهتمام المغول بنصارى بغداد هو إنعام هولاكو فور الانتهاء من عملية اســـتباحة المدينة على الجاثليق[5] بدار الدويدار الكبير علاء الدين الطبرســـي الواقعة على شـــاطئ دجلة ، فســـكنها وعمر فيها بيعة جديدة "ودق الناقوس على أعلاها ، واستولى على دار الفلك التي كانت رباط للنســاء ... وعلى الرباط ألبشـيري المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضا عنها بالسرياني"[6].

غير إن هذه الســياســة المرنة التي تمتع بها النصــارى في النصــف الأول من حكم المغول تبدلت في عهد السلطان محمود غازان(694 – 703هـــ) الذي اعتنق الإسلام وجعله دينا رسميا للدولة ، فأتخذ موقفا حاسما تجاه النصارى فأسترجع منهم دار الدويدار والرباطان ، وأزيلت منها المعالم المسـيحية من قبور وتماثيل وكتابات سـريانية , وألزم النصــارى شـد الزنار في أوساطهم ، واضطهدوا اضطهادا شديدا[7]، أما أليهود فلم يرد ذكر خاص بشأنهم في واقعة بغداد ولم تشــر المصـــادر إلى عناية المغول بهم أو تمييزهم في المعاملة ، ويبدو

---

(1) الحوادث المجامعة ، ص 359 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 163.

(2)خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، ص 55 .

(3) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 263 ، 285.

(4) الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 237 .

(5) الجاثليق: هو الرئيس الديني الأعلى لبعض طوائف النصارى في البلاد.

(6) الحوادث الجامعة ، ص 362 ، 363.

(7) الحوادث الجامعة ، ص 523 ؛ بابو اسـحق ، رفائيل ، تاريخ نصــارى العراق ، مطبعة المنصــور ، بغداد ، 1948 ، ص 112 ؛ الكرملي ، الأب انستاس ماري ، الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ، بغداد ، 1329هـــ ، ص 16.

أنهم تعرضـــوا لما تعرض له ســـائر الســـكان ، إلا إنهم نالوا حظوه في عهد الســـلطان أرغون(683 –690هـ) اذ تميز عصره بسيطرة اليهود على الإدارة الايلخانية[1].
وقبل أن يغادر هولاكو المدينة سنة 656هـ ، وضع الأساس الإداري لها ، اذ ذكر انه " في اليوم نفسه الذي قتل فيه الخليفة عين علي بهادر الخراساني شحنة ومؤيد الدين ابن العلقمي وزيرا وفخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان"[2] ، وحضـر نجم الدين احمد بن عمران وهو من أهل باجسرا بين يدي السلطان فعينه صدر الأعمال الشرقية وأقضى القضاة عبد المنعم البندنيجي فأقره على القضـــاء . وتاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب في عهد الخليفة فعينه صدر الأعمال الفراتية[3]، وكان جميع هؤلاء باستثناء الشحنة من أهل البلاد والعارفين بشؤونها والمشتغلين بإدارتها في زمن الخليفة المستعصم بالله ، ويبدو إن هولاكو قد استعان بهم نظرا لخبرتهم وللاستفادة منهم ريثما يتوفر له من الموظفين من يسد محلهم ، وقد قرر هؤلاء أحوال البلاد فعينوا الموظفين واحتفظوا بالوظائف الإدارية الضـــرورية وألغوا وظائف أخرى أو قلصـــوها وعينوا في بغداد كاتب الســـلة[4]، ونائب شـــرطة[5]، وخازن ديوان وصدر وقف وهي وظائف عباسية قديمة[6]، وقسموا البلاد إلى خمس مناطق إدارية ، وضـــعوا على رأس كل منها موظفا باســـم صـــدر[7] ثم عينَ النواب أي الموظفين

---

[1] الحوادث الجامعة ، ص 499 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 167 ، غنيمة ، يوسف رزق الله ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001م ، ص 150 .

[2] الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 295.

[3] الحوادث الجامعة ، ص 361 .

[4] كاتب الســلة : المراد بالســلة هنا ما تحفظ فيه بعض الكتابات الديوانية ، وكاتب الســلة هو المعني بحفظها وتنظيمها ، وممن تولى كتابة السلة بعداحتلال بغداد سنة 656هـــ في دولة هولاكو الأديب عز الدين بن أبي الحديد ، إلا انه لم تطل أيامه فتوفي في نفس الســـنة فرتب عوضـــه ابن الجمل النصـــراني . ينظر : الحوادث الجامعة ، ص 362 ؛ فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 144.

[5] نائب الشرطة : كان عمله يعتمد على التحقيق والتفتيش والتجسس ، وقد ذكرت المصادر إن نائب الشرطة يستلم الأوامر من حاجب باب النوبي وهو من أتباعه . ينظر : ابن الساعي ، المختصر ، جـ 9 ، مقدمة المحقق ، ص يب ؛ الحوادث الجامعة ، ص 362.

[6] الحوادث الجامعة ، ص 362 ؛ فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 141.

[7] الصـــدر:وظيفة اكبر من وظيفة الناظر ، ويتولى رئاســـة الدواوين الكبرى كصـــدرية المخزن – الذي يشـــبه وزارة المالية او التموين – أو إدارة احد الولايات كصدرية واسط أو صدرية الوقوف ... الخ ينظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـــ 9 ، مقدمة المحقق ص ض ، فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 127.

والنظار ، وقد كانت بغداد مركزا لدواوين عديدة تشـرف على إدارة شـؤون العراق العامة كديوان الزمام [1] ، وديوان الإنشــاء [2]، وديوان ألجوالي[3] ، وديوان عرض الجيش[4]. وديوان المقاطعات[5] ، يرأس كل منها موظف كبير يطلق عليه صدرا وناظر ومعه مراقب أو مفتش أو مساعد باسم مشرف ، وكان في كل منطقة إدارية من مناطق البلاد ديوان يقوم على إدارتها ، يرأسه صدر أو ناظر ومعه مشرف ، ويبدو إن بعضها كان له ، فضلا عن ذلك ديوان خاص في بغداد[6] ؛ وفي العهد المغولي ألغيت هذه الدواوين واســتعيض عنها بديوان واحد واسـع هو ديوان الزمام الذي كان ديوان الدواوين في أواخر العهد العباســي ، وكان يشرف على شؤون الدولة المالية ، وكان صدره ويسمى أحيانا صاحب الديوان أقرب الصــدور للخليفة يبدو أن أكثر الدواويين قد ألغيت بعد سـقوط الخلافة العباسـية واسـتبقى ديوان الوزير وكذلك ديوان الزمام ، ثم بعد ذلك أدمجا في ديوان واحد صـار رئيسـه يسمى بـــ (صاحب الديوان) ، ويبدو إن ذلك حدث بعد وفاة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي وابنه عز الدين ، اللذين اشـغلا منصـب الوزارة في بغداد خلال السـنة الأولى من احتلال المغول

---

(1) ديوان الزمام : استحدث هذا الديوان في زمن الخليفة المهدي سنة 162هــ / 778م ، وهذا الديوان يشرف على أعمال الدواوين الأخرى ومراقبة الناحية المالية . ينظر :فهد، تاريخ العراق في العصـر العباســي الأخير ، ص 154 .

(2) ديوان الإنشاء : ومهمة هذا الديوان هو صياغة الكلام وترتيب المعاني في المكاتبات والولايات والمسامحات والاطلاقات ومناشـير الاقطاعات ، الصـادرة من الخليفة أو الوزير ، ولذلك سـمي متوليه بالكاتب أو المنشـئ . ينظر ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 1 ، ص 54.

(3) ديوان ألجوالي : ألجوالي هم أهل الذمـة ، وتتركز مهمـة ديوان ألجوالي بجمع الجزيـة من أهل الذمـة ، ومعرفة أحوالهم وعددهم . ينظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جــ 9 ، مقدمة المحقق ، ص ض النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1929 ، جـ 8 ، ص 242 .

(4)ديوان عرض الجيش : العارض " من يعرض العســكر ويحفظ أرزاقهم ويوصـــلها إليهم ، ويعرضـــهم على الملك إذا احتاج إلى ذلك ، فعلى العارض إذن معرفة العساكر وعرض أسمائهم . ينظر :ابن الساعي، الجامع المختصر؛ح 9،ص ظ،ض فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي ، 244.

(5) ديوان المقاطعات : يختص هذا الديوان بالنظر في شـؤون الاقطاعات التي تمنحها الدولة للمقطعين ، وتعيين من طرفها شـخص يسـمى النـاظر أو المشرف ليكون مسؤولا عن إحصـاء خارجها وتقديم بذلك تقارير سنويـة ، وكان هذا الديوان يسـمى سـابقا ديوان الضـياع والنفقات . ينظر : ابن السـاعي ، الجامع المختصـر ، جـــ 9 ، مقدمة المحقق ص ع ؛ فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي ، ص 162 .

(6) ابن السـاعي ، الجامع المختصـر ، جــــ 9 ، مقدمة المحقق ؛ فهد ، تاريخ العراق في العصـر العباسـي ، ص 141 وما بعدها .

للعراق[1]، هذا ولم يكن لمنصب الوزارة أي أهمية تذكر نظرا لاعتماد هولاكو عند تنظيمه بغداد أسلوب الحكم
المركزي اذ أن الموظفين من وزير وصاحب الديوان كانوا يفدون إليه ليعرضوا عليه حال البلاد وتطورها الاقتصادي والعمراني[2].
بعدها غادر هولاكو بغداد نحو مراغة واتخذها عاصمة له[3]، وأصبحت بغداد تابعة لها ، وعرف النظام الذي حل محل الخلافة العباسية في بغداد بالايلخاني نسبة إلى اللقب الذي اتخذه هولاكو[4]، وقد فوض الأخير إلى المغول متمثلة في الشحنة علي بهادر الخراساني ،فضلا عن فرقة من الجيش المغولي مكونة من ثلاثة آلاف جندي يقودهم ايلكانويان وقرابوقا ، لتقوم بحفظ الأمن الداخلي والدفاع الخارجي ، فضلا عن قيامها مؤقتا بأمر أعمار البلاد بعد التخريب الذي كان قد أصابها[5].
أما الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، فبعد عودته من معسكر هولاكو ، قاموا بتنظيم إدارة البلاد فتم اختيار الصدور والنظار والنواب[6]، وقد أختار الوزير بعض الموظفين لمساعدته فأبقى عز الدين بن أبي الحديد في كتابه السلة وعين لنيابة الشرطة عز الدين بن الموسوي ، وأعطى خزانة الديوان للشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش[7] ، هذا ولشدة اهتمام المغول في دعم الجهاز الإداري في بغداد ، أنهم ورثوا مناصبه لتحقيق ذلك، فبعد أشهر قليلة من قيامه

---

(1) خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 67 ؛ رؤوف ، حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (11) لسنة 1979 ، ص 57 ، 58 ، 59.
(2) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ،ص 144
(3) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، تحقيق رينود وديسلان ، باريس ، 1815 ،ص398 ،399 ،لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة، بغداد،1954، ص199.
(4) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ،جـ3 ، ص123 ،حتي ، تاريخ العرب ،جـ 2 ، ص584.
(5) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص272؛ الهمذاني ؛ جامع التواريخ ،م2، جـ1،ص295؛ الحوادث الجامعة ،ص361؛ العزاوي ،عباس ،تاريخ العراق بين احتلالين ،بغداد 1935،جـ1،ص201
(6) الحوادث الجامعة ،ص362؛العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ،جـ1،ص202
(7) م . ن، ص362

توفي الوزير ابن العلقمي ، فخلفه ابنه عز الدين أبو الفضل[1]، وتوفي كذلك تاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب الذي كان قد خرج مع الوزير إلى هولاكو فولاه صـــدر الأعمال الفراتية ،فخلفه ابنه مجد الدين حســين[2] ،وقد كان الجهاز الإداري لمدينة بغداد مرتبط مباشـرة مع هولاكو حيث يتسـلم توجيهات من المغول ، وكانت السـلطة الفعلية في البلاد تخضــع لهم وبالتحديد بيد الشـحنة المغولي وليس بيد الوزير الذي كان كثيرا ما يتعرض لأحتقار الشـحنة وسـوء معاملته[3]،ولما توفي الوزير عز الدين أبو الفضــل محمد في ذي الحجة سنة 657هـ،لم يرغب المغول في تعيين أو إسناد منصب الوزارة لشخص أخر بل أصـبح منصـب صـاحب الديوان يسـد محله[4]،وخلال هذه الحقبة توجه فخر الدين ابن الدامغاني إلى بلاط (الاردو) ،ويبدو انه أراد أن يكون نائبا عن الأمير المغولي في بغداد ،فعرض أمور البلاد ،واستطاع أن يكسب رضا هولاكو ،بما ذكره من حسن سير الإدارة في بغداد ،وكان الايلخان قد أوشـك على أن يفوض إليه إدارة البلاد ، لولا أن وشـى به نجم الدين بن عمران حيث اتهمه بأنه أطلق من سـجن المدائن احد أبناء الأسـرة العباسـية ،فأمر هولاكو باعتقاله، حيث توفي بعد ذلك ، واسـند الايلخان أعمال الديوان إلى الصـدر نجم الدين بن المعين ،إلا انه لم يطل به الأجل فقد توفي عند وصوله بغداد[5].

وفي سنة 657هـ أسند منصب صاحب الديوان إلى علاء الدين عطا ملك الجويني[6] ،وقد اسـتطاع أعادة الأمن والاسـتقرار إلى البلاد ،فتوفرت خيراتها وزاد رخاؤها ، حتى قيل إن

---

[1] م. ن ،ص362

[2] م.ن361

[3] يذكر صـاحب الحوادث الجامعة مثالا عن ذلك " عندما دخل الشـحنة علي بهادر الديوان رأى فرس الوزير وعليها مظاهر الزينة كما جرت عادة الوزراء في زمن الخلافة ،فوقف وأراق الماء على مشدتها وأمر بإخراجها الدركاة، وأنكر هذا الوضع " ص370 ، 371 .

[4] خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ،ص67

[5] الحوادث الجامعة ،ص368

[6] الحوادث الجامعة ،ص369؛ العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ،جـ1،ص236

بغداد في عهده عادت إلى أيام مجدها و عزها زمن الخلافة[1], هذا وقد شـــاركه عماد الدين عمر القز ويني في إدارة تنظيم البلاد , فضلا عن مساندة أخيه شمس الدين الجو يني له[2], وقد أصبح علاء الدين الجو يني الحاكم الفعلي في العراق بسبب ما امتاز به من شخصية قوية وحسن تصرف , حيث بقي في منصبه نحو احدى وعشرين سنة وبضعة أشهر[3], كان صاحب الديوان في هذه الحقبة هو الذي يعين كبار الموظفين كقاضي القضاة والصدور والنظار وغيرهم وله عليهم وعلى الرعية حق الحياة والموت[4],كما انه اخذ يقوم بواجبات أمير الحاج وهي وظيفة عباســـية مهمة يقوم على النظر في تهيئة الناس للحج ســـنويا بمفاوضــــة الأعراب القائمين على الطريق واخذ الرهائن منهم واتخاذ ما يلزم لإيصـــــال الحجاج ســــالمين إلى مكة وإعادتهم منها[5].وخلال حقبة حكم علاء الدين الجويني وما امتازت به من استقرار في إدارة البلاد لم نسمع بوجود مشرف عليه ، وهذا مما أدى إلى تآمر بعض شـــحان المغول ومن يتزلف إليهم من موظفي الديوان ، فقد أصـــبح هدفا لمؤامراتهم التي كان الفشل حليفها ،والتي أدت إلى نهاية خصومه بين قتيل ومعزول ، فمن جملة المؤامرات التي حيكت ضد صاحب الديوان علاء الدين الجويني هو محاولة الشحنة علي بهادر يعاونه عماد الدين عمر القزويني وعدد من صـــدور العراق في إلصـــاق بعض التهم لصاحب الديوان ، وكان نتيجة ذلك ان أمر هولاكو بمعاقبة علاء الدين الجويني بحلق لحيته ، ألا أن بعد مرور سنة أستطاع أخوه شمس الدين تبرئة أخيه مما نسب إليه من تهمه ، فأعيد الاعتبار إلى أخيه ، ثم دبر على خصوم أخيه فساقهم إلى الموت حيث أعدم العماد القزويني سنة 660 هـ ، ولحق به الشحنة علي بهادر سنة 661 هـ[6] هذا وقد فشلت تهمة أخرى قام بها الشحنة الثاني قربوغا سنة 662هـــ ضد علاء الدين الجويني الذي حضر

(1) الحوادث الجامعة،ص460؛ الكتبي، فوات الوفيات ،جـــ2،ص75؛أفندي،كلشن خلفا، ص152 ؛العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين جـ1،ص311،310.

(2) الحوادث الجامعة ،ص369

(3) الحوادث الجامعة ،ص460 ؛خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص67

(4) الحوادث الجامعة ،ص373 ،460،438،436،399،396،391

(5) الحوادث الجامعة ، ص202؛ خصباك ،العراق في عهد المغول الايلخانين،ص68

(6) الحوادث الجامعة ،ص373، 375، 376، 380، 381.

مجلس التحقيق – اليارغو – في البلاط الايلخاني وأثبت براءته مما نسب إليه ، وعاد إلى بغداد، وقد صدر الأمر بتعيين شحنة ثالث هو توكال بخشي الذي أستمر حتى سنة 665هـ ، وقد كانت علاقته حسنة مع صاحب الديوان[1].

وعندما توفي هولاكو في 19 ربيع الآخر سنة 663هـ /1265م كان قد أوصى بتولي أبنه الأكبر (أباقا) الحكم من بعده وقد تولي الأخير حكم الدولة الايلخانية لمدة ثماني عشرة سنة[2]، وهي أطول حقبة حكمها ايلخان (680-663 هـ) هذا وقد أحتفظ علاء الدين الجويني بمكانته في أدارة البلاد في عهد الايلخان الجديد ، بالرغم من وجود الشحنة (سونجاق أغا) الذي عينه الايلخان ، اذ جدد الأخير ثقته بعلاء الدين كنائب له في إدارة البلاد ، وقام الايلخان بتقوية سلطته وإنهاء هذا الإشراف الاسمي عليه عندما قرر سنة 644هـ بأن يكون علاء الدين حاكما مطلقا لا يكون فوق يده يد[3]، وهذا ما أطمع منافسيه وأثار الحسد عند البعض منهم فحاولوا النيل منه والتدبير عليه فأتهمه البعض باتصاله بسلاطين الشام، إلا إن المؤامرة انكشفت عندما اعترف بعضهم على البعض الأخر ، فسيق بعضهم إلى الموت وتعرض الشحنة إلى العزل والاعتقال[4].

ويبدو أن الدولة استغنت مؤقتا بعد هذه الأحداث عن تعيين شحنة للعراق مراعاة منها لجانب صاحب الديوان الذي كان قد توجه إلى الأردو لاستنزال العقاب بالمتآمرين عليه ، واطمئنانا منها إلى استقرار الأمن في البلاد مما لا يستوجب وجوده[5].

وكان من واجبات صاحب الديوان أعمار البلاد وإقامة العدل فيها . ، وقد بالغ البعض بأعمال علاء الدين بإعادة الحياة إلى بغداد وازدهارها حتى قيل إنها أصبحت أجود مما كانت عليه أيام الخلافة[6]، فذكر انه اهتم بالجانب الزراعي فشجع الفلاحين واسقط عنهم الكثير من مطاليب الديوان حتى تسبب ذلك في حصول عجز كبير في دخل بغداد ، وهذا ما

---

[1] م . ن ، ص383
[2] الحوادث الجامعة ،ص484 ،453؛الهمذاني ،جامع التواريخ ، م 2، جـ 2، ص11
[3] الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 جـ 2 ، ص 12 ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 285 .
[4] الحوادث الجامعة ، ص 438 ، 439 .
[5] القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 226.
[6] العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ 1 ، ص 311 .

دعى الايلخان – اباقا – أن يأمر سنة 669هـ بمحاسبته بتهمة الاختلاس والسرقة وينزل به العقاب لولا انه اســتطاع أن يبرر عمله ويثبت حســن نيته ، ومن أهم أعمال علاء الدين الجويني هو إسقاطه الضريبة التي كان قد فرضها هولاكو على أهل بغداد عندما أمر بجمع الســكان فكتب أســماءهم وجعل عليهم أمراء ، وقرر على كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حالهم ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ[1].

وكان أهل بغداد يدفعون الجزية إلى أن ملك علاء الدين الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم[2] والى جانب ذلك أهتم بالناحية العمرانية اذ بنى بظاهر بغداد تجاه باب الظفرية والحلبة قصـرا ورواقات وحماما ، واستجدّ حوله بستانا عظيما غرس فيه أنواع النخل والأشـجار والأثمار[3]وأمر بأعمار بغداد وإصلاح وتجديد ما تهدم من مدارسها ومساجدها ، فقد أعاد بناء منارة جامع الخليفة وأصلح مسجد قمرية وعمارة مسجد الشيخ معروف[4]، هذا فضلا عن اهتمامه بإيصال المياه إلى بركة المستنصرية بإنشائه دولاباً تحت مسناتها لرفع المياه إليها من دجلة[5] وعندما وقع حريق بسوق المدرسة النظامية أمر بتجديد عمارة السوق[6] ، كما قام بعمل حياض للماء في دروب بغداد يستفاد منها في إطفاء الحرائق التي كانت تحدث فيها[7]، كما اهتم بأمر الحجاج بعد حقبة من الانقطاع أثرســقوط الخلافة فقد أعاد مواكب الحج سنة 666هـ ، فدعا الناس للتأهب له واستدعا رؤوساء القبائل العربية الذين ينتشرون على طريق الحج فأرضــاهم بالأموال ليقوموا بحماية قوافل الحجاج وعدم التعرض لهم ، وجهز الفقراء من الناس بكل ما يحتاجونه ، واحيى وظيفة أمير الحج ليتولى مرافقة الموكب وقيادته[8].

---

(1) **الحوادث الجامعة ص 369 .**

(2) **م . ن ، ص 369 .**

(3) **م . ن ، ص 389.**

(4) **الحوادث الجامعة، ص 399 ، 405 ، 444 .**

(5) **م . ن ، ص 399 .**

(6) **م . ن ، ص 406 .**

(7) **م . ن ، ص 391 .**

(8) **م . ن ، ص 427**

هذا فضـــلا عن اهتمام علاء الدين الجويني بالحركة العلمية في بغداد وتشـــجيعه وإجازته للمبرزين منهم مقتديا بذلك بأخيه شـمس الدين الجويني ، فضـلا عن انه هو نفسـه كان أحد العلماء ، وله اكبر اثر تركه كتابه التاريخي المعروف بــ " جهانكشاي " بالفارسية ، أي " فاتح العالم " الذي اعتمد عليه مؤرخون عديدون ، وهو من أقدم ما كتب عن المغول ، فقد تحدث عن أحوالهم ، وهو من المعاصــرين لهم ، اذ انه شــاهد بنفســه حوادث كثيرة ، فقد صـــاحب هولاكو مدة ، وكان قد حصـــل على كتب علمية مهمة حين القضــــاء على الإسماعيلية[1] وعندما تولى منصب حكومة بغداد دعم الحركة الفكرية فيها، اذ كان يحضر حلقات التدريس في المدرسة النظامية والمستنصرية على حد سواء[2]، كما أمرت زوجته بإنشـاء المدرسـة العصـمتية في ظاهر بغداد فتكاملت سـنة 671هـــ ، وكانت على قاعدة المدرسة المستنصرية ، كما شيدت رباطا للصوفية[3].

وقد شملت اهتمامات علاء الدين الجويني الناحية الاقتصادية اذ أمر بضرب نقود من المس (النحاس) ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها ، وجعل كل أربعة وعشرين فلسا بدرهم وبكل دينار خمسة أرطال[4].

ولهذا فقد قال عنه صـــاحب الشــذرات " إن أمر العراق كان راجعا إليه فســاســه أحســن سياسة"[5]، توفي الصاحب علاء الدين الجويني سنة 681هــــ / 1282م[6] وكانت وفاته نهاية لعصر الاستقرار والرفاه الذي انعم به العراق طيلة الحقبة التي تولاها ، فقد تعرضت البلاد إلى تعســف الأمير أرغون الذي قدم إلى بغداد ســنة 681هـــــ مطالبا بعرش والده السـلطان اباقا ، الذي توفي أواخر السـنة نفسـها وبالرغم من مخالفة الأمراء له في سـعيه للحصـــول على عرش والده ، فأن من تولى الايلخانية بعد الســلطان اباقا لم يبق في الحكم

(1) آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 138 ؛ الصياد ، المغول في التاريخ ، جـ 1 ، ص 243.

(2) الحوادث الجامعة ، ص 376 ، 410 .

(3) م . ن ، ص 408 ، 409 .

(4) الحوادث الجامعة، ص 391 .

(5) ابن العماد الحنبلي ، جـ 5 ، ص 382 .

(6) الحوادث الجامعة ، ص 460.

ســوى ثلاث ســنوات ، فقد تولى احمد تكودار[1] عرش الايلخانية وانشــغل بتمرد ابن أخيه أرغون ومنازعته له ، وانحاز عدد من الأمراء إلى جانب أرغون خصــوصــا بعد اعتناق الســلطان احمد تكودار الإســلام ، ومحاولته إقامة علاقات جديدة على أســس وقيم ومبادئ الإسـلام بين المغول والدول التابعة لهم أو الشعوب التي أصبحت تحت سيطرتهم[2]، وهذا ما عجل في نهايته فقتل في أواخر سنة 683هـ / 1284م[3].

وخلال هذه الحقبة كان أمر العراق قد فوض إلى شــرف الدين هارون بن شــمس الدين الجويني ، وقد ســار على قاعدة عمه علاء الدين الجويني في حكم البلاد[4]، وكان الشــحنة – تتارقيا – قد أعيد إلى منصــبه في بغداد[5]، على إن مدة عمل صــاحب الديوان لم تطل ، فقد تم اعتقاله بعد مقتل احمد تكودار وتولي أرغون عرش الايلخانية ، وبدء عصــر جديد في حياة الاليخانات اذ تنازع الأمراء على الســلطة ، وشــاركوا الايلخان في إدارة البلاد أو في بعض الأحيان فرض سلطتهم عليهم واختيار أعوانهم للإشراف على إدارة البلاد.

ففي عهد الســلطان أرغون أختص الأمير بوقا وســماه " جنكتان " ومعناه أمير الأمراء ، وفوض إليه تدبير ممالكه فولى أخاه(أروق)العراق وديار بكر ، فعين بدر الدين الخاص صــاحب ديوان بغداد ، ورتب ســعد الدين مظفر ابن المســتوفي القزويني مشــرفا عليه ، والأمير تمسكاي شحنة ، ومجد الدين ابن الأثير مشاركا في الحكم فأرسلوا إلى بغداد[6]، وكان أول عملهم عند وصــولهم إليها هو اعتقالهم موظفي الديوان الســابقين والتحقيق معهم وتعذيبهم لاستخراج الأموال منهم[7].

---

[1] **تكودار أو (تكدار) : هو ابن السلطان هولاكو خان وأول من اسلم من أولاده وأصبح اسمه احمد تكودار . ينظر : الحوادث الجامعة ، ص 454 ؛ العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ 1 ، ص 304.**

[2] **القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 285.**

[3] **ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 298؛ الحوادث الجامعة ، ص 472 ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 2 ، ص 121.**

[4] **الحوادث الجامعة ، ص 465.**

[5] **الحوادث الجامعة ، ص 469.**

[6] **م. ن ، ص 472 .**

[7] **الحوادث الجامعة ، ص 472 ، 473 ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 2 ، ص 133.**

وفي سنة 684هـ / 1285م ، وصل الأمير تاج الدين علي جكيبان إلى بغداد وقد عين مشرفا بالعراق عوضا عن سعد الدين مظفر القزويني ، وعين المذكور كاتب سلة بغداد ، ويبدو أن الترتيب الجديد للحكومة لم يكن يحقق رغبات الأمير أروق ، اذ عانت البلاد من وضع اقتصادي متردي " ولقوا الناس شدة عظيمة وكسر الدراهم"[1].

وفي سنة 685هـ / 1286م فوض الأمير أروق أمر العراق إلى عزيز الدين الاربلي ومجد الدين إسماعيل بن الياس وخلع عليهما[2]، فسيق أعضاء الحكومة السابقة إلى التحقيق والمحاسبة ومطالبتهم بالأموال ، فحملوا إلى (الأردو المعظم) فأمر بقتلهم، وبقيت الأوضاع الاقتصادية في تردٍ تام ، حيث ارتفاع الأسعار وتعذر الأقوات وكثرت الأمراض ببغداد والموت[3]، واستمر الحال إلى نهاية السنة حيث " لطف الله بخلقه فتراخت الأسعار ورخصت"[4]، ولم تدم الحكومة الجديدة سوى سنة واحدة حتى عقد الأمير أروق العزم على التخلص منهم ، ففي سنة 686هـ /1287م قتل المذكور حاكم العراق وجعل عوضه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بن سنجر مملوك علاء الدين صاحب الديوان ، وفي ذلك الوقت كان سعد الدولة اليهودي يتحين الفرص ليحل محل الأمير بوقا في السيطرة على الايلخان أرغون[5]، وسأل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الايلخان إبعاد سعد الدولة عن التدخل في حكمه للبلاد فأجيب إلى طلبه[6]، فأقام سعد الدولة في الأردو المعظم وأصبح قريبا من السلطان أرغون وأخذ يكشف له أمور العراق ويخبره بأحواله[7]، واخذ يطعن في الأمير بوقا وأخيه أروق ، فأستطاع أن يؤثر على السلطان أرغون . وهذا ما أدى في نهاية الأمر إلى عزل قتلغ شاه من منصبه سنة 687هـ[8]، وإسناد أمر الإشراف على العراق

---

(1) **الحوادث الجامعة ، ص 482.**

(2) **م . ن ، ص 484 .**

(3) **م . ن ، ص 485 .**

(4) **الحوادث الجامعة، ص 485 .**

(5) **م . ن ، ص 487.**

(6) **م . ن ، ص 487.**

(7) **م . ن ، ص 487.**

(8) **م . ن ، ص 491.**

لســـعد الدولة[1]، ومما يلاحظ في هذه الحكومة الجديرة هو تمكين اليهود ومشـــاركتهم في السـلطة لأول مرة في التاريخ الايلخاني ، إلى جانب النصـــارى ، اذ يرجع لهم الفضــل في تولي السلطان أرغون السلطة ، فاستبدوا في حكمهم للبلاد حيث عملوا على طرد الموظفين المســـلمين من البلاط الايلخاني ووظائف الدولة الأخرى ، كما رتب البعض ولاة على تركات المسـلمين[2]، ولم تختلف الحكومة الجديدة عن سـابقتها التي تألفت من شـرف الدين بن احمد السـمناني صـاحب ديوان العراق ، وسـعد الدولة ابن الصـفي الحكيم مشـرفا عليه ، من جمعها للمال وتعذيب وقتل موظفي الديوان ، وفي سـنة 688هـــ/1289م رتب سـعد الدولة أخاه فخر الدولة لولاية بغداد ، وأرســل معه مهذب الدولة بن الماشــعيري ، وجمال الدين الدستجرداني كاتبا لهم[3].

ويلاحظ خلال حقبة حكم الايلخان أرغون هو تســلط الوزير ســعد الدولة اليهودي عليه، بحيث اخذ يعزل الأمراء والحكام بحســب رغبته وبهذا نرى ســرعان تبدل الحكومات بين الحين والأخر.

وفي سنة 690هـ /1291م مرض السلطان أرغون ويئس الأمراء من شفائه خصوصا بعد أن عزل عنهم ، فخشى الأمراء المحيطون به أن يدبر لهم الوزير نهاية مثل غيرهم فقرروا التخلص منه ومن أعوانه ، فنفذوا ذلك قبل أســبوع من وفاة الايلخان[4]، بعدها تولى عرش الايلخانية كيخاتو أخو أرغون ، وبعث الأميرين سـاطي وبكتمر لتصـفح أمور البلاد ، فقدما بغداد ، فقام جمال الدين الدستجرداني بين أيدهما ، فأقاما شهورا اعتمدا ما أمرا به ، ثم عادا وبعد عودتهما جمع الدســتجرداني أموال البلاد وتوجه بها نحو كيخاتو ، فأنعم عليه الأخير بولاية العراق ، ورتب معه أثير الدين ألتستري وتاج الدين علي تاشان ، وسير معهم أميراً مغوليا اسمه تيطاق ليتولى منصب الشحنة وكان ذلك سنة 691هـــ[5] وخلال هذه الحقبة أمر كيخاتو بإرسـال شـمس الدين التركسـتاني المعروف بالسـكورجي بالمسـير إلى العراق

---

[1] م . ن ، ص 492.

[2] م. ن ، ص 492.

[3] م . ن ، ص 494 ،495.

[4] الهمذاني ، جامع التاريخ ، م 2 ، جـ 2 ، ص 161 .

[5] الحوادث الجامعة ، ص 506.

ليزيل عن الرعية ما جدد عليهم من الأثقال ويتولى ولايته " فلما دخل بغداد أظهر العدل والاحسان وحسن النظر في أحوال الناس وأجراهم على أجمل القواعد ، ونظر في أمور الوقوف ، وأجرى أربابها على شروط الواقفين ، وأدر عليهم الاخباز والمشاهرات ، ووعد الناس باشياء يخاطب فيها السلطان ويعتمدها معهم"[1] وفي سنة 694هـ/1295م تمرد الأمراء في طاعة السلطان كيخاتو ، وراسلوا (بايدو)[2] ،واكدوا له طاعتهم وتمليكه الأمر بعد كيخاتو ،فوعدهم بقبول ملتمسهم فقبضوا على السلطان وقتلوه ، فأرسلوا إلى بايدو يخبرونه بذلك ، فأرسل الأخير الأمير(جغتاي) إلى بغداد وأمر بالقبض على السكورجي وفوض أمر العراق لجمال الدين الدستجرداني فعين الصدور والنواب في سائر الأعمال ، وجمع الأموال من السكان على وجه المساعدة ليتوجه بها إلى الأيلخان بعد أن عين من قبله لحكومة الديوان كل من نور الدين عبد الرحمن بن تاشان وشرف الدين بديع[3] ، على أن بايدو لم يهنأ بالحكم أكثر من ستة أشهر قضاها في محاولة استرضاء (غازان)[4] الذي حاجه بأحقيته في العرش ومطالبته بدم عمه الأيلخان المقتول[5]، هذا وقد لعب نوروز حاكم خراسان دورا كبيرا في تشتيت الأمراء من حول بايدو وجذبهم الى جانب غازان فجلس الأخير على عرش الأيلخان بعد مقتل بايدو سنة 694هـ/ 1295م[6].

وقد أعتنق السلطان غازان الإسلام بتأثير الأمير نوروز وجعله الدين الرسمي لدولته وسمى نفسه (محمود غازان)[7] ، وقد رتب لديوان العراق شرف الدين السمناني وسير معه الأمير توغولدار شحنة بغداد[8].

---

(1) الحوادث الجامعة ، ص 515 .
(2) هو أبن عم كيخاتو ويدعى (بايدو بن طرغاي بن هولاكو خان)
(3) الحوادث الجامعة ،ص521
(4) غازان بن أرغون
(5) الحوادث الجامعة ،ص522
(6) م.ن ،ص523
(7) الذهبي ،دول الإسلام ،ح2،ص196؛حيدر عبد الرحمن فرطوس،العراق في عهد محمود غازان ،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ،جامعة بغداد1998،ص5
(8) الحوادث الجامعة ،ص529

وخلال هذه الحقبة استطاع جمال الدين الدستجرداني أن يستعيد مكانته في الوزارة بفضل حماية نوروز له ،فعين لديوان العراق آخاه عماد الدين بدلا من السمناني وعاونه في الحكم عز الدين بن شمام كنائب عنه وشرف الدين بن البديع مشرفا[1] , إلا ان بعد مدة سير محمود غازان إلى بغداد (توختا) لتصفح أحوال العراق , وسير معه سعد الدين أسد بن علي مشرفا على العراق فقبضا على شرف الدين بديع[2] , وفي سنة 696هـ/1297م عزم السلطان غازان على السير إلى العراق للاطلاع على أحوال البلاد , وعند وصوله إلى همدان " بلغه ان نوروز قد تغيرت نيته في طاعته , وفسدت سريرته , وان جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالأحوال"[3]، فأمر السلطان غازان بقتل الأخير ورتب صدر الدين الخالدي عوضا عنه , وكان السلطان قد توجه إلى بغداد بجيوش كبيرة , وعند وصوله أليها شمل الناس بالعدل والإحسان وأكد على مبدأ المساواة بينهم , ومنع القوي أو المتنفذ من الاعتداء على الضعيف , فأعاد تنظيم القضاة , ووضع الشروط لاختيار القضاة , ونال بأعماله هذه رضا أهل بغداد , كما اهتم بالمراقد الدينية المقدسة , فأوقف الوقوف للإنفاق عليها كما أمر للفقراء المقيمين بالقرب منها مبلغاً من المال[4] ,هذا وبفضل إسلامه نال المسلمون حظوة كبيرة بعد تعرضهم للمعاملة السيئة في عهد الايلخانات السابقين , فمن جملة أعماله عند توليه السلطة هو استعادة دار الدويدار الذي كان قد استحوذ عليه النصارى وحوله إلى بيعه ،ورباط دار الفلك التي كانت مدفنا لبطارقتهم ، فأزيلت القبور عنه ،والكتابات السريانية ،وحولوه دارا للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر ، هذا فضلا عن إلزامه أهل الذمة بفرض الجزية عليهم ، وبلبس الغيار ، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم[5] ،ومن جملة إصلاحاته الاجتماعية هو محاربته بعض العادات السيئة كشرب

---

(1) م.ن،ص529 , 530.

(2) الحوادث الجامعة , ص530 ؛ العزاوي , تاريخ العراق بين الاحتلالين ,جـ1 , ص373

(3) الحوادث الجامعة ,ص531 .

(4) الحوادث الجامعة, ص531 , 532 ؛ الغياثي , عبد الله بن فتح الله البغدادي , التاريخ الغياثي , تحقيق طارق نافع الحمداني , مطبعة اسعد , بغداد , 1975م ,جـ5ص53.

(5)الحوادث الجامعة ، ص523.

الخمر ولعب الميسر ،ومنع الربا ،حيث اصدر يرليغا[1] حرم على أي مخلوق أن يأخذ أو يعطي نقوداً بفائدة ، وهدد كل شخص يخالف ذلك بالعقاب كما تدخل في شؤون تكوين الأسرة وحمايتها من الانفصال ،وتشجيع الزواج ومعالجة ارتفاع الصداق[2].

وفي مجال الإصلاح الزراعي ، سعى السلطان غازان لتوفير الأمن والاستقرار للفلاحين لكي لا يهربوا من مزارعهم وقراهم نتيجة لسوء تصرف موظفي الدولة من جباة ورسل وغيرهم ،كما عمل على تشجيعهم في زيادة الإنتاج الزراعي ، وذلك بتسهيل عملية الجباية منهم وتقسيطها عليهم من ناحية وإقامة مشاريع الري من ناحية أخرى وقد حظي العراق باهتمامه في هذه الناحية[3].

وفي مجال الإصلاح المالي أمر السلطان غازان إلى أتباع نظام الضمان في العراق نتيجة لعدم استقرار الإدارة المدنية ممثلة بوظيفة صاحب ديوان بغداد ، وقد استحدث هذا النظام الذي طبق لأول مرة في العراق كأسلوب للإدارة وجمع الضرائب معا ، ولم يكن تطبيق نظام الضمان غريبا على العراق ، فقد كان المألوف عند إتباعه تضمين مناطقه كل على انفراد ، وعقد ضمانة على الشيخ جمال الدين إبراهيم بن السواملي والملك إمام الدين يحيى البكري القزويني[4].

وفي سنة 698 هـ/1299م توجه السلطان محمود غازان إلى العراق , وسار إلى بغداد وتفقد الرعية وآمر بمعاملتهم بإحسان وإشاعة العدل بينهم , كما أمر بان يصفى الذهب والفضة من الغش , وان تضرب نقود متساوية الوزن[5].

ومن خلال زيارته المتكررة لأهل بغداد لمس الناس نتائج التحول الذي طرا على السلطة الايلخانية , فلأول مرة منذ الاحتلال المغولي لبغداد سنة 656 هـ /1258م رأوا الايلخان يصلي الجمعة ويزور مراقد الأولياء والصالحين ويجزل العطاء لعلماء الدين والسادات

---

(1) يرليغ: كلمة مغولية بمعنى قانون أو قرار أو أمر،ثم استعملت لتدل على الأمر أو التفويض الصادر من السلطان مباشر ، وسميت المراسيم السلطانية باليرليغات. ينظر: الشيبي ،محمد رضا، أصول الفاظ أللهجة العراقية ،بغداد، مطبعة المجمع العلمي ،1956م،ص102

(2) بدر، مغول إيران بين الإسلام والمسيحية،ص45،42

(3) الحوادث الجامعة ، ص531، 538

(4) الحوادث الجامعة ،ص534

(5) الحوادث الجامعة , ص539 ؛ العزاوي , تاريخ العراق بين احتلالين , جـ1 , ص382.

والزهاد ويخصص الوقف لهم[1] , وحسب شهادة احد المؤرخين العراقيين المعاصرين فان الناس لمسوا عدل السلطان من خلال الجيوش الكثيرة التي رافقته أثناء زيارته للعراق , فما من احد من العسكر تعرض لأهل السواد بما جرت عليه العادة من رعي للزروع وابتذال لأموال في عهد الحكام السابقين فكان الناس يسيرون بين العساكر ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع , فلا يأخذ منهم شيأ إلا ابتياعا بأللطف واللين[2]. وقد وصف ذلك بقوله : ((رأى الناس من العدل ما اوجب زيادة دعائهم له ولدولته))[3]. وكانت وفاته سنة 703هـ/1303م اذ لم يتجاوز حكمه التسع سنوات.

---

[1] الحوادث الجامعة , ص532 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص298.

[2] الحوادث الجامعة . ص531.

[3] م . ن , ص531 .

الفصل الثاني

طبيعة المجتمع البغدادي خلال القرن السابع الهجري

التقت على ارض العراق منذ أقدم الأزمنة أجناس عديدة ارتبطت بعضـــها ببعض بوشـــائج كثيرة ، ونشـأت بينها علاقات اجتماعية قوية ، وبعد مجيء الإسلام نمت هذه الظاهرة نموا كبيرا على أرض الرافدين ، وقد ساعد على ذلك الطبيعة الأممية للدين الإسلامي ، واعتماد العباسيين على عناصر أعجمية في كثير من الأحيان وكون العراق مركزا للحكم الإسلامي أبان الحكم العباسـي ، وخضـوعه زمنا ليس قصـيرا لسـيطرة البويهيين الديالمة ولسـيطرة السلاجقة الأتراك .

ولهذا صـــار عامة بغداد في أواخر العصـــر العباســـي" خليطا من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والجركس والأكراد والكرج والبربر"[1]، ويؤلف العنصـــر العربي العدد الأكبر في هذا التركيب الاجتماعي .

لقد تفاعلت هذه الأجناس بعضـــها مع بعض ، اذ اختلطت العادات والطبائع والتقاليد وامتزجت الدماء ، فنتج عن ذلك كله اختفاء الشـــعور بتفوق الجنس العربي على الأجناس الأخرى ، فلو نظرنا إلى تركيبة حكومة المستعصـم بالله آخر الخلفاء العباسـيين في العراق نراها تمثل الأممية الإســـلامية خير تمثيل " فالخليفة هاشـــمي ووزيره ابن العلقمي عربي أسدي وصاحب الديوان ابن الدامغاني فارسي ، وقائد جيشه مجاهد الدين الدويدار الصغير شـركسـي ، وأحد أكابر قواده أبو المظفر الحسـين بن محمد بن كر كردي"[2]،ومع هذا بقي الاهتمام بعراقة النسـب وشـرفه قائما في المجتمع حيث كان العلويون والعباسـيون في هذا العصـــر يتميزون عن الناس بنســـبهم وكانوا يســـمون الأشـــراف ، ولكل منهم نقابة تنظم أمورهم وتحفظ أنسابهم .

المبحث الأول:

العناصر الجنسية أو العرقية في المجتمع البغدادي

1- العرب:

في مقدمة العناصـــر التي برزت في المجتمع العراقي هو العنصـــر العربي اذ كانت أعداد كبيرة من القبـائـل العربيـة تعيش في العراق أكثرهـا بـدويـة في طبيعتهـا تنتقـل وراء الكلأ تجتذبها ثروة المدن وحضـارتها وما فيها من الزاد والمتاع فتسـعى اليها وتندمج مع سـكانها مع توالي القرون[3].

والقبائل العربية التي اســـتوطنت بلاد الرافدين كانت أما قحطانية أو عدنانية انطلقت من أرض الجزيرة وتشـعبت الى شـعب عديدة اسـتوطنت في العراق وكان لها تأثيرات بارزة على المدن التي اجتـاحتهـا ، فهي أي القبـائـل كـانـت قد زودت البلاد بســـكـانهـا العرب ، وساعدت على تعريبها وتغليب الثقافة الإسلامية فيها وهي التي حملت إليها الإسلام وكونت المادة الأســاســية في ســكان المدن الجديدة ، كما أنها تغلغلت في الريف ومناطق الرعي ،

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـــ 9 ، ص 228 ؛ حسـن ، حسـن إبراهيم ، تاريخ الإسـلام السـياسـي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط 15 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001م ، جـ 4 ، ص 586.

(2) ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ 4 ، ق 3 ، ص 34.

(3) خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 168 .

وبذلك فقد ملأت جزءاً من الفراغ الذي كان يحصـــل في نقص النفوس نتيجة الأوبئة والهجرة[1].

أما الأثر الآخر الذي تركته هذه القبائل فيشـــمل في طبيعتها البدوية التي تتجلى في حبها للحرية والتنقل وقطعها الطرق واعتدائها على قوافل الحجاج والتجار وغارتها على المدن ، هذا فضلا عن إنها كانت عامل قلق بالنسبة للحكومات المسؤولة عن هذه البلاد[2].

ومع بداية العصر العباسي وضع الحجر الأساس لمدينة بغداد ، وكانت معظم القطائع التي اقطعها الخليفة العباسي لعناصر عربية ومعظمهم من بني العباس و أنصارهم فكانت هناك قطيعة العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس على نهر الصراة وقطيعة الصحابة وهم من سائر قبائل العرب قريش والأمصار وربيعة ومضر على نهر الصراة وقطيعة الربيع بن يونس وقطيعة صـالح بن منصـور[3]، وقد أنضـاف إليهم فيما بعد العرب الأنصـار أهالي المدينة المنورة[4].

هذا وقد برز العنصـــر العربي متمثلا بأمراء وخلفاء بني العباس الذين كان يطلق عليهم " العباســيين " و " العلويين " الذي أطلق على ذرية الإمام علي بن أبي طالب (عليهم السلام) " والطالبين " على أحفاد أبي طالب[5].

ويبدو إن سيادة العنصر العربي في الدولة لم يكن مستقرا بسبب تغلغل النفوذ الفارسي في بدايات العصـر العباسـي ، ومن ثم ظهور العنصـر التركي أوائل القرن الثالث الهجري[6]، ولم يلبث هذا الأخير أن ازدادت سطوته في الدولة العباسية على حين أخذ العنصر العربي يفقد كثيراً من امتيازاته بإقصائه من مناصب الدولة والجيش.

ثم جاء البويهيون وهم قوم من الديلم سـيطروا على بلاد فارس ثم بســطوا نفوذهم على العراق ، وكانوا شــيعة زيدية[7] هموا أن يزيلوا الخلافة العباســية ، لولا أن رأوا في ذلك ضـررا عليهم ، ولكنهم جردوا الخلفاء العباسيين من بقايا سلطتهم الدنيوية، وجعلوا الخليفة رمزا دينيا ، بعدها جاء الســلاجقة وهم من الأتراك الغز[8] ، ظهر نفوذهم أوائل القرن الخامس الهجري وبسـطوا نفوذهم على أراضـي الخلافة العباسـية ، وكان حكمهم ثقيلا لم يحس الناس في زمانهم راحة أو أمنا لكثرة المنازعات بين سلاطينهم على الملك .

هذه الحروب والسيطرة الأجنبية التي تعرضت لها البلاد وكان لها الأثر السيئ على الناس ، وأدت بطبيعة الحال إلى تأخر البلاد سـياسـيا واجتماعيا واقتصـاديا وفكريا وهذا التنوع العنصري الذي اجتاح العراق ومن ضمنه المجتمع البغدادي أدت إلى امتزاج هذه العناصر الدخيلة مع العنصر العربي مما احدث نوعا من التغيرات انعكست على المجتمع البغدادي ، ولهذا أصـبحت أصـول عامة بغداد البشـرية متعددة في أواخر العصـر العباسـي فكانوا "

---

[1] م . ن ، ص 172.
[2] م . ن ، ص 172 .
[3] اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت 282هـ) ، البلدان ، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988 ، ص 15وما بعدها.
[4] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، 1962م ، جـ 6 ، ص 366 ، 367.
[5] المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، 1965 ، جـ 3 ، ص 210 ؛ الاطرقجي ، رمزية ، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، 1982 ، ص 129.
[6] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ 7 ، ص 381.
[7] نسبة إلى الحسن بن علي الزيدي الملقب بالاطروش (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 6 ، ص 142).
[8] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 173.

خليطا من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والجركس والأكراد والكرج والبربر"[1].

وهذا التلون في تركيبة المجتمع البغدادي على اختلاف عاداته وتقاليده وأسلوبه في العيش لم يؤثر على العنصر العربي بدليل إن الأخير بقي محتفظا بعاداته وتقاليده عبر عصور الخلافة العباسية ، كما إن النسب العربي بقي عنصرا من عناصر القيادة الاجتماعية والسياسية في الدولة متمثلا بالخلفاء والنقباء والوزراء والفقهاء والأدباء والمقرئين والوعاظ والمحدثين ، فالهاشميون وهم أعلى طبقة اجتماعية وسبب ذلك قرابتهم من الخليفة رئيس الدولة الأعلى ونسبهم الرفيع الذي يربطهم بالنبي(صلى الله عليه وسلم)، الذي يضفي عليهم صفة دينية في عصر كان الدين فيه أهم منظم للحياة ، وكانوا خلال العصور العباسية المتأخرة ينتظمون في نقابتين (نقابة العباسيين)و(نقابة الطالبين) ورئيس كل نقابة شخصية كبيرة من شخصيات الدولة ، يشغل منصبا كبيرا من مناصبها يرعى مرؤوسيه ويحكم بينهم ويعين النقباء في مختلف البلاد ، أما العلويون فكانت علاقتهم بأبناء عمومتهم العباسيين طيبة في العصر العباسي الأخير ، وقد اشغل البعض منهم منصب الوزارة أيام الخليفة الناصر لدين الله . واشغل آخرون مناصب أخرى[2]. فقد تولى نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي (ت 598هـ / 1201م) ناظرا لمعاملات دجيل[3] وفي عهد الخليفة الظاهر بأمر الله كان هبة الله الموسوي صاحب المخزن[4] ، وقد اشغل علاء الدين هاشم ابن علي بن المرتضى (ت 640هـ / 1242م) عدة مناصب[5] ، هذا فضلا عن عائلات كبيرة غير هاشمية كانت في بغداد وصفت بأنها(من بيت مشهور بالفضل والعلم والرياسة والتقدم)و(من بيت العدالة والخطابة والرواية)و(من بيت القضاء والولاية والتقدم)و(من أولاد التجار والأماثل)و(من بيت السيادة والوزارة والتقدم والرياسة)، ومن بينهم آل الناقد الذي برز منهم محمد بن علي بن احمد بن الناقد التاجر المتوفى سنة 613هـ / 1216م سافر إلى الشام وخراسان وما وراء النهر وتولى ولايات جليلة منها وكالة والدة الخليفة الناصر لدين الله سنة 582هـ / 1186م ، وأضيف إليه النظر في المظالم فحسن حاله ونبه ذكره[6] ، وقد عين ولده جمال الدين أبو الحسن عبد الله بن الناقد حاجبا بالديوان ثم نقل حاجبا في المخزن ثم عين صدرا بالمخزن وتوفي سنة 633هـ / 1235م ، وعين أخاه نور الدين يحيى احد حجاب الديوان ، ومن ابرز شخصيات هذه العائلة هو أبو الأزهر نصير الدين بن الناقد ، كان نائبا للوزارة أيام الخليفة المستنصر بالله والمستعصم بالله[7].

ومن العوائل الأخرى التي برزت في بغداد آل الدوامي ، واصل هذه العائلة من باب الطاق وهي محلة كانت قريبة من مشهد أبي حنيفة وأول من اشتهر منهم الحسن بن علي بن الحسن بن الدوامي ، الذي كان وكيلا لبعض الأمراء العباسيين وقد شغل حفيده فخر الدين أبو علي الحسن بن هبة الله بن الحسن الدوامي[8] منصب حاجب الحجاب سنة 583هـ /

---

[1] **ابن الجوزي ، المتنظم ، جـ 9 ، ص 228.**
[2] **خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 250 ، 251 .**
[3] **ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 90**
[4] **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 419.**
[5] **ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ 4 ، ق 2 ، ص 1108 – 1109.**
[6] **ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، جـ 1 ، ص 57 ؛ خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص224.**
[7] **الحوادث الجامعة ، ص 222 ، 223.**
[8] **سمي بالدوامي لخدمته إحدى نساء الخليفة القائم بأمر الله سنة 497هـ / 1103م المسماة بالدوامية ، ينظر: ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، جـ 2،ص29.**

1193م ، ثم ولي صدرية المخزن سنة 584هـ / 1188م ثم عزل سنة 590هـ / 1193م[1] ، وفي أواخر الدولة العباسية وعند سقوط الخلافة سنة 656هـ / 1258م . كان تاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب[2]، وهو منصب يقابل مدير شرطة بغداد ، ويبدو أن القليل من الهاشميين كانوا هم المتنفذين والأغنياء وهؤلاء يمثلون الطبقة الحاكمة ، أما الأغلبية فكانوا فقراء ، أو متوسطي الحال ، ولم يكن الفقر أو الحرفة المتواضع أو الأصل غير العربي يمنع الفرد من التقدم في وظائف الدولة والوصول إلى أعلى الدرجات باستثناء الخلافة ، وكان الكثير من العباسيين يمتهنون حرفا متواضعة ولا يعيشون في محلات خاصة متميزة في بغداد ، ولا يدفنون في مقابر أو مناطق خاصة ، فكان احمد بن علي بن عيسى الهاشمي (ت 593هـ / 1196م) من أهل الحريم ألطاهري ، وكان احد القراء بالتربة الشريفة بالرصافة أي بمقبرة الخلفاء العباسيين ، دفن عند وفاته بباب حرب[3]، أما العلويون فكانوا منتشرين بالقرب من الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء ومشهد موسى الكاظم (عليه السلام) في بغداد ، هذا وفي سنة 633هـ / 1335م أمر الخليفة المستنصر بالله بتفريق ثمانية الاف دينار من مال الطبق[4]،منها إلف دينار لفقراء العباسيين وألف دينار لفقراء الطالبين وألف دينار للشرفاء(أي العباسيين)المقيمين في دار الشجرة[5] من حريم دار الخلافة وألفان لفقراء العلويين المجاورين لمشهد الإمام علي(عليه السلام)[6]، ومن خلال هذا العرض ندرك بأن البيت العباسي والبيت العلوي هما خير من مثلا العنصر العربي قبل سقوط الخلافة العباسية، إلا إن بعد الاحتلال المغولي لبغداد أصاب التغيير تركيبة المجتمع العراقي بشكل عام والمجتمع البغدادي بشكل خاص وذلك بسبب زوال العائلة العباسية بعد أن قضى هولاكو على أكثر من كان منهم في بغداد ، كما طرد من بقي من أفرادها على قيد الحياة ، ولكن بعد أن استقر الوضع في البلاد وتولي أمراء المغول الحكم ، اخذ البعض من العباسيين بالظهور لا كسلطة حاكمة وإنما أشخاص عرفوا بأنهم من بيت العلم والفقه والعدالة ومنهم محي الدين بن شرف الدين يحيى بن هبة الله العباسي النقيب توفي سنة 673هـ / 1235م . وصف بأنه من بيت العلم والجلال والفقه والعدالة ، كان قد أُسر في واقعة بغداد ، وبعد مدة خلص من الأسر وعاد إلى بغداد واستنيب في القضاء في الجانب الغربي من بغداد وولي رباط مشيخة الشونيزي ثم تدريس الحنفية بالمدرسة المستنصرية وجعل نقيبا على من بقي من بني العباس[7].

أما العلويون فقد استعادوا الكثير من نفوذهم بعد سقوط الخلافة العباسية وبقوا ينظمون أنفسهم في نقابات يرأسها نقيب العلويين ، هذا فضلا عن تولي بعض المناصب الأخرى ، ففي سنة 656هـ ومع بداية العهد الايلخاني عين عز الدين ابن الموسوي العلوي نائب

---

[1] ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب،جـ4،ق3،ص153، 154

[2] الحوادث الجامعة ، ص361.

[3] ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج إليه ، جـ 2 ، ص 113.

[4]الطبق: ما يقدم في دور الضيافة من طعام ، وكان الخليفة المستنصر قد استخرج له نهرا من دجيل ووقفه على أدر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفطور العامة في شهر رمضان . ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـ 4 ، ص 472.

[5] دار الشجرة : تقع بالدار المعظمة الخليفية من أبنية المقتدر بالله(295-319هـ) ، وكانت دارا فسيحة ذات بساتين مونقة ، وإنما سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة في وسط بركة مدورة أمام ايونها وبين شجر بستانها . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 275

[6] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 470 ، 271.

[7] ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ 5 كتاب(الميم)، ص 422 ، 423.

الشرطة[1]، وفي أيام السلطان غازان كان أمير الحاج في بغداد هو عز الدين أبو الحسين زيد بن علي بن زيد العلوي الحسني[2]، وهكذا بقي العنصر العربي محافظا على وجوده في البلاد بالرغم من سيطرة الأمراء المغول على مقاليد الحكم ، وظهور الأعاجم كسلطة حاكمة في البلاد ، ومع ذلك فأن العلويين بقوا طبقة اجتماعية ذات نفوذ كبير في الدولة ، كما اخذ عدد من العباسيين بالظهور بعد حقبة من الغزو المغولي للبلاد ، هذا فضلا عن وجود عوائل قديمة مارست الحكم أيام الخلافة العباسية، واستمرت على ذلك حتى أيام الايلخانين.

2.الاتراك:

ظهر الأتراك في المجتمع البغدادي في أواخر القرن الثاني الهجري اذ استقدمهم الخليفة المعتصم بالله (218 – 227هـ) من سمرقند وفرغانة واشروسنة والصغد والشاش[3] واخذ عدد من الأتراك في الازدياد منذ بداية القرن الثالث الهجري ، فيذكر السيوطي عن اهتمام المعتصم " باقتناء الترك فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم ، وبذل فيهم الأموال ، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب"[4].

وقد اكتسب الأتراك ثقة كبار الأمراء من العرب ، وخاصة الخلفاء العباسيين عبر عصور الخلافة العباسية ، اذ اعتمد عليهم الخلفاء أكثر من اعتمادهم على العناصر العربية والفارسية ، فكان لهؤلاء الأتراك نصيب كبير في إدارة شؤون الدولة في عصور الخلافة العباسية[5] .

ففي أواخر الدولة العباسية كون الأتراك طبقة عسكرية ، وقد تدرج البعض منهم في رتب ما بين غلام أي مجرد جندي بسيط وأمير ، وهو عادة من كبار المماليك ، وكان البعض منهم يقوم بأعمال مختلفة تدل عليهم ألقابهم وما ورد عنهم من أخبار فالبعض منهم كان أشبه بالحرس الخاص للخليفة وهؤلاء يكونون عادة مقربين إلى الخلفاء ومختصين بخدمتهم منهم علاء الدين أبو الفوارس تنامش بن عبد الله الناصري ، الذي كان في خدمة الخليفة الناصر لدين الله[6]، وبعضهم من اختص بملازمة الخليفة والركوب معه إذا ركب مثل ، مجاهد الدين شكر بن عبد الله الناصري الذي ألحقه الخليفة الناصر سنة 614هـ / 1217م بالزعماء ، وقد وصف بأنه كان مجدا في خدمه الخليفة ملازما لدار الخلافة ليل نهار ، ومن هؤلاء الحرس الترك من انيطت بهم أعمال مختلفة مثل حمل ثياب الخليفة إذ انتقل إلى جهة معينة وكان الأمير المختص بذلك يسمى البقجة دار[7]، وممن اشتهر بذلك فخر الدين

---

[1] الحوادث الجامعة ، ص 362.

[2] ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، حـ 4 ، ق 1 ، ص 154.

[3] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ 4 ، ص 9 ؛ رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق القرنيين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الزهراء ، بغداد،1970، ص 10.

[4] تاريخ الخلفاء ، ص 256.

[5] حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي ، جـ 2 ، ص 158

[6] ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ 4 ، ق 2 ، ص 1088.

[7] البقجة دار : كلمة معربة ، وهي مصغر بوغ وتعني طرفا من القماش . ينظر : الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد المصري (ت 1069هـ) ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،

أبو الفوارس أُلطن آبه بن عبد الله التركي الناصـــري ، الذي كان من الملازمين للخليفة الناصر ، وقد وصف بالفروسية ، وتوفي سنة 625هـــ / 1227م[1]، والأمير عماد الدين أبو الفوارس طغرل بن عبد الله المســـتعصـــمي وكان أميرا شـــجاعا ، وقد أمر الخليفة المستعصم بالله بجعله أميرا فاستدعي إلى دار الوزارة وخلع عليه وجعل له خمسين فارساً ورســـم له من المعيشـــة ألف دينار في كل ســـنة ، وكان ممن قتل في وقعة بغداد[2],ومن الأعمــال الأخرى التي قــام بهـا هؤلاء الأتراك هو حمـل الـدواة وقـد أطلق عليهم الدويدار،والأصـــل في عملهم حمل الدواة في دار الخلافة أو حملها عند خروج الخليفة في موكب وتولي أمرها مع ما ينضـــم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور،وغير ذلك بحسب ما تقتضيه الحال[3]، وممن تولى هذا العمل علاء الدين الطيبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير،وكان الخليفة الظاهر قد اشـــتراه من احد المماليك ثم حينما اســـتخلف المســـتنصـــر بالله قدمه وقربه وزوجه من ابنه بدر الدين لؤلؤ صـــاحب الموصـــل ، وأعطاه ليلة دخوله عليها 100,000(مائة ألف) دينار وأقطعه قوســـان ، وقد توفي سنة 650هـ / 1252م[4]، كذلك مجاهد الدين ابي الميامين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصـــغير،وقد ذكر عنه انه ملك جزيل الأموال من العين[5] والرقيق والدواب والعقار والبســـاتين والضـــياع وفي ليلة زفافه أرســـل إلى داره من أواني الذهب والفضـــة والثياب والجواهر ما يزيد على ثلاثمائة ألف دينار ، وأنعم عليه في صـــبيحة تلك الليلة ســـتمائة ألف دينار عينا ، وبلغ من الجاه العريض،والحرمة الوافرة ، حتى انه كان يترفع على وزير الدولة وعلى مقدم العسـاكر شـرف الدين إقبال ألشـرابي ، ولم يسـع إلى أحد سـوى الخليفة ، وكان الزعماء والأمراء يقصـدونه في داره تقربا أليه وكان يصـل أليه من أقطاعه وأملاكه أكثر من نصف مليون دينار سنويا[6].ومن جملة الأعمال الأخرى التي زاولها هؤلاء المماليك الأتراك هي حمل الماء وحفظه صـالحا للشـرب وكان يسـمى بالكرز دار(حامل الماء) وممن تسمى بها فخر الدين أبو منصور ألطن آبه بن عبد الله المستنصري التركي،وقد جعل أميرا سنة651هـــ/1253م وجعلت معيشته ألف دينار وعدته خمسون

1325هـــ ، ص 79 ، وهذه الكلمة مستعملة عند العراقيين في الوقت الحاضر ، ويراد بها قطعة من القماش يوضع فيها الملابس عند خزنها او حملها.

(1)ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، جـ 4 ، ق 3 ، ص 121.

(2)م.ن، جـ 4 ، ق 2 ، ص 745.

(3)يذكر القلقشندي " إن عمل الدويدار هو تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد هو وأمير جاندر وكاتب السر ، ويأخذ الخط أي التوقيع المعروف اليوم على عامة المناشير والتواقيع (الأوامر الرسمية والكتب) ؛ صبح الأعشى ، جـ 4 ، ص 5 ، 19 ، 462.

(4)الحوادث الجامعة , ص308.

(5)العين: الدنانير والعين الذهب عامة , ينظر : الزبيدي , محمد مرتضى (ت1205) , تاج العروس من جواهر القاموس , المطبعة الخيرية , مصر , 1306 هـ , جـ 9 , ص288 مادة(عين).

(6)الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص633.

فارساً , وقد قتل في الوقعة[1] , أما ألشرابي فقد كان عمله تقديم أنواع الأشربة المعمولة من السكر أو الفواكه ، والاهتمام بها وتقديمها بأواني خاصة وقد تكون من البلور أو الذهب الصيني الفاخر من اللازوردي وغيره ،وللأمير الشرابي عدة غلمان دونه في الرتبة يقومون بمساعدته في عمله[2]، وممن تولى هذه الوظيفة عز الدين نجاح بن عبد الله التركي الناصري الشرابي وهو يعرف بنجم الدين أيضا ويسمى (سلمان دار الخلافة) ويكنى أبا اليمن ويلقب بالملك الرحيم ، وقد جعله الخليفة الناصر لدين الله أميرا لجيوشه ، وكان ملازما له لا يفارقه وكان في داره خزانة كتب وقفت بعد موته في سنة 625هـ / 1227م[3]، وقد وصفه ابن الأثير بأنه من أقرب الناس للخليفة الناصر لدين الله ، وأنه كان الحاكم في دولته ، وقد وصفت سيرته بأنه عادل في الناس محسن أليهم ، وأنه مضرب المثل بحسن التدبير للأمور[4].

ومن الأعمال الأخرى التي زاولها الأتراك هو الاعتناء بأصطبل الخليفة فكان يدعى (أمير الأصطبل) أو (أمير آخور)[5]، وممن عمل في هذه المهمة الأمير الزعيم فخر الدين أبو المظفر تكلان بن عبد الله التركي الناصري ، وكان عمله في أيام الخليفة المستنصر بالله، وقد الحق فخر الدين بالزعماء سنة 641هـ، عندما استدعى إلى دار الوزارة، وهناك خلع عليه وجعلت معيشته ألف دينار، فضلا عن ما بيده من الأصطبلات ، ولم يزل على أمارته إلى أن توفي سنة 653هـ/ 1255م[6].

ويبدو أن هناك بعض الأعمال الشريفة مثل أمارة الحج التي كان ينتدب لها بعض هؤلاء الأمراء في موسم معين من السنة هو موسم الحج ، وقد يتكرر انتدابهم لهذه المهمة في سنوات متتالية بالرغم مما يكلف به ذلك الأمير المنتدب خلال العام وقد كان أمير الحاج في العهود العباسية الأولى يختار من الأمراء العباسيين ثم من الرجال البارزين من العلويين ، وقد أستمر ذلك طوال القرن الرابع والخامس[7]، ثم منذ بداية القرن السادس أصبح أمراء الحج يختارون من بين الأمراء المماليك الأتراك[8]، وظل الحال على هذه الشاكلة حتى سقوط الخلافة العباسية[9]، ومن بين الأمراء الذين تولوا أمارة الحج مظفر الدين سنقر

---

[1]ابن ألفوطي , تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب , جـ 4 , ق3 , ص122.

[2]القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ،جـ4، ص9؛ معروف ،ناجي ،المدارس الشرابية ،ببغداد وواسط ومكه ،مطبعة الارشاد ،بغداد1965، ص45

[3]أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ،جـ9 ،ص327 ؛ سبط أبن الجوزي ،مرآة الزمان ،جـ8،ق2 ،ص600 ،أبن ألفوطي ،تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ،جـ4،ق1 ،ص373.

[4]الكامل في التاريخ ،جـ9 ،ص327.

[5]الحوادث الجامعة، ص79.

[6]ابن ألفوطي , تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب , جـ 4 , ق3 , ص138.

[7]أبن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،جـ7 ،ص276 ،جـ8 ،ص189؛ فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة الأرشاد ،بغداد ،1967م ،ص195،194.

[8]سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ،جـ8 ،ق1،ص411،405،389،383

[9]فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص261،260.

الناصري سنة601هـ/ 1204م في خلافة الناصر لدين الله[1]، وحسام الدين أبن أبي فراس تولى أمارة موكب الحج سنة 622هـ/1225م، ولقد ترك الحاج وذهب إلى مصر سنة 621هـ وقيل سنة 622هـ ، ولم يعد إلى العراق حتى سنة 629هـ / 1231م[2]، وكذلك شمس الدين قيران مملوك الخليفة المستنصر بالله تولى أمارة الحج سنة 624هـ / 1226م[3]، وأبو الميامين أيبك المستنصر المعروف بالدويدار الصغير ، تولى أمارة الحج سنة 641هـ/1242م ، وكانت أم الخليفة المستعصم بالله في هذا الموكب[4].

وقطب الدين سنجر البكلكي تولى أمارة موكب الحج سنة 650هـ /1252م ، وكذلك فلك الدين محمد بن علاء الدين الطيبرسي (الدويدار الكبير) تولى أمارة الحج سنة 653هـ / 1255م[5].

هذا والى جانب هؤلاء الأتراك ، الجواري التركيات اللاتي اشتهرن بجمالهن "فقد جمعن الحسن والبياض ، ووجوههن مائلة إلى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة،وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة ، وقدودها ما بين الربع والقصر، والطول فيهن قليل ، ومليحتهن غاية ، وهن كنوز الأولاد ، ومعادن النسل[6].

وقد كانت قصور الخلفاء والأمراء تأوي الكثير من الجواري التركيات زوجات لهم كالخليفة المستضيء بأمر الله الذي تزوج جارية تدعى زمرد خاتون وأنجبت له ولده الناصر لدين الله توفيت سنة 599هـ / 1203م[7]، والخليفة الظاهر بأمر الله تزوج جاريته حياة خاتون ، كانت حظية عنده ،مقربة اليه ، أم ولد له ، عتقت بموته ، وصارت حرة توفيت سنة 639هـ / 1242م[8]، وقد آلف المجتمع البغدادي وجود الجواري الكثيرات في البيوت وعلى مستويات أجتماعية ، ولذلك أصبح الأقتران بالجارية غير معيب ،فأذا أولد الرجل جاريته , تراه يعتز بأولاده منها , ولا يرى في الاعتراف بهم أي بأس[9]وقد التزم الجواري بعادات وتقاليد المجتمع البغدادي فكن يحتجبن ويغطين رؤوسهن وخصوصا جواري الخليفة[10].

---

[1]أبن الساعي ، الجامع المختصر ،جـ9 ، ص153

[2]سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ8 ،ق2 ،ص 632 ، 633 ، 635، 639

[3]م.ن ،جـ8 ، ق2 ، ص644.

[4] الحوادث الجامعة ، ص215.

[5] م. ن، ص328.

[6]أمين ، احمد ،ظهر الأسلام ،ط2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1957م، جـ1 ، ص35

[7] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص261 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، جـ8 ، ق2، ص513؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص114.

[8]أبن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص242

[9]ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص230 ؛ فهد , العامة ببغداد , ص33

[10]ابن الجوزي , المنتظم , جـ8 , ص285 ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ8 , ص285 , فهد , العامة ببغداد , ص34

3.الفرس:

برز العنصــــر الفارســــي في المجتمع البغدادي منذ قيام الخلافة العباســـية فقد اســـتخدم العباسيون الموالي من الفرس في أعمال الدولة , اذ كان الخليفة المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب[1], فاتخذ ذلك الخلفاء من بعده , وهكذا تغلغل العنصـر الفارسـي في المجتمع البغدادي واختلطوا مع العرب , وامتزجت الحضـارات بين العنصـرين واسـتطاع الفرس أن يتمتعوا ببعض الامتيازات منها تقلدهم المناصـب الكبرى في الدولة العباسـية , حتى جاء الأتراك أواخر القرن الثاني الهجري , فسـيطروا على أمور الدولة العباســـية حتى مســـتهل القرن الرابع حيث عاد الفرس مرة أخرى إلى الســـيادة والسـيطرة ممثلين في بني بويه[2], الذين اسـتأثروا بالنفوذ في العراق[3], فاشـتدت شـوكتهم واتسـع نفوذهم حتى أقاموا أمارة وراثية في حاضـرة الخلافة العباسـية وأصـبحت الأمور بأيديهم , حتى صاروا يعينون كاتبا للخليفة يشرف على ضياعه وأملاكه[4].

وقد اســتمر تأثير الفرس في المجتمع البغدادي عبر عصــور الخلافة العباســية , فقد تولى البعض منهم مناصـــب مهمة في الدولة فكان منهم الوزراء مثل مؤيد الدين محمد بن احمد بن القصـــاب الذي وزر للخليفة الناصـــر لدين الله[5], وكان فخر الدين احمد بن محمد بن الدامغاني صـــاحب الديوان في عهد الخليفة المســـتعصـــم بالله[6], كما برز منهم القضـــاة والعلماء والشـيوخ والسـادات والتجار , واسـتوطن البعض منهم في بغداد مثل آل ألمخرمي الذي ســكنوا محلة المخرم فنســبوا إليها , فبرز من هذه العائلة المبارك بن علي ألمخرمي فقيها عالما وعدلا ثقة درس وأفتى وولي قضـــاء باب الازج في بغداد , وكان نزيها في ولايته[7].

ومن العوائل الفارسـية التي اسـتوطنت بغداد آل الدامغاني , فبرز من هذه العائلة عدد كبير من القضـاة وصـاروا من اكبر وأشـهر العوائل في القرون الأخيرة في الدولة العباسـية منهم قاضـي القضاة أبو عبد الله محمد توفي سنة 515 هـــ / 1121 م ومحمد بن علي بن احمد الدامغاني وأبو الفتح أبي الحســـن الذي كان ينوب في الحكم خلال ولاية أبيه الثانية في القضـاء وقد توفي سـنة 575هـــ / 1179م[8]وفي عهد الخليفة المسـتعصـم بالله كان فخر

---

[1]السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص205
[2]الاربلي , خلاصة الذهب , ص245 ؛ رحمة الله , الحالة الاجتماعية في العراق , ص15
[3]ابن الطقطقي , الفخري , ص257
[4]ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ6 , ص315.
[5]ابن الطقطقي , الفخري , ص324.
[6]ابن الفوطي , تلخيص مجمع الاداب , جـ4 , ق3 , ص99.
[7]الحوادث الجامعة , ص167 , 168
[8]ابن الدبيثي , المختصر المحتاج أليه ,جـ1 , ص 23.

الدين احمد بن محمد الدامغاني هو صــاحب ديوان بغداد[1] أي وزير المالية فيها , وقد تنقل في الوظائف الكبيرة وولي صـــدرية عرض الجيش , وأخيرا ولي ديوان الزمام ســـنة 648هـــ[2], هذا وقد غلب العنصــر الفارســي على المجتمع البغدادي في زمن المغول الايلخانين , حيث فوض الأمراء المغول الفرس حكم العراق , فقد تم تعين أول شــحنة أو حاكم عسـكري على بغداد بعد سـقوط الخلافة العباسـية علي بهادر الخراسـاني , كما كان عماد الدين عمر بن صــدر الدين محمد القزويني احد أعيان قزوين , من الذين عمرو بغداد بعد احتلالها , فرمم مساجدها ومدارسها ومشاهدها وربطها وإعادة الجرايات على علمائها وصوفيها[3], وفي سنة 657هـ / 1259م عين هولاكو احد عظماء الفرس الذين جاءوا في معيته وهو علاء الدين عطا ملك الجويني صـــاحب ديوان العراق أي واليه وحاكمه , وقد بقي في حكم البلاد ما يزيد على احدى وعشـرين سـنة[4]وفي 682هــــ / 1282م وصـل شـرف الدين هارون بن صــاحب شـمس الدين محمد الجويني صـاحب ديوان الممالك إلى بغداد , وقد فوض أليه تدبيرها وجعل صــاحب ديوانها على قاعدة عمه علاء الدين[5], وفي سنة 685هــ / 1286م وصل ناصر الدين قتلغ شاه ألصاحبي مملوك علاء الدين الجويني إلى بغداد وعين مشـرفا بالعراق[6], وفي سـنة 697هــــ / 1393م أمر السـلطان كيخاتو شـمس الدين محمد التركسـتاني المعروف بالسـكورجي بالسـفر إلى العراق وقد عينه واليا عليـه[7]ومنهم من تولى أوقـاف البلاد مثـل نصـــير الـدين الطوســـي الـذي تولى أوقـاف الإمبراطورية الايلخانية , وقدم إلى بغداد سـنة 662هــــ / 1263م للنظر في أمر أوقاف العراق , وقد خلفه أبناءه من بعده[8].

وقد كثر الحكام الفرس في العراق حتى قال القلقشــندي " لما انقرضــت الخلافة العباســية استولت المغول والأعاجم على بغداد[9].

أما الأثر الذي تركه الفرس في المجتمع البغدادي , فيتجلى بعدة نواحي منها بناء القصـور , وابتكار الأزياء , وتعدد أنواع الطعام , وإدخال بعض وســـائل البذخ والترف , وإحياء المجالس الغنائية , فقد بالغ الخلفاء في الاهتمام بهذه المجالس , بعد احتكاكهم بالفرس , وتأثرهم بالحضـــارة الفارســية , فقد ذكر ابن خلدون أنهم أمعنوا باللهو واللعب , واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضـبان والأشـعار التي يترنم بها عليه , وجعل صـنفا وحده ,

---

[1]الحوادث الجامعة ، ص359.
[2]ابن الفوطي , تلخيص مجمع الاداب , جـ4 , ق3 , ص99
[3]م .ن , حـ4 , ق2 , ص801.
[4] الحوادث الجامعة , ص369 ، 460.
[5] م . ن , ص465.
[6] م . ن , ص382.
[7] الحوادث الجامعة ، ص515.
[8]م . ن , ص382
[9]صبح الاعشى في صناعة الانشا , جـ1 , ص94.

واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى الكرج , وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب , معلقة بأطراف أقبية يلبسها النساء ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون , وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو[1].كما بالغ الخلفاء العباسيون في بناء قصورهم وزخرفتها وتأثيثها بأفخر الأثاث ، كما كان لدى الفرس ، فكانت مظاهر تأثير الفن الفارسي في البناء واضحا في قصورهم[2] ، فضلا عن الملابس ، فالقلانس والأقبية والسراويل والجوارب وغيرها من الألبسة ، ما هي إلا ألبسة فارسية الأصل ، وانتقلت إلى العراق في القرن الثاني الهجري منذ عهد الخليفة المنصور[3].

كما ظهر التأثير الفارسي في أزياء النساء حيث كان للجواري الفارسيات أثر على المجتمع البغدادي ، فنشرن أنواع الحلي والمجوهرات ، والأحزمة والنقش على الأردية والعصائب[4] ، وقد تجلت مظاهر التأثير الفارسي في أدوات الطعام التي كانت تستخدم في موائد الخلفاء[5] والوزراء[6] ، وكانت معظمها مصنوعة من الذهب والفضة[7] والبلور[8].شملت التأثيرات الفارسية على المجتمع البغدادي الأعياد والناسبات الدينية مثل الاحتفال بعيد النوروز والمهرجان وهما أعياد ترجع إلى أصول فارسية قديمة[9] ومن المناسبات الدينية التي ساهم بها الفرس مع أهل بغداد هو مشاركتهم في أحياء ذكرى استشهاد الأمام الحسين (عليه السلام) في اليوم العاشر من محرم الذي كان يعتبر حزن عام حيث تعطل الأسواق[10] وينشغل الناس بقراءة قصة المقتل وينعون الأمام الشهيد (عليه السلام) .

---

(1) المقدمة , ص427 , 428.

(2) أرنست ،كورنل ، الفن الأسلامي ، ترجمة احمد موسى ومراجعة إبراهيم الدسوقي ، مطبعة أطلس ، القاهرة ،1961م ، ص35

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ6 ،ص296 ؛ رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص16.

(4) أبن عبد ربه ، أبي عمر احمد بن محمد (ت327هـ) ، العقد الفريد ، القاهرة ،1940م ، جـ8 ،ص135.

(5) التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي (ت384هـ) ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق المحامي عبود الشالجي، بيروت 1971م -1973م ، جـ1 ، ص144 ،146.

(6) الصابئ ، أبو الحسين الهلال بن المحسن (ت448هـ) ، الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار أحياء الكتب العربية ، 1958م ، ص215 ،216.

(7) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ) ، أحياء علوم الدين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1939 ،جـ2 ، ص16.

(8) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت430هـ) ، يتيمة الدهر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1956م ، جـ2 ، ص377.

(9) النويري , نهاية الأرب في فنون الأدب , جـ1 , ص178 ؛ القلقشندي , صبح الأعشى في صناعة الانشا , جـ2 , ص408 , 411؛فهد , العامة ببغداد , ص199 , 200 , 201.

(10) ابن الجوزي , المنتظم , جـ6 , ص7.

هذا فضـلا عن المشـاركة بالأعياد الدينية مثل (عيد الغدير)الذي يحتفل فيه عوام الشـيعة في الثامن عشر من ذي الحجة،وهذا العيد هو لأحياء ذكرى الخطبة التي القاها النبي (صلى الله عليه وسلم) في موقع غدير خم بين مكة والمدينة اثناء عودته من حجة الوداع[1].

[1]ابن الجوزي , المنتظم , جـ8 , ص146 ؛ الذهبي , العبر في خبر من غبر , حــ3 , ص42 , المقريزي , تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ) , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , طبعة بولاق , جـ1 , ص388.

الفصل الثاني

المبحث الثاني:

المكونات الدينية في المجتمع البغدادي

لقد تميزت هذه الحقبة في المجتمع البغدادي بتداخل مفهوم الفئة الاجتماعية تداخلاً أضــفى على المجتمع نوعا من التعقيد ، فألى جانب هرمية الترتيب الاجتماعي التقليدي الناتج عن اســتئثار الطبقة الحاكمة بالجاه والثروة ، كان الانتماء الديني والقومي يضــفي على تدريجية ذلك الهرم نوعا من التداخل انعكس حتى على مناطق الســكن ، فمن أراد الإقامة في دار لابد أن يتوجه إلى الســكن في محلة تســود فيها انتماءاته الدينية أو القومية ، فالمجتمع البغدادي لا يتكون من المســلمين فقط وإنما يدخل في تركيبه الاجتماعي أقليات دينية كاليهود والمسيحيين ، الذين كان لهم كيانهم الديني الخاص المعترف به رســميا ، كما تمتعوا وفقا للشــريعة الإســلامية بنوع من الوضع المستقل ذاتيا داخل المدينة ، اذ تفرض عليهم ضريبة الجزية بحسب ما أمر به الشرع الإسلامي.

وعلى الرغم من أن السكان يعتنقون أديانا ثلاثة وينتمون إلى قوميات متعددة فقد كانوا يتحدثون اللغة العربية بلهجات مختلفة ، وســنتحدث عن المكونات الدينية للمجتمع البغدادي ونطلع على بعض شؤونها الاجتماعية.

1- **<u>المسلمون</u>**: يشكل المسلمون الغالبية العظمى من المجتمع البغدادي في هذه الحقبة موضوع البحث ، فقد أستمد المسلمون معظم تقاليدهم وقيمهم الاجتماعية والأخلاقية من روح الإسلام وعقيدتهم السمحة ، وقد أثرت عصور السيطرة الاجنبية في تفاصيل المجتمع البغدادي والعراقي على نحو عام , فتسربت الكثير من القيم البالية والشعوذة والعادات في مفاصــل حياة المجتمع واعتقاداتهم وينقســم المســلمون في بغداد إلى مذهبين رئيسين هما : مذهب السنة والجماعة ومذهب الشيعة الأمامية .وهو تقسيم قديم جدا وليس وليد هذه الحقبة الأخيرة , وكان لهذا التقســيم بعض الأثر في البناء الاجتماعي للمدينة , وكان أتباع كل مذهب يجمعهم بعض العلاقات والسمات الفكرية والثقافية دون أن تؤدي إلى التنازع والتصــادم في الأمور الجادة فرغم الاختلاف في وجهات النظر ألا أنهم في نهاية الأمر يرجعون إلى دين واحد وعقيدة واحدة .

كان أهل السنة في بغداد يمثلون الأكثرية من سكانها أذا استثنينا بعض المناطق التي تتجمع فيها الشيعة كمشــهد الأمام موســى الكاظم والكرخ والمختارة وبعض الأماكن الأخرى[1].

وكانت الظروف الســياســية التي تعرضــت لها البلاد حتى منتصــف القرن الســادس الهجري قد فرضت على سكان بغداد التجمع في السكن على أساس مذهبي , فاشتهر حي الكرخ مثلا بأنه مسكن الشيعة كما اشتهرت أحياء كباب الازج وسوق السلطان

---

[1] سبط الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق1 , ص359 ؛ فضلا عن محلات القرية والخضريين وبعض المامونية.

ومشـــهد أبي حنيفة في الجانب الشـــرقي , وأحياء قطفتا وباب البصـــرة والحربية من الجانب الغربي بأنها مساكن أهل السنة[1].
ولم يمتهن أهل الســـنة حرفاً بعينها , فقد اشـــتغلوا بالتجارة والصـــناعة , كما احترفوا الزراعة في الريف والسواد , واحتلوا من وظائف الدولة نصيبا كبيرا , هذا فضلا عن طلب العلم وتعليم الناس في المدارس والمساجد[2].
وكان أهل السنة مادة الخلافة ومصدر قوتها الروحية والعملية , فقد كانوا يعتقدون أن طاعتها جزء من أيمانهم , وقد عمل الخلفاء بدورهم على تقوية هذه النظرة وتأكيدها بأعمالهم وأقوالهم , فكان الخليفة في نظر أهل الســـنة هو الأمام وظل الله في الأرض ويتســـاوى في هذه النظرة العامة عامتهم وفقهاؤهم , ولم تكن هذه النظرة من قبل آهل السنة نحو الخلافة حديثة العهد , وإنما نشأت مع نشوء الخلافة وتطورها[3].
وانطلاقا من مبدأ أن الخليفة ظل الله في الأرض , كان خلفاء بني العباس قد اتخذوا من ذلك شعارا لتثبيت سلطتهم في الحكم واخذوا يساندون نظرية أهل السنة باستخدام كل الوســـائل لتثبيت دعائم حكمهم للبلاد , فنجد أن الخليفة الناصـــر لدين الله يوضـــع كتاب سماه (روح العارفين) جمع فيه الكثير من الأحاديث وأجاز للناس أن يرددوها عنه , كما أرســـل نســـخا منه إلى أمراء الأطراف لقراءته وروايته[4] , هذا كما كان الخلفاء يراسـلون أمراء المسـلمين يحثونهم على نشـر السـنة وتقوية دعائمها[5], هذا فضـلا عن بناء المدارس وتخصـيصـها لدراسـة مذاهب أهل السـنة كلها أو بعضـها وتعين المدرسين والمعيدين لها وأجراء الجرايات ورصد الأوقاف لأنفاق عليها ما هو إلا دليل على اهتمام الخلافة بمســاندة أهل الســنة وتقوية نشــاطهم ومن هذه المدارس المدرسـة المستنصـرية التي افتتحها الخليفة المستنصـر بالله سنة 631هـــ/1233م والمدرسـة البشـرية التي افتتحها الخليفة المسـتعصـم بالله نيابة عن أم ولده أبي نصـر التي حملت اســمها[6] هذا فضـــلا عن مدارس أخرى قام ببنائها بعض كبار موظفي الدولة وأمرائها . هذا ولم يتوان الخلفاء العباســيون من اســتخدام القوة أذا تعرضـــوا لعدوان من قبل خصـوم الخلافة , كما لم يترددوا في مســاندة أهل الســنة , ففي خلافة المستعصم بالله شكا أليه بعض الخدم من اعتداءات أهل الكرخ وفسادهم , وحملوا أليه بعض القتلى من أهل حي قطفتا, فأمر الجند بتأديبهم ولحق بهم العامة فنهبوا وقتلوا الرجال وسبوا النسـاء[7], وكان اغلب وزراء الخلافة وموظفيها من أهل السـنة سوى خمسة وزراء تولى منهم في زمن الخليفة الناصر لدين الله وخامسهم في زمن الخليفة المستعصم بالله[8].وكان لمجالس العلماء التي تعقد في قصور الخلفاء كل أسبوع مرة أو مرتين , التي يحضرها الآلاف من الناس كما يحضرها الخلفاء وأفراد أسرهم من

---

[1] ابن الجوزي , المنتظم , جـ10 , ص145 , 249 ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ ,جـ9,ص172. ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص146 , 149.
[2] القزاز , الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير،ص152.
[3] م . ن , ص153.
[4] سبط ابن الجوزي, مرآة الزمان,جـ8,ق2,ص543؛ابن واصل,مفرج الكروب,جـ3,ص228.
[5] الذهبي,العبر في خبر من غبر,جـ3,ص98؛ابن واصل,مفرج الكروب,جـ3,ص232.
[6] الحوادث الجامعة , ص323.
[7] الحوادث الجامعة,ص331؛ابن خلدون,العبر وديوان المبتدأ والخبر,جـ3,ص527.
[8] ابن الطقطقي , الفخري؛ص323,324,325,326,326,327.

وراء ســـتار وكان العلماء يفتتحون وعظهم بالإشـــادة بالخليفة وتذكير الناس بوجوب طاعته والتفاني بمحبته والإخلاص له[1] , وكان لهذه المجالس التي يعقدها هؤلاء العلماء سـواء في قصـور الخلفاء أم في مدارسـهم أم في الأحياء , وما يدور فيها من مناقشـات ومسـائل اكبر الأثر في تقويم أخلاق الناس وتهذيب طباعهم وتوجيههم نحو طاعة الخلافة وتأيدها فضلا عن نشرها الوعي الديني والثقافي بين الناس[2].
وقد كان أهل السـنة منقسـمين إلى مذاهب مختلفة اعترفت بها الخلافة[3], وأخذت بتعاليمها في الأحكام والمعاملات وأعطتها مكانتها في ديوان الخلافة , وأجازت لكل منها مدارس خاصـة[4], ولكنها في المقابل كانت تنكر عليهم جميعا الغلو والتعصـب المذهبي الذي نشـأت عنه الفتن والاضـطرابات التي كانت تتحول في بعض الأحيان إلى معارك دامية بين أنصار هذه المذاهب[5], ففي عهد الخليفة المستعصم بالله حدثت فتنة بين أهل محلة الرصـافة ومحلة أبي حنيفة والخضـريين وأدت إلى حدوث حرب بين المحلتين ,((أسـتظهر فيها أهل محلة أبي حنيفة والخضـريين على أهل الرصـافة وطردوهم إلى باب المحلة و وركهم السـيف , فدهم الليل , فازدحموا للدخول فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفرا , وحصـروهم , ومنعوا أن يدخل أليهم شـئ حتى الماء من دجلة . فاضر بهم ذلك,.........))[6]
هذا وقد كانت الخلافة تمنع بعض الفقهاء من عقد المجالس عندما تحس بغلوهم في الوعظ, أو تكثر شكوى الناس من تحرشهم بالمذاهب الأخرى[7].
أما الشـيعة فكانوا يقطنون محلة الكرخ في الجانب الغربي فضـلا عن مشـهد موسـى الكاظم(عليه السلام) الذي نسمع عن وجودهم فيه في أواخر العصـر العباسـي أما في الجانب الرصـــافة فيبدو أنهم كانوا كثيرين في محلة المختارة مع أقليات في محلات أخرى من هذا الجانب ويذكر ياقوت الحموي أن كرخ بغداد محلة سكانها كلهم شـيعة أمامية لا يوجد بينهم سـني ألبته وبين شـرقها والقبلة محلة باب البصـرة وأهلها سـنة كلهم وفي جنوبها محلة نهر القلائين وهم حنابلة وعن يسار قبلتها باب المحول وأهلها سنة أيضا[8].
هذا ولم تحدث خلافات مهمة بين أهل السـنة والشـيعة في أواخر العصـر العباسـي ما عدا ما وقع قرب المحلات قبيل سقوط الخلافة العباسية , وكان اجتماع الشيعة للعزاء وقراءة المقتل أيام عـاشـــوراء ســـببا في إثـارة بعض الخلافـات , ففي ســـنـة 641هـــ/1243م أمر الخليفة المستعصم بالله المحتسب جمال الدين عبد الرحمن بن

---

[1] ابن الجوزي , المنتظم,جـ10,ص194,256,258,262,265,284,285
[2] القزاز , الحياة السياسية في العراق ,ص154, 156.
[3] سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان,جـــ8,ق2,ص543,544.المذاهب الأربعة حملت أسماء المجتهدين الذين نسـبت أليهم وهم الأمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت(150-80هـــ) والأمام مالك ابن انس ابن مالك ابن أبي عامر سـنة(179-93هـــ) والأمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شـافع سـنة(150-204هـ) والإمام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل سنة(241-164هـ).
[4] ابن الجوزي , المنتظم , جـ10 ,ص234 ؛ الحوادث الجامعة , ص84 ,305 ,307, 323. 92
[5] ابن الجوزي , المنتظم,حـ10, ص145؛ابن الأثير,الكامل,جـ9,ص268.
[6] الحوادث الجامعة , ص339 , 340.
[7] القزاز , الحياة السياسية في العراق , ص158
[8] معجم البلدان , جـ4 ,ص128.

الجوزي بمنع الناس من قراءة المقتل يوم عاشوراء والإنشاد في سائر المحلات في بغداد ماعدا مشهد موسى بن جعفر(عليه السلام)[1] ,وفي سنة 648هـ/1250م منع أهل الكرخ والمختارة من النياحة وإنشاد الأشعار في عاشوراء خوفا من وقوع الفتنة[2], وكذلك سنة650هـ/1252م أيضا منع من قراءة المقتل يوم عاشوراء إلا في مشهد موسى بن جعفر(عليه السلام) ومحلة الكرخ خوفا من الفتنة[3] , كان الخلاف يقع أحيانا بسبب رؤية هلال رمضان ففي سنة 646هـ/1248م اختلف الناس في ليلة سلخ شعبان فأصبح الشافعية والحنفية والمالكية مفطرين بينما صام الحنابلة والشيعة[4], هذا وقد شهدت بغداد في أواخر العصر العباسي وقبل سقوطها بيد هولاكو حربا بين أهالي أو سكان المحلات سببها هو ضعف الحكومة وفشلها في المحافظة على الأمن وما حدث خلال ذلك من حرب طائفية لم يكن سوى حرب المحلات وليس سببا منها ولا صفة غالبة عليها , ويمكن أن نلاحظ ذلك في قلة عدد الفتن السنية-الشيعية إذا ما قيس بما وقع من حوادث عنف وسفك الدماء بين المحلات السنية نفسها , ماعدا حادثة وقعت بين محلة قطفتا ومحلة الكرخ سنة 654هـ/1256م وتعصب الجند والعامة لمحلة قطفتا السنية وقتلهم عدداً من الناس وسبيهم النساء ونهبهم الأموال في محلة الكرخ الشيعية مما أدى إلى تدخل الخليفة المستعصم بالله فأمر بإعادة الأمن إلى نصابه وأعيدت الأموال إلى أصحابها[5]. ويبدو أن المغول عند اجتياحهم بغداد لم يفرقوا بين السنة والشيعة بل أنهم استباحوا المدينة واعملوا السيف في رقاب أهلها صغارا وكبارا ماعدا المسيحيين ومن لجا إلى بيتهم كما لم يتعصب سلاطين المغول خلال حكمهم للعراق لأحدى الطائفتين دون الأخرى[6].

2- **<u>اليهود</u>** : استوطن اليهود مدينة بغداد إلى جانب المسلمين منذ تأسيسها سنة145 هـ 762م, حيث قصدها الناس من مختلف الأصقاع واللغات والأديان, وكان معظم خلفاء بني العباس يتميزون بالتسامح والتساهل تجاه الطوائف الأخرى فقد تمتع أهل الذمة ومنهم اليهود لكثير من ضروب التسامح الديني فأقاموا الشعائر الدينية في امن ودعة وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة وفي ممارسة المهن الحرة , ولم يتدخل خلفاء بني العباس بصورة عامة في شؤونهم الدينية إلا في بعض الفترات حيث وضعت القيود على الألبسة ومزاولتهم الطقوس الدينية في بعض الأحيان[7], وقد تمتع اليهود مثل غيرهم من السكان بدرجة كبيرة من الاستقرار خلال العهود الأولى من حكم الدولة العباسية , ويبدو أن الحكام المسلمين لم يقوموا بتحديد مناطق أو محلات لسكنى أية طائفة من الطوائف الدينية ولكن التشابه العنصري أو الغوي أو الديني أو الاجتماعي كان يحمل في كثير من الأحيان بعض الفئات على التجمع في

---

(1) **الحوادث الجامعة , ص212 .**
(2) **الحوادث الجامعة , ص292 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص575.**
(3) **العسجد المسبوك , جـ2 , ص585**
(4) **م . ن , ص564.**
(5) **الحوادث الجامعة , ص331 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص621.**
(6) **الحوادث الجامعة , ص359 ؛ خصباك , العراق في عهد المغول الايلخانين , ص182.**
(7) **ابن الجوزي ، المنتظم، حـ9 ص 17**

شـوارع معينة في المدن المسـلمة كانت أم غير مسـلمة[1] فقد ورد في أخبار سـنة 501هـ/1107م ان بين سكان محلة ابن جردة في بغداد كان يسكن اليهود[2] وذكر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار العراق بين 561-569هـ/1165-1173م أرقاما مبالغاً فيها حول وجود اليهود في بغداد اذ ذكر فيها نحو أربعين ألف يهودي يعيشـون بأمان في ظل الخليفة , وبينهم عدد من العلماء ولهم عشـر مدارس وثمان وعشـرون كنيسـة منها ما هو في جانب الكرخ ومنها ما هو في جانب الرصافة[3].

كان رئيس يهود بغداد يسمى رأس مثيبة اليهود أو رأس الجالوت , وكان نفوذه يسري على جميع يهود العراق والجزيرة واليمن وأرمينية وسـيبيريا والتركمان وجورجيا إلى شـواطئ جيحون وحدود سـمرقند , وكان لا يتم تعين رؤسـاء اليهود في كل هذه البلاد إلا بمعرفته , فكانوا يقدمون إلى بغداد بعد تعينهم في مناصـبهم من اجل مقابلته وكان رأس الجالوت يسـتمد سـلطانه من كتاب يوجه أليه من قبل الخليفة , وتنتقل رئاسته إلى ذريته بالوراثة[4], إلا أن ذلك لم يستمر خلال العهود الأخيرة من الخلافة العباسية ففي سنة 646هـ/1247م رتب دانيال بن شـمويل بن أبي الربيع رأس مثيبة[5] اليهود[6] ، وفي سنة 648هـ/1250م سـال عالي بن زخريا اليهودي أن يرتب رأس مثيبة اليهود فأجيب إلى ذلك[7] ، هذا ويمكن ملاحظة آلية تنصـيب رئيس مثيبة اليهود من خلال تولي دانيال بن شـمويل من قبل الوزير محمد بن احمد العلقمي سنة 646هـ/1247م حيث أرسله إلى قاضـي القضـاة عبد الرحمن بن اللمغاني فاجلس دانيال بين يديه وقال له (رتبتك زعيما على أهل ملتك ومن أهل دينك المنسوخ الذي نسخته الشريعة المحمدية لتأخذهم بحدود دينهم وتأمرهم بما أمروا به في شـريعتهم وتنهاهم عما نهوا عنه في شـريعتهم وتفصـل بينهم في وقائعهم وخصـوماتهم بموجب شـريعتهم والحمد لله على الإسـلام) ثم نهض بعد ذلك ولبس طرحته في دهليز القاضي وتوجه إلى بيته ومعه جمع من اليهود وأتباع الديوان[8].

ويبدو إن اليهود قد تعرضوا إلى الأذى عندما غزا المغول بغداد سنة 656هـ/1258م شـانهم في ذلك شـان المسـلمين فلم ترد المصـادر عن أنهم عوملوا معاملة خاصـة إلا أنهم استطاعوا أن يعيشوا عصر ازدهار في ظل احد سلاطين المغول المدعو ارغون 683-699هـ/1284-1291م ، اذ فسح المجال لليهود للمشاركة في السلطة لأول مرة في التاريخ الايلخاني , بعد أن كانوا مبعدين عنه في عهد الايلخانات الذين سـبقوا

---

(4) S.W.Baron , Asocial and Religios History of the Jews Columbia University Press , New York ,Vol.11, p.144 .

(2) **ابن الأثير , الكامل في التاريخ , حـ10 , ص171 .**

(3) **الرحلة , ترجمها عن الأصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها , عزرا حداد , المطبعة الشرقية , بغداد , 1945م , ص135 , 139 .**

(4) **بنيامين التطيلي , الرحلة , ص131 , ص138.**

(5) **المثيبة : هي المسشيخة الدينية (ينظر الحوادث الجامعة , ص270 هامش رقم "1")**

(6) **الحوادث الجامعة , ص270**

(7) **م.ن، ص293**

(8) **الحوادث الجامعة , ص270.**

ارغون , حتى أصبح اليهود يتولون تركات المسلمين في عهده[1], فقد تولى سعد الدولة اليهودي منصب الوزارة , ونجح بأساليبه الانتهازية ولباقته في الوصول إلى أعلى المناصب بعد الايلخان نفسه , وكان سعد الدولة هذا في بداية أمره يسكن مدينة بغداد ويزاول مهنة الطب , وقد وصل خبره الى السلطان ارغون فاختاره للبقاء في حضرته , وبفضل إتقان سعد الدولة آداب السلاطين وكيفية أرضائهم وخدمتهم وتحليه بالكياسة والكفاية , نتيجة مخالطته المغول والترك وتعلمه لغاتهم واطلاعه على الشؤون العامة في بغداد بعث إلى السلطان ارغون بان نوابه في بغداد وعمالها يظلمون الناس ويخربون البلاد ويحجبون الأموال ولا يرسلون منها إلى خزينة السلطان إلا القليل فأرسله السلطان ارغون هذا لتصفح أعمال بغداد ولا سيما وارداتها في أواخر سنة 686هـ/1287م فعاد إليه بمبلغ كبير من المال كان قد جمعه بشتى الطرق كالضرب بالعصا والتعذيب فأعجب ارغون بالمال فارتفع بذلك مقام سعد الدولة لدى السلطان[2], وفي سنة 688هـ/1289م احضر لارغون مبلغا كبيرا من المال من واردات بغداد فازداد أعجاب السلطان به فقال له سعد الدولة :(لو لم يكن الكتاب يمنعوننا لكان هذا المال أضعافا مضاعفة) فصدر أمر السلطان بمعاقبة هؤلاء واسند منصب الوزارة إلى سعد الدولة وسرعان ما سيطر الأخير على كل الأمور فكان ماهرا في تدبير شؤون البلاد وضبط أعمالها ولم يهمل فيها شاردة ولا واردة[3]. هذا وقد تم تعين أخيه فخر الدولة ايليا بن صفي الدين نائب الوزارة في العراق أي واليا على العراق يساعده نصر بن الماشعيري اليهودي كما رتب معه جمال الدين الدستجرداني كاتبا فوصلوا بغداد وقرروا أعمالها[4], هذا فضلا عن تقريبه لأبناء طائفته وتعينهم في مناصب الدولة كافة مما أدى إلى ارتفاع شان اليهود في البلاد , ووصل الحال بهم بالاستهانة بالمسلمين والاستهزاء بهم , ففي سنة 689هـ/1290م كتب أعيان الناس في بغداد محضرا يتضمن الطعن على سعد الدولة ويشتمل على آيات من القران الكريم وأخبار نبوية خلاصتها أن اليهود طائفة أذلها الله تعالى فمن حاول إعزازهم أذله الله , فعلم سعد الدولة بذلك واوصل خبره إلى السلطان فحكمه كاتبه فاصدر أمره بصلب جمال الدين الحلاوي ضامن تمغات بغداد[5], ورغم ذلك فان الأمور لم تبق على هذا الحال فقد مرض ارغون وأحس سعد الدولة بان نهايته قد قربت وبالفعل في سنة 690هـ/1291م توفي السلطان ارغون وسرعان ما قبض أمراء المغول على سعد الدولة وبطشوا به وارسلو الأوامر بالقبض على أخوته , فعندما وصل الخبر إلى العراق فوض الأمر إلى جمال الدين الدستجرداني بإمرة البلاد والقبض على اخي سعد الدولة (فخر الدولة) وعلى مهذب الدولة بن الماشعيري حيث حكموا في الديوان وقتل وقطع إربا أربا وتناهبه العوام[6], وبوفاة ارغون لقي اليهود شر أعمالهم حيث هوجمت دورهم ونهبت كنائسهم وقتل عدد كبير

[1] الحوادث الجامعة،ص492 (كان يهود تفليس يتولون تركات المسلمين في العراق)
[2] الحوادث الجامعة، ص487 , ص488 ، خصباك العراق في عهد المغول الايلخانين , ص201
[3] الهمذاني , جامع التواريخ , جـ2 , ص149 , 150 , 153.
[4] الحوادث الجامعة , ص484 , 495.
[5] م . ن , ص499.
[6] م.ن، ص501 , 502 , 503.

منهم , حتى انه في بغداد وحدها لقي أكثر من مائه من أعيانهم الذل والمهانة وفقدوا أموالهم[1].

هذا وقد كانت ملابس اليهود تختلف عن ملابس المسلمين والنصارى فقد ألزم اليهود لبس الغيار والعمائم الصفر , وأما النساء فالأزر العسلية , وان تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها , فيكون واحد اسود والأخر ابيض وان يجعلوا في أعناقهن أطواقاً من حديد أذا دخلن الحمامات[2].

أما المهن التي كانوا يزاولونها فمنهم العلماء والأطباء والتجار والصرافون وموظفون إداريون , فبرز من بينهم فخر الدولة أبو الفتح اسحق بن الشويخ رأس مثيبة اليهود , كان عالما بأحكام التوراة عارفا بالنجوم والحساب ودرس النحو واللغة وكان محترما نافذ الكلمة عند صاحب ديوان بغداد , توفي سنة 645هـ/1247م[3].

ومنهم برز عز الدين بن كمونه اليهودي الذي صنف كتابا بعنوان(الأبحاث في الملل الثلاث) يعرض فيه إلى النبوات فهاج عليه العوام وحاولوا قتله فأنقذه الحكام بإرساله إلى الحلة حيث ولده كاتبا فيها[4].

4-النصارى :- كان أهل الذمة ومنهم المسيحيون يمارسون دينهم وعاداتهم بحرية تامة , واكتفت الخلافة العباسية بأخذ الجزية منهم ولكن بقيت منزلتهم من حيث مساواتهم للمسلمين اقل , إلا أنهم شاركوهم في وظائف الدولة وممارسة المهن بحرية دون تدخل الخلفاء العباسيين في شؤونهم الدينية إلا في بعض الأحيان , وقد وضعت القيود على ألبستهم وبناء البيع[5] شانهم في ذلك شان اليهود . وكانت اغلب المهن التي امتهنها هؤلاء تتراوح بين صيرفي وبزاز وتاجر وملاك وطبيب وخياط واسكافي وجزار وصباغ[6], وقد بقي أهل الذمة يمارسون هذه الأعمال ذلك أن الفقيه ابن فضلان صاحب ديوان ألجوالي كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله كتابا عن أهل الذمة أشار فيه إلى معظم هذه الحرف فذكر أن منهم " الأطباء وأرباب المعايش من العطارين والمخلطين والكسارين وأصحاب الحرف والصناعة من الصاغة وغيرهم والجهابذة والصيارفة فضلا عن خدمتهم في الديوان[7], ويذكر المقدسي " إن أكثر الصيارفة وأرباب البنوك من اليهود وأكثر الكتبة والأطباء من النصارى"[8] فقد كان أبو طاهر بن شبر اليهودي جهبذا للخليفة الناصر , وكان ابنه أبو غالب عاملا في دار الضرب[9], والصيرفي الذي قتله علي ابن أبي الفتح سنة 649هـ/1251م طمعا بماله كان يهوديا[10] , وكان أكثر الأطباء من النصارى الذين برزوا في خدمة الخلافة

---

(1) **الحوادث الجامعة,503 , 505 ؛ القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص320.**

(2) **الحوادث الجامعة , ص95 , 96.**

(3) **م . ن , ص259 , 260.**

(4) **م . ن , ص476 , 477.**

(5) **م.ن , ص95 .**

(6) **أبو يوسف , يعقوب بن إبراهيم(ت 192هـ) , الخراج , القاهرة , 1302هـ , ص70**

(7) **الحوادث الجامعة , ص90 ,92 , 94 , 95 .**

(8) **شمس الدين أبي عبد الله (ت 375هـ) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , طبعة ليدن , 1909م , ص183.**

(9) **ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص162 , 166.**

(10) **الحوادث الجامعة , ص299.**

منهم أبو الفرج بن المسيحي المتطبب النصراني (ت سنة600هـ) كان حاذقا في علم الطب[1]
وابي نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي , "كان من المتميزين في صناعة الطب , والأفاضل من أهلها , والأعيان من أربابها", عالج الخليفة الناصر من مرض شكاه فشفاه , ومن مؤلفاته في الطب كتاب (الاقتضاب عن طريق المسالة والجواب) وكتاب(انتخاب الاقتضاب)[2]. وابن عكاشة الجرائحي , من أهل الكرخ ببغداد كان معاصرا وتلميذا لأبي نصر المذكور وهو من حذاق الجراحين في ذلك العصر وممن باشر الخليفة الناصر أيضا[3], وأبي الحسن علي بن محمد الطبيب ألمدائني المعروف بابن سدير (ت 606هـ) ((وكان طبيبا عالما بصناعة الطب والمداواة))[4], ومنهم أيضا صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما النصراني البغدادي المقتول سنة 620هـ و((كان فاضلا , حسن العلاج , كثير الإصابة))[5] حظي عند الخليفة الناصر لدين الله الحظوة التامة إذ " كان بمنزلة الوزراء واستوثقه على حفظ أموال خواصه وكان يودعها عنده ويرسله في أمور خفية إلى وزرائه"[6] , والحكيم شمس الدولة ابو الخير سهل بن توما النصراني الذي كان يعتمد عليه الخليفة المستنصر بالله في مراسلاته[7] هذا وقد اشتهر من بين كتبة الخلافة عدد من النصارى منهم ابن زطينا أبو غالب كاتب سلة الديوان العزيز زمن الخليفة الناصر[8], وأبو الفضل جبريل ابن زطينا تولى كتابة الديوان للخليفتين الناصر والظاهر حتى توفي في عهد الخليفة المستنصر بالله[9]،وكان للنصارى في بغداد الكثير من الأديرة ، أشهرها دير العذاري ويقع بقطيعة النصارى على نهر الدجاج في الجانب الغربي من بغداد[10]،وكان ديرا للرواهب السريانيات[11] ودير الزندورد ويقع في الجانب الشرقي من بغداد،في منطقة كلها فواكه وأعناب وقيل عن أعنابه بأنها أجود الأعناب التي تعصر ببغداد[12]، وقد استمر وجود هذا الدير حتى العهود

---

[1] ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص132 , 133 ؛ آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص46.
[2] ابن أبي اصيبعة , عيون الانباء في طبقات الأطباء , ص403 , 405.
[3] م . ن , ص403 , 404 .
[4] ابن ابي اصيبعة،عيون الابناء , ص407 ؛ ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص308 .
[5] ابن العبري , تاريخ مختصر الدول , ص241 .
[6] القفطي , تاريخ الحكماء , ص212.
[7] الحوادث الجامعة , ص238 , 239 .
[8] كان قد اسلم بعد أن علم بان الخليفة الناصر لدين الله أمر بان لا يستخدم في الديوان يهودي ولا نصراني ولا يستعان بهم في عمل من الأعمال ,فانهي أن ابن زطينا ليس له نظير في الكتابة , فكتب على المطالعة :إن مات ابن زطينا فأيش نعمل؟ انبطل الديوان؟ فاسلم ابن زطينا يومئذ واستعمل , وكانت وفاته سنة 601هـ ينظر: سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان ,جـ8 ,ق1 ,ص378,وابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص161 , 162.
[9] الحوادث الجامعة ، ص 27.
[10] الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ) ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد 1951م، ص 70.
[11] م . ن ، ص 299 ، ص 230.
[12] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 652؛665،66؛العمري،شهاب الدين ابن فضل الله(ت748هـ)،مسالك الابصار في ممالك الابصار ؛تحقيق احمد زكي باشا،مطبعة دار الكتب ،القاهرة1924م،حـ1،ص274.

المتأخرة،[1] ودير سمالو ويقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية ، كانت تحيط به البساتين والمزارع ، ولهذا كان يعد من منتزهات بغداد المشهورة فإذا ما حلت الأعياد ازدحم فيه الناس سواء كانوا من النصارى أو من المسلمين[2] ويبدو إن هذا الدير قد تهدم في القرن الثامن الهجري .

وفضلا عن ذلك فان هناك العديد من الأديرة المنتشرة في بغداد والتي كان يقصدها العامة للتنزه مثل دير مرجرجيس[3] , ودير سابر[4] , ودير الجاثليق[5] , ودير العلث[6]، ودير قوطا[7]، ودير الثعالب[8]، ودير الروم[9].

وكان تعداد النصارى في بغداد أوائل القرن الرابع الهجري بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً بحسب إحصائية بعض قوائم الجزية[10] ومن المحتمل إنهم لم يزيدوا كثيرا عن هذا العدد حتى القرن السادس الهجري[11]، وكان أكثرهم من النساطرة الذين يرأسهم الجاثليق الذي اتخذ مقامه في دار الخلافة واستطاع بنفوذه أن يمنع رئيس اليعاقبة من اتخاذ بغداد مركزا لطائفته بدلا من أنطاكيا[12]، كان موقف الخلافة العباسية من أهل الذمة موقفا متسامحا فقد سعت إلى تطبيق أحكام الشريعة ومراعاة العهود التي اتفق معهم المسلمون الأوائل حول أداء الجزية مقابل بقائهم على دينهم ، على إن هذا الموقف المتسامح من الخلافة مع أهل الذمة لم يكن يعني أنهم متساوون مع المسلمين في الحقوق والواجبات إذ إن جميع العهود التي أعطيت لهم كانت تؤكد إن مكانتهم دون مكانة المسلمين ما داموا في ذمتهم فدماء أهل الذمة دون دماء المسلمين ، فلا يقتل المسلم بالذمي ، فقد حدث أن غلاما مسلما قتل سيده النصراني ثم اعترف " فوقع الاقتصار على تخليده السجن فقط عملا بمذهب الشافعي واحمد"[13] وكان لا ينجى الذمي من القتل عند اعتدائه على أعراض المسلمين إلا اعتناق الإسلام[14]، وقد أكد الفقيه ابن فضلان[15] إن مكانة أهل الذمة دون مكانة المسلمين

---

[1] بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية،مطبعة شفيق،بغداد ،1960 م،ص132 ، ص 133.

[2] الشابشتي ، الديارات ، ص 9 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص347.

[3] الشابشتي ، الديارات ، ص 45 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص362 ،العمري ، مسالك الأبصار ، جـ 1 ، ص 207.

[4] الشابشتي ، الديارات ص35؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص345.

[5] م . ن ، ص 18 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص337 ، جـ 4 ، ص 529.

[6] م . ن ، ص 62 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص 353 .

[7] الشابشتي،الديارات ص 41؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،جـــ 2، ص357 ؛ العمري ، مسالك الابصار ، جـ 1 ، ص 280.

[8] م . ن ، ص 16 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص337 ، م. ن ، جـ 1 ، ص 277.

[9] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص337 ؛ العمري ، مسالك الابصار ، جـ 1 ، ص 272.

[10] متز ، آدم ، الحضـــارة الإســـلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، 1940م ، جـ 1 ، ص51 ؛ بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد، ص 24

[11] القزاز ، الحياة السياسة في العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 179.

[12] متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، جـ 1 ، ص 60 ، حتى ، تاريخ العرب المطول ، جـ 2 ، ص 435.

[13] الحوادث الجامعة ، ص 100.

[14] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 58.

[15] هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان كان فقيها عالما توفي سنة 631هـــ ينظر: الحوادث الجامعة، ص90.

في الكتاب الذي رفعه إلى الخليفة الناصـــر اذ روى حديثا عن الإمام علي (عليه السـلام) انه قال : " أُمِرنا إن لا نسـاويهم في المجلس ولا نشـيع جنائزهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام"، هذا وكانت الضريبة الوحيدة التي يدفعها أهل الذمة هي الجزية ، فكان الفقير يدفع دينارا واحدا ومتوسـط الحال دينارين والغني أربعة دنانير[1]، ويبدو إن بعض الفقهاء كانوا يرون إن هذه المقادير قليلة بالنسـبة لأرباحهم الطائلة " إذ إن بعضـهم ينفق في يومه القدر الذي يدفعه في السـنة " ، وقد اقترح هؤلاء على الخلافة إن تضاعف نسبة جبايتهم[2].

وكانت الخلافة تختار لكل طائفة من أهل الذمة رئيسـا ينوب عنها لدى الخلافة يتولى النظر في شـؤونها الدينية وأحوالها الشـخصـية ، وقد تعطيهم الخلافة حق إنزال العقوبات بأبناء طائفتهم عند الحاجة ، وكانت قبل أن تصـدر العهد باختياره تقوم ببعض الأمور الإدارية كأن تسـتشـير أهل طائفته أو تحضـر جماعة منهم إلى دار الخلافة للشـهادة بكفاءته وإخلاصـه وتدينه ، وكان الرئيس الديني للنصـارى يسـمى بالجاثليق[3].

وتميز النصـارى عن باقي الملل الأخرى فقد لبسـوا الغيار الذي أوجبه عليهم الشـرع وشـدوا الزنانير على أوسـاطهم وعلقوا الصـلبان على صـدورهم ، " وإذا أرادوا الركوب لا يمكنوا من الخيل ، بل البغال والحمير بالبراذع دون السـروج عرضـا من جانب واحد"[4].

هذا وقد شارك الخلفاء العباسيون النصارى في الاحتفال بأعيادهم ، وهي على نوعين دينية عامة كعيد رأس السنة ، وأعياد خاصة يحتفل بها بعض الأديرة من دون غيرها وتقام الاحتفالات في مثل هذه الأعياد ويشـترك النسـاء والرجال ، وهم في أجمل ملابسـهم ويرتلون الأناشـيد الدينية ، ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني[5]، أما في الحقبة التي أعقبت سـقوط الخلافة العباسـية كان النصـارى أوفر حظاً من غيرهم في الحفاظ على أنفسـهم ، فلم يصـب هؤلاء بأذى عند اجتياح الغزاة المغول بغداد، فقد حصـل النصـارى على رعاية المغول وحمايتهم اذ عين لهم شـحنة حرسـوا بيوتهم وكنائسـهم ، والتجأ إليهم خلق كثير من المسـلمين فسلموا عندهم[6]، وقد انعم هولاكو على الجاثليق بدار علاء الدين الطبرسـي الواقعة على شـاطئ دجلة فسـكنها ودق ناقوسا في أعلاها وعمر بيعة جديدة واستولى على دار الفلك التي كانت رباطا للنساء والتي كانت تقع مقابل دار الدويدار الطبرسـي واسـتولى كذلك على الرباط البشـري المجاور لها وأزال الكتابة المرقومة على البابين وكتب عوضا عنها بالسرياني[7].

---

(1) ابن الساعي ، الجامع المختص ، جـ 9 ، ص ض . الحوادث الجامعة، ص 24.

(2) الحوادث الجامعة ، ص 92.

(3) بابو اسـحق ، أحوال نصـارى بغداد ، ص 41 ؛ القزاز ، الحياة السـياسـية في العراق في العصـر العباسـي الاخير،ص187.

(4) الحوادث الجامعة ، ص 95.

(5) بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد ، ص 97.

(6) الحوادث الجامعة ، ص 359.

(7) م . ن ، ص 362 ، 363.

ويبدو إن السـبب في اهتمام هولاكو بأمر النصـارى في بغداد يرجع إلى رد جميل الكتيبة الارمنية من أهل جورجيا التي اشـتركت معه في اجتياح بغداد[1]، كذلك تأثير زوجته دقوز خاتون " المؤمنة بالمسـيحية"[2] فقد كانت عظيمة في رأيها وخبرتها[3] مما دفع الإمبراطور المغولي أن يوصـي أخاه هولاكو بمشـاورتها في جميع القضـايا والشؤون[4].

هذا وقد تمتع جثالقة[5] النصـارى في عهد السـلاطين الايلخانين هولاكو (656 – 663هـ) واباقا (663 – 681هـ) وأرغون (683 – 690هـ) بمنزلة عالية[6] فعلى سبيل المثال في سنة 663هـ قبض الجاثليق مكيخا في بغداد على نصراني اسلم ، وعزم على إغراقه ، فهاج المسـلمون ، وثاروا في وجه النصـارى واعتدوا على محالهم ، وحاصـروا الجاثليق ، واحرقوا باب داره وقاتلوا أصـحابه ولكن صـاحب ديوان العراق استحضره إلى داره خفية ، وتدخل شحنة بغداد المغولي بالأمر " فأخذ نفرا من العوام ، وقتل منهم ، وحبس جماعة فسـكنت الفتنة ..."[7]،وفي سـنة 668هـ نسـبت إلى النصـارى محاولة اغتيال علاء الدين عطا ملك الجويني صـاحب ديوان العراق ، فصدر الأمر بالقبض على الجاثليق وأصحابه ، ولكن السلطان المغولي أمر بإطلاق سراحهم جميعا[8].

وعندما تولى احمد بن هولاكو(681هـ ـ 683هـ) عرش الايلخانية سعى إلى تطبيق العدالة بين مكونات المجتمع كافة خصوصا بعد اعتناقه الدين الإسلامي اذ كان أول ايلخان مغولي يعتنق الإسـلام ، فقد اظهر الإحسـان لجميع رعيته وخصـوصـا النصارى[9].

هذا وبلغت عناية المغول بالنصارى في عهد السلطان أرغون (683 – 690هـ) اذ وجد في الاعتماد عليهم سـبيلا لبقائه في العرش[10]،وقد وزع عواطفه بالتسـاوي بين أهل الذمة حيث فسـح المجال لليهود للمشـاركة في السـلطة لأول مرة في التاريخ الايلخاني[11] وسعى في الوقت نفسه على التحالف مع المسيحيين ضد أعدائه المماليك في مصـر وسـوريا ، لهذا نراه كان يعطف على المسـيحيين من رعيته ويرغب في إثارة حكام أوربا ضـد عدوه اللدود دولة المماليك[12] ويبدو أن أوضـاع النصـارى قد تغيرت بعد اعتلاء السلطان محمود غازان سنة 694هـ / 1294م العرش ، حيث

---

[1] **خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 55.**
[2] **ابن العبري، تاريخ مختصر للدول ص263.**
[3] **م ن ،ص285.**
[4] **الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1 ، ص 237.**
[5] **جثالقة النصارى وهم : مكيخا الثاني (655 – 664هـ) ودنحا (664 – 680هـ) ويبالاها الثالث (680 – 717هـ)**
[6] **الكداني ، بطرس نصري – القس ، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، طبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين ، 1905 ، م 2 ، ص 8 ، 22**
[7] **الحوادث الجامعة ، ص 385 .**
[8] **م . ن ، ص 400.**
[9] **ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 289.**
[10] **القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 318.**
[11] **م . ن ،ص318 ، 319.**
[12] **خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 193.**

اعتنق الأخير الدين الإسلامي وجعله دينا رسميا للدولة ، فبدأ حكمه باضطهاد النصارى فأمر بإعادة دار علاء الدين الدويدار الكبير إلى المسلمين بعد أن كانوا قد استولوا عليه في عهد هولاكو،وقد أزيلت منها التماثيل والخطوط السريانية وأعيد الرباط الواقع تجاه الدار للمسلمين وكان النصارى قد اتخذوه مدفنا لأكابرهم فأزيلت القبور عنه وصار مجلسا للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر ، وكان يجتمع عنده خلق كثير[1].كما أمر غازان بان يلبس أهل الذمة الغيار[2] فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم وعلامة اليهود خرقة صفراء في عمائمهم، واضطهدوا اضطهادا شديدا[3].

[1] **الحوادث الجامعة ، ص 523.**
[2] **م . ن ، ص 533.**
[3] **م . ن ، ص 523.**

المبحث الثالث

جـ - فئات المجتمع البغدادي

1- الأشراف

أطلق هذا اللقب على الذين ينتمون إلى عائلة النبي(صلى الله عليه وسلم)نسبا أي أهل بيت ، وقد اتخذ كل من العباسيين والعلويين منذ بداية القرن الربع الهجري هذا اللقب بحكم قرابتهم ونسبهم فانحصر بالبيتين العلوي والعباسي[1] ومن الوظائف التي استأثرت بها طبقة الأشراف النقابة ، فيذكر الماوردي إن لكل من الطالبين والعباسين نقيبا ، ويختار من اجلهم بيتا ، وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا فتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة ، ومن مهام النقيب رعاية شؤونهم ، السعي في قضاء حوائجهم ومعاقبة المعتدي منهم[2] كما ذكر المهام التي اختصت بها النقابة بقوله : " إنها وضعت لصيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف[3]، ونقابة الأشراف على ضربين:

أولا:الخاصة : اذ يقتصر نظر النقيب على النقابة من غير تجاور لها إلى حكم أو إقامة حد فلذا لا يشترك توفر العلم شرطا لتعيين النقيب وهو ملزم بمراعاة حقوق أهله عليه وهي اثنا عشر[4] حقا هي:

1- حفظ أنسابهم.
2- تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم.
3-معرفة من ولد منهم من ذكر وأنثى فيثبته ، ومعرفة من مات منهم.
4- أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شرط أنسابهم.
5- أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة.
6- أن يكفهم من ارتكاب المأثم ويمنعهم من انتهاك الحرمات.
7- أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم.
8- أن يكون عونا في استيفاء الحقوق.
9- أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى في الفئ والغنيمة.
10- أن يمنع أياماهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء لشرفهن.
11- أن يقوم ذوي الهفوات منهم.
12- مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها.

أما النقابة العامة فهي فضلا عن الحقوق المترتبة في النقابة الخاصة يضاف إليها من حقوق النظر خمسة أشياء[5]:

1- الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

---

[1] الشنتاوي ، احمد وآخرون ، مادة شريف ، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ 13 ، ص 267 ، 268.

[2]أبي الحسن علي بن محمد البصري(ت 450هـــ)،الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بغداد ، 1989،ص 154.

[3] الماوردي، الاحكام السلطانية ،ص153.

[4] م . ن ، ص 154.

[5] الماوردي ، الاحكام السلطانية ،ص155.

2- الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.
3- إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.
4- تزويج ألأيامي اللاتي لا يتعين أولياؤهن ، أو قد تعينوا فعضلوهن.
5- إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه ، وفكه إذا أفاق أو رشد.
ولذلك يجب ان يكون عالما ليصبح حكمه وينفذ قضاؤه[1].

هذا وقد كان لبني هاشـــم من العباســـيين والطالبين ، نقيب واحد حتى القرن الرابع الهجري ، ثم صـــار لكل فريق منهم نقيب ، ويرجع الســـبب في ذلك هو تزايد نفوذ العلويين ، وضعف أمر العباسيين[2]، فالهاشميون وهم العباسيون بتعبير ذلك العصر، كان متولي نقابة الهاشـــميين يطلق عليه تارة نقيب العباســـيين ، وتارة نقيب النقباء[3] ويكون عادة من رؤســـاء العباســـيين ، ويشـــترط أن يكون من الفقهاء أو العدول المشهورين بالصلاح والتقوى[4] هذا ولم يكن للعباسيين نقابة واحدة أو نقيب واحد في العالم الإسلامي وإنما عدة نقباء حسب المكان الذي يوجدون فيه،

فكان هناك نقيب في مصر[5] وآخر في الحجاز[6]-فضلا عن وجود نقيب في العراق ، كما كان في العراق عدة نقباء، نقيب في البصـرة[7] ، وأخر في واسـط[8] ، وفي بغداد حيث كان أشــهر النقباء العباسـيين أي نقيب النقباء وكذلك بالنسـبة للعلويين مقره في بغداد لكونها عاصـمة الخلافة العباسـية[9] وكان للنقيب ديوان خاص به ، يسـاعده في عمله كاتب[10] وحاجب ، وقد يوجد له نائب[11]، ثم يخلع عليه خلعة النقابة[12] ففي ســـنة 630هــــــ / 1232م قلد مجد الدين أبي القاســـم هبة الله أبي محمد عبد الله بن المنصـوري الخطيب نقابة العباسـيين والصـلاة والخطابة ، وخلع عليه قميص أطلس بطرز مذهب ، ودراعة خازآ أسود ، وعمامة خاز أسود مذهب بغير ذؤابه وطيلسان قصـب كحلي ، وسـيف محلى بالذهب ، وامتطى فرسـا بمركب ذهبي وقرىء بعض عهده في دار الوزارة وســلم إليه وركب في جماعة إلى دار انعم عليها بســكناها في المطبق من دار الخلافة ، وانعم عليه بخمسمائة دينار[13].

---

[1] م . ن ، ص 155

[2] متز،الحضارة الاسلامية،جـ1،ص281.

[3] ابن الجوزي ، المنتظم،جـ10،ص243؛الحوادث الجامعة،ص 193.

[4] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 99 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 132.

[5] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، باعتناء س . ديدريبغ دمشق ، 1953م ، جـ 3 ، ص 17

[6] ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت 883هــ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر ج . برجستراسر ، 1932م ، ص 399.

[7] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 9 ، ص 106.

[8] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 161.

[9] فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 232.

[10] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 271.

[11] م . ن ، جـ 10 ، ص 243.

[12] ابن الجوزي ، المنتظم،جـ 9 ، ص 53 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 196

[13] الحوادث الجامعة ، ص 62.

أما نقابة الطالبين، فكان يتولاها رجل من كبار البيت العلوي في العراق يوكل إليه أمر النقابة لكي يعنى بأمر العلويين ، وكانت توليته تتم مثل بقية متولي الدواوين الأخرى أو الولايات بعهد يخرج عن الخليفة ثم تتلو ذلك الخلع كما حدث لنقباء العباسيين، أما العهد الذي كان يصدر عن توليه نقيب الطالبين، فقد أورد ابن الساعي مثالا عن ذلك عندما تولى أبو الحســن فخر الدين محمد بن محمد بن المختار الكوفي نقابة الطالبين في بغداد اذ كتب في 17ربيع الأول سـنة 603هـــ / 1206م بخط المكين أبي الحســن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ألقمي كاتب ديوان الإنشــاء حينئذ ومن إنشــائه ، وقد بدأ العهد بالبسملة ، ثم ذكر إن هذا العهد من الخليفة الناصر لدين الله إلى النقيب المذكور بعد أن وجد النقيب مرضي الأخلاق متمسكا بالديانة وانه قلده نقابة الأسرة العلوية بمدينة السلام " وسائر بلاد الإسلام شرقا وغربا وبعدا وقربا"[1]

هذا وقد أورد وصايا أمير المؤمنين إليه وهي:

1- أن يتقي الله ويستشعر مراقبته في سره وعلانيته[2].

2- أن يتأمل أحوال أهل البيت ، فمن وجده قويم الأخلاق خصـــه بالإنعام والاحترام وان يعاملهم برفق لا يشــينه ضــعف ، فمن بدت منه بادرة أو عثرة أقالها ومن وجده ذاهبا في مجاهل الجهالة وســادرآ في مهاوي الضـــلال واجهه بالتقريع، وزجره بالإخافة والوعيد ، فان انجح ذلك وأفاد ، والاقوم من اعوجاجه[3].

3- كما أمره النظر في أمر اليتامى ، فمن كان غنيا فليثمر ماله ، ويهذب خلاله ، فان بلغ الرشـد سـلم إليه ماله ، واشـهد بقبضــه عليه ، ومن وجده فقيرا فليصـلح من حاله لحين بلوغه الرشد[4].

4- كذلك النظر في أمر الايامى ، وتزويجهن من الأكفاء[5].

5- كما أمره بصون هذا النسب الكريم ، فمن انتحل النسب من الأدعياء فعليه أن يتأكد من نسـبه ببرهان ويتثبت من ذلك باسـتشـارة الشـيوخ ، فان وجده ماكرا وجب تأديبه وردعه[6].

هذا وكانت تسند للنقيب عدة وظائف مثل أمارة الحج فكانت تصـدر أوامر من الخليفة بتعين شـــريف من العباســـيين أو الطالبيين[7]، فيقوم بتمثيل الخليفة في إمارة الحج ، فيقرا الخطبة نيابة عنه[8]، وقد يجمع النقيب بجانب صــفته النقابية ، وظيفة القضــاء، فيقوم بالنظر في الأحكام[9] ويعين بعهد من الخليفة أيضــا ، هذا وقد خصــص للنقباء

---

(1) الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 194.

(2) م . ن ، جـ 9 ، ص 194 .

(3) م . ن ، جـ 9 ، ص 194، 195، 196.

(4) م . ن ، جـ 9 ، ص 196.

(5) م . ن ، جـ 9 ، ص 196.

(6) م. ن ،جـ9،ص198.

(7) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 7 ، ص 53 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ 4 ، ص 316 ، 327.

(8) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 7 ، ص 64.

(9) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 155.

راتب معين من الخلافة فكان مقداره عشرين دينارا، وللمشرف عشرة دنانير ، ونائب النقابة ثمانية دنانير ، وللعامل خمسة دنانير [1].

وكان يخضع لنقيب النقباء في بغداد ، نقباء موزعين في المشاهد ، حيث كان يسكن العلويون فكان لمشهد مقابر قريش نقيب ، ولباب التبن نقيب[2] وللعلويين بمحلة الكرخ نقيب[3]،ولمشهد موسى بن جعفر (عليه السلام) نقيب[4].

2- القضاة:-

اهتم الخلفاء العباسيون منذ وقت مبكر بشأن القضاة وتخيروا للوظائف الشرعية ومنها القضأة صدور العلماء[5] فقد أحاط العباسيون منصب القاضي باحترام كبير ، فهو " عمود السلطان وقوام الأديان"[6] وعلى الرغم من إن القضاء من واجبات الخليفة وهو جزء من مسؤولياته الكبيرة" في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[7]،إلا أن تعقد سلطة الخلفاء ، وتوسع الدولة وكثرة رعاياها،وتنوع المشاكل المستجدة في المجتمع ، كل هذه العوامل دفعت الخليفة العباسي إلى استقضاء القضاة لينوبوا عنه في مهمته ، فهم " قضاة الخليفة ، تصدر أوامر بتعينهم وعزلهم منه مباشرة، وحسبما تقتضيه الأمور ومصلحة الدولة[8].وقد بقي تقليد القضاة وعزلهم طيلة العهد العباسي من صلاحيات الخليفة ، فلا يجوز للقاضي الحكم إلا بتفويض منه ، والا فسلطته وأحكامه تغدو غير مشروعة " لان التقليد لا يصح إلا من جهته"[9] وفي بغداد ثلاث مراتب للقضاء ومرتبة واحدة في غيرها، أما أولها فرتبه قاضي القضاة[10] ثم اقضى

---

(1) ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(807هـ)،تاريخ ابن الفرات ،تحقيق حسن محمد الشماع ،مطبعة حداد،بغداد،1386هـ/1967م ، تاريخ ابن الفرات ، مجلد 4 ، جـ 1 ، ص 145.

(2) ابن النجار ، التاريخ المجدد لمدينة السلام،جـ1،ص184.باب التبن اسم محلة كبيرة كانت في بغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر ، وهي الان خراب صحراء يزرع فيها، ينظر:الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد جـ1،ص121.؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، ص245.

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 130.

(4) ابن ألفوطي، تلخيص مجمع الاداب ، جـ 4 ، ق 1 ، ص 238.

(5) النباهي ، أبو الحسن علي بن عبد الله ، تاريخ قضاة الأندلس . باعتناء ليفي بروفنسال ، بيروت ، د . ت ، ص 24 ، الانباري ؛ عبد الرزاق علي ، النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي(145—656هـ) ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، 1977م،ص 99.

(6) التنوخي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، جـ 1 ، ص 245؛ ابن الجوزي؛ المنتظم ، جـ 6 ، ص 97.

(7) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 15.

(8) الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 473 ، 505 ؛ الانباري، النظام القضائي في بغداد،ص101.

(9) الماوردي ، أدب القاضي ، تحقيق محي هلال السرحان ، بغداد ، 1972م ، جـ 1 ، ص 137 ، 139.

(10) كان بداية ظهور هذا المنصب في عهد الخليفة هارون الرشيد(170— 193هـ) ويعد من ارفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا ، ومن يتولاه في الدولة العباسية يكون إليه أمر توليه القضاة ولا يكون لغيره لان مهماته كثيرة تتضمن القيام بالأوامر الشرعية والفصل بين الخصوم . للاطلاع على تفاصيل أكثر حول سلطات قاضي القضاة . ينظر: الانباري ، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية ، مطبعة الدار العربية للموسوعات، لبنان ، بيروت ، 1987 ،ص105 ، 283.

القضاة[1]،فرتبة القاضي[2]،ورتبة قاضي القضاة هي بمثابة وزير العدل في عصرنا الحاضر [3]،وكانت تعد من أجل رتب أرباب العمائم ، وأرباب الأقلام[4]،فهو يسجل باسم الخليفة وله مجلس ديوان الحكم ، يمثل أعلى مؤسسة قضائية في البلاد ، وباسمه هو يسجل أقضى القضاة ، والقضاة[5].

ويتولى قاضي القضاة تعين القضاة ، ومنحهم ، وعزلهم[6]،وفي بعض الأحيان يقوم الخليفة أو من ينوب عنه – بإذنه – كالوزير أو صاحب الديوان بهذه المهمة[7]ولكن قلما كان أقضى القضاة يتولى تقليد القضاة[8] أما القاعدة المعروفة في تعيين القضاة ، فتتم بشاهدة القاضي أمام قاضي القضاة[9] وتزكية اثنين من العدول له[10] ويشهدان بنزاهته وأمانته واستقامته لأجل إثبات الحكم[11] ، ثم يخلع عليه[12]، ويكتب تقليده على قضاء المنطقة المعينة له،ليتولى مهامه فيها،وهذا الأمر بلا شك كان تجسيدا للسلطة المركزية ببغداد ، لأجل ضبط مقدرات الأمور والحكم بين الناس بموجب سياستها المعروفة.

---

[1] يعد منصبه أدنى درجة من منصب قاضي القضاة ، ومن يتولاه يسجل أحكامه باسم قاضي القضاة ، وإذا خلا مجلس الحكم منه ، فله أن يسجل باسم الخليفة إلى حين تولي قاضي القضاة منصبه الجديد ، فأما أن يقر أقضى القضاة في منصبه،أو أن يعزله . ينظر : الانباري ، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، ص 283.وقد ذكر ، الحوادث الجامعة ، ص 186 ثلاثة رجال تولوا هذا المنصب ببغداد خلال حقبة البحث.

[2] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص يج.

[3] معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ، جـ 1 ، ص 65.

[4] ابن الفرات ، التاريخ ، مجلد 4 ، جـ 1 ، 138.

[5] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص يب.

[6] القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 4 ، 424 ، كان تعين القضاة في العهود الإسلامية الأولى يتم من قبل الخليفة واستمر ذلك خلال العهد البويهي والسلجوقي، ومنذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي صار قاضي القضاة يعين القضاة.انظر:العلي،صالح احمد ، قضاة بغداد في العصر العباسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، م 18 ، 1969م ، ص 156 ؛ خصباك ، جعفر ، القضاء في العراق في العهد السلجوقي ، المجلة التاريخية، الجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، بغداد ،. العدد 3 ، 1974 ، ص 88.

[7] الغساني ، العسجد المسبوك،جـ2،ص583.خصباك،القضاء في العراق في العهد السلجوقي،ص88.

[8] الحوادث الجامعة ، ص 54.

[9] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 604؛ الانباري ، النظام القضائي في بغداد، ص 256.

[10] السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي (ت499هـ) ، روضة القضاة وطريق النجاة ، حققه وقدم لها وترجم لمصنفها صلاح الدين الناهي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1970م ، جـ 1 ، ص 204.
الانباري ، منصب قاضي القضاة ، ص 353 ، 354 ، 356 ، 357 ، 361.

[11] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 179.

[12] كانت الخلع من تقاليد القضاء وهي تضمن:جبة سوداء بطرحة وبغلة كاملة.ينظر: ابن ألفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص82. الغساني ، العسجد المسبوك ، ص 506 وجاء في تفسير الطرحة : إنها من ألبسة القضاة والمدرسين وهي تلبس فوق العمامة أو تغطي لباس الرأس أيا كان ، وبذلك فالطرحة بالنسبة للطيلسان أو الجبة تشبه القسم الأعلى من الروب الذي يلبسه أساتذة الجامعات.ينظر: معروف ، المدارس الشرابية،هامش ص50.

كانت وظيفة القاضي هي الحكم في الخلافات التي تنشأ بين الناس والنظر في المسائل الشــرعية:كالزواج، والطلاق والمواريث ، وشــؤون اليتامى والأرامل ، والمعاملات في الأسواق ، واستيفاء الحقوق وكذلك اختيار الشهود وعزلهم إذا ما ظهر في سلوكهم ما ينقص عدالتهم[1]،ولهذا فمن الضـــروري أن يكون القاضـــي على اطلاع واســـع بشـــؤون الحياة الاجتماعية وأحوالها العامة وله معرفة القوانين والعادات والتقاليد الســـائدة بين الناس ، كما يجب أن يكون"عارفا بالكتاب والســـنة ، وإجماع الأمة ، واختلاف الســـلف ، فقيه النفس ، يعقل وجوه القياس إذا ورد ، عالما بتخريج الإخبار إذا اختلفت،وترجيح أقاويل الأئمة إذا اشـــتبهت ، وافر العقل ، أمينا متثبتا ، حليما ، ذا فطنة وتيقظ ، لا يؤتى من غفلة ، ولا يخدع بغرة ، صـــحيح حواس الســـمع والبصـــر، عارفا بلغات أهل قضـــائه جامعا للعفاف ، نزيها ، بعيد الطمع ، رشـــيدا ، صـــدوق اللهجة ، ذا رأي ومشورة أذا حكم فصل ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ذا هيئة وسكينة ووقار"[2] هذا وقد كان قضـــاة بغداد على جانب كبير من العلم والثقافة الواســـعة، المعرفة الدقيقة في العلوم المختلفة سيما العلوم الدينية الشرعية ذات العلاقة المباشرة بحياة الناس اليومية ، للحكم بينهم ، كالقرآن والحديث والفقه ، فضـــلا عن تمتعهم بالخلق القويم ، والأدب الجم ، والســـلوك الحســـن النزيه وقد ظهر هذا واضـــحا في سيرهم ، فالقاضي في بداية نشأته كان يأتي إلى بغداد ويقيم مدة يدرس بمدارسها[3]، ويتلقى علومه على مشاهير علماء عصره ، من البغداديين وغيرهم من الوافدين على بغداد يســـمع الحديث ، يروي عنهم ، ويأخذ الفقه من شـــيوخهم ، ويقرا الأدب على أعلامهم[4]، وهو قد لا يكتفي بهذا وحده ، بل كان يشـــد الرحال إلى مدن أخرى كالموصل والشام وغيرهما ، طلبا للعلم واستزادة في المعرفة ، مع إن بعضهم قد ينشا

---

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 119 ، 120.

(2) ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت 729 هــ) ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، كيمبرج ، مطبعة دار الفنون، 1937 ، ص 203.

(3) تميزت بغداد خلال هذه المرحلة بحركة علمية واسعة ، ونشاط فكري مزدهر، استمر حتى الاحتلال المغولي لها سنة 656هـ / 1258م ، فقد حفلت بعدد كبير من المدارس العلمية بلغ عددها(38) مدرسة ذات اختصاصات متعددة ، أهمها علوم المذاهب الفقهية الأربعة " الحنفية – المالكية – الحنبلية – الشـــافعية " وكان أول هذه المدارس المدرسة النظامية،ومدارس أخرى منها المدرسة الموفقية ، مدرسة سوق

ـــ العميد ، مدرسة سعادة ، المدرسة التاجية ، المدرسة الليثية ، المدرسة الشرابية ، ثم توجت بإنشاء أعظم جامعة في العلام الإسلامي ، آنذاك وهي المدرسة المستنصرية هذا فضلا عن عدد لا يحصى من دور القرآن والحديث ، وحلقات المســـاجد والمشـــاهد والربط ، وخزائن الكتب التي بلغ عددها على ما يزيد عن(30)مكتبة. ينظر:ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، جـــ 1 ، ص 142 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 86 ، ص 97 . وللاطلاع على تفاصـــيل اكثر ينظر: معروف ، المدارس الشـــرابية ، ص 111 ، 117 ، 132 ,133. رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، ص 16 وما بعدها؛آل ياسين،الحياة الفكرية في العراق.

(4)السمعاني عبد الكريم بن محمد التميمي المروزي(ت562هـ)، الأنساب ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن ابن يحيى اليماني،مطبعة دائرة المعارف،حيدر اباد الدكن،1383ـــ1387هـــ ، جـــ 1 ، ص 174 ، 175 ، ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ 4 ، ق 2 ، ص 679 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ 4 ، ص 382 ، جـ 7 ، ص 161 ، جـ 8 ، ص 225 ، 226.

في وسط علمي ، وبيئة تعنى بالفقه والأدب والقضاء ، وبعد أن ينتهي من ذلك يعود إلى منطقته ليعض فيها ، بعد شهادته عند قاضي القضاة ببغداد ، وتزكية العدلين له ، ولذا لا نجد غرابة بين أولئك الفقهاء من يتحلى بشهرة واسعة في معرفة قوانين الحكم ويعد ثقة[1]، أو أن يكون بارعا بالفقه والفرائض حتى صنف فيها التصانيف المشهورة[2]، بل قد تجتمع عنده معظم العلوم فيكون ضليعا في العربية والفقه والجدل والأصول والخلاف والحكمة والطب[3].

هذا وقد كانت ظاهرة العزل بين القضاة معروفة في بغداد ، فقد أشار كبار الفقهاء إلى أسبابها ، فإذا ما فسق القاضي ، وخرج عن الصفة التي صلح من اجلها للقضاء ، فانه يعزل وتبطل ولايته[4]، ولا شفاعة له في ذلك ، ولو كان من كبار الأعيان ، أو من بيوت القضاء المعروف بالشرف والعدالة والعلم ، لان العدالة هي المقوم الأساس للدولة العباسية في حكم المسلمين وساستهم يتساوى فيها الشريف والوضيع ، والغني والفقير على حد سواء ، فإذا ما ثبت تعاطي القاضي للرشوة مثلا ، فان ذلك يعد خروجا عن خصائص القاضي ويعزل وتنزع عنه ملابس القضاء الخاص به[5]، وبعكسه تكون النزاهة والصفة في سلوك القاضي ونجاحه في الحكم بين الناس ، سببا في استمراره واستقراره بمنصبه القضائي طيلة حياته.

أما المكان الذي كان القاضي يعقد فيه مجلس الحكم ، فرغم إن المصادر لم تشر إلى ذلك إلا إننا نستطيع القول : لما كان اغلب القضاة قد تولوا الخطابة فيها إلى جانب القضاء[6] ، وبما إن الخطبة لا تتم إلا في المسجد الجامع ، فمن المؤكد إن المسجد الجامع اتخذ مقرا للقاضي لعقد مجلسه ، ذلك لان أداء الصلاة ، والاستماع إلى الخطبة في المسجد ، يكون بين اكبر تجمع سكاني ، فهو إذن احفل المواضع بالناس ، وأجدر بان لا يخفي القاضي على احد جلوسه أو يوم حكمه[7]، لذلك استحب فقهاء المسلمين جميعا أن يكون مجلس الحكم فيه[8]، وقد يكون بعض القضاة قد اتخذ من داره مجلسا للحكم ذلك إن الفقهاء قد أجازوا ذلك[9]، مثلما أجازوا تعيين زمن القضاء

---

(1) المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم (ت656هـــ)،التكملة لوفيات النقلة حققه بشار عواد معروف، مطبعة الادب، النجف الاشرف1968- 1971م،م4،ص346،345.

(2) ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، جـــ 1 ، ص 170 ، 196 ، 197 ، 240 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 167.

(3) الغساني ، العسجد المسبوك ، ص 549.

(4) السمناني ، روضة القضاة ، جـ 1 ، ص 148 . ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 115.

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 13 ، ص 37.

(6) ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام ، جـ 1 ، ص 197 ؛ الحوادث الجامعة ، ص 115 ، 116 .

(7) السمناني ، روضة القضاة ، جـ 1 ، ص 98.

(8) م . ن ، جـ 1 ، ص 98.

(9) السمناني , روضة القضاة ، جـ 1 ، ص 98 ؛ الانباري ، النظام القضائي في بغداد ، ص 280.

وتحديد يوم له يقصـده الناس للحضـور فيه[1]، وربما اتخذ بعض القضـاء من ربطهم أيضا مجلسا للقضاء[2].

هذا ولم تشر المصادر إلى مقدار ما يصرف للقضاة من أرزاق ولم تحدد لهم رواتب محددة يتقاضـونها لقاء أعمالهم ، إلا إن فقهاء المسـلمين الكبار كانوا لا يرون بأسـا ، من إطلاق الخليفة للقاضـي ، ما يكفيه من الرزق من بيت المال[3] أما مذاهب القضـاة فقد تعددت ما بين الحنفي ، والمالكي ، والشافعي[4]،والحنبلي[5]، ولم تذكر المصـادر مذهباً آخر غيرها خلال الحقبة المذكورة ، ولكن يبدو إن الشـافعي والحنفي كانا يمثلان نسبة عالية من القضاة من بين المذاهب الأخرى[6]

وفيما يلي أسماء من ولوا قضاء القضاة في بغداد وسني عملهم:

1- الحلي : علي بن عبد الله بن سلمان (600-598هـ)[7].
2- ابن الدامغاني : أبو الحسن (603-600هـ)[8].
3- أبو القاسم الدامغاني : عماد الدين عبد الله (603 – 611هـ)[9].
4- الزنجاني : محمود بن احمد (611 – 619هـ)[10].
5- ابن فضلان : محمد بن يحيى بن علي (616 – 622هـ)[11]
6- أبو صالح ألجيلي : نصر بن عبد الرزاق (622 – 623هـ)[12].
7- الزنجاني : محمد بن احمد (623 – 624هـ)[13].
8- الواسطي : عبد الرحمن بن مقبل (624 – 633هـ)[14].
9- أللمغاني : عبد الرحمن بن عبد السلام (633 – 654هـ)[15].
10- النهرقلي ، سراج الدين (654)[16].

---

(1) السمناني , روضة القضاة ، جـ 1 ، ص 161.
(2) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ 5 ، ص 136.
(3) السمناني ، روضة القضاة ، جــ 1 ، ص 85 ؛ خصباك ، القضاء في العراق في العهد السلجوقي ، ص102 ، 103.
(4) ألسـبكي ،عبد الوهاب بن علي(ت771هـــ)،الطبقات الشـافعية الكبرى ، تحقيق محمود الطنطاوي وعبد الطحناوي وعبد الفتاح محمد الحلو،القاهرة،1964م،جـ3، ص272.
(5) ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ 1 ، ص 189.
(6) الحوادث الجامعة ، ص 352 ، 129 ، 409 ، 243 ، 91.
(7) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 115 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ ، ص 252.
(8) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 139.
(9) ابن الساعي ، الجامع المختصر، جـ 9 ، ص 201 ، 202 ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص 252 .
(10) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 569 ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص 252 .
(11) الحوادث الجامعة ، ص 90 ، 91 ؛ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص 252.
(12) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص 257.
(13) م . ن ، ص 264 ، 265.
(14) م . ن ، ص265.
(15) م . ن ، ص 265
(16)م . ن ، ص 278.

11- البادرائي : عبد الله بن المبارك (656هـ)[1].
12- البندنيجي : نظام الدين عبد المنعم (655 – 667هـ)[2].
13- الهنايسي : سراج الدين محمد بن ابي فراس (667 – 670هـ)[3].
14- الزنجاني : عز الدين احمد (670 – 694هـ)[4].
15- البصري : جمال الدين عبد الجبار (694 – 695هـ)[5].
16- البصري : عماد الدين بن جمال الدين (695 – 696هـ)[6].
17- ألخالدي : زين الدين محمد (696 – 697هـ)[7].
18- البصري : عماد الدين بن جمال الدين (698هـ)[8].

3- الفقهاء:

يمثل الفقهاء إحدى الواجهات الفكرية الاجتماعية ، فقد امتلكوا القدرة على معرفة تفاصيل التشريعات المختلفة ، وعلى هذا كانوا الشريحة التي تستطيع توضيح الأمور الدينية للمجتمع إجمالا[9]،وقد كانت لتلك المعرفة بأصـــول التشـــريع دورها في إفتاء الفقهاء لحل المشكلات الاجتماعية[10].

إن المجتمع بتطوره وفي جميع المجالات ، كان بحاجة إلى الفتوى وضـــبط القانون، ونتيجة لمعرفة الفقهاء لجوانب من المتغيرات الاجتماعية في جميع محاورها ، كان عليهم اســـتنباط الأحكام (القانون) التي تتناســـب مع تلك المتغيرات ، وتطبيق هذا القانون أدى إلى ازدياد أهمية القضـــاة ولذلك ارتبطت الأبعاد النظرية بالتطبيقية لا سيما وان القضـاة كثيرا ما كانوا يرجعون إلى الفقهاء لتحديد تساؤلات لا يستطيعون

(1) ابن الكازروني ، ص 278 ، 279.
(2) الحوادث الجامعة ، ص 361.
(3) م.ن ، ص 396.
(4) م . ن ، ص 406.
(5) م . ن ، ص 529.
(6) م . ن ، ص 529.
(7) م . ن ، ص 534.
(8) م . ن ، ص 539.
(9) رمضـــانوف ، ن . ف ، دراســـة في عالم الغزالي وفكره ، ترجمة وتعليق جليل كمال الدين ، مجلة المورد المجلد التاسع،العدد الرابع،بغداد،1980،ص362.
(10) الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، المطبعة الأميرية ، بولاق ،مصر 1322هـ ، جـ 1،ص5.

الإجابة عنها ، فقد طلب الخليفة المنصور من أبي حنيفة " أن يرجع إليه القضاة فيما يشكل عليهم ليفتيهم"[1].

فالفقيه بسبب اشتراكه في المناظرات ومسائل الخلاف والجدل أصبحت لديه مرونة فكرية تساعده على استنباط الأحكام الشرعية والإفتاء بما يعرض عليه من مسائل.

ولخطورة الإفتاء ما كان يسمح لأي كان بالإفتاء ، فالذي يتبوأ منصب الفتوى سوف تكون له قيمة ، لأنه سوف يوجه المسلمين نحو عمل معين ، وهؤلاء أدوا دورا في الحفاظ على قيم المجتمع ، لأنهم هم الذين حددوا السلوك من خلال الفتوى ، ولهذا لم تكن مسألة الإفتاء عملية يسيرة متروكة بلا ضوابط ، ولعل نظام الإجازة التي يمنحها كبار الفقهاء لمن يرونه أهلا لذلك[2]، هي التي تعطي الفقيه الحق بذلك ، فمالك بن انس يقول " ما أفتيت حتى شهد لي إني أهل لذلك"[3] إن الفتاوى بطبيعتها تحمل بعدا مقدسا وذلك لاستنباطها من أحكام الدين الإسلامي ، ويتمتع الفقيه بسمة الاحترام الديني بوصفه الجهة المسؤولة عن الإفتاء ، فضلا عن انعقاد مجالس الفتاوى عموما في الجوامع التي تمثل بطبيعة الحال مكانا مقدسا لدى المسلمين ، فقد كان الفقهاء يعقدون المجالس والحلقات للفتوى في المساجد الكبرى في بغداد.

ونتيجة لتأثير الفقهاء الاجتماعي ، ومكانتهم الايجابية في المجتمع إجمالا ، فقد أصبحوا موضع استقطاب اجتماعي ، ليس فقط على مستوى الإفتاء في المسائل الفقهية فحسب ، بل أصبحوا مرجعا مناسبا لوضع الحلول للعديد من المشكلات الاجتماعية الكثيرة ، فقد بلغ اثر الفقيه ومكانته الاجتماعية بحيث " تطير إليه الرقاع"[4].

وقد تجاوز اعتقاد بعض الرعية الحدود بقدرات الفقهاء في المسائل الصحية[5]، والروحية والغيبية[6]،ويوضح ذلك مدى التأثير الواضح للفقهاء على شرائح المجتمع ، وذلك لحاجة المجتمع الذي كثرت مشكلاته ، ولا سيما فيما يتعلق بالطلاق وتعدد

---

(1) أبو زهرة ، محمد ، أبو حنيفة ، ط 1 ، القاهرة ، 1960م ، ص 47.

(2) موسى ، محمد يوسف ، تاريخ الفقه الإسلامي ، ط 2 ، القاهرة ، 1966م ، جـ 3 ، ص 28

(3) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ 1 ، ص 273 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 10 ، ص 174

(4) ابن جبير ، الرحلة ، ص 196 ، 198.

(5) الحموي ، معجم الأدباء ، جـ 17 ، ص 305 ، ص 307 ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ 1 ، ص 339.

(6) ابن الجوزي ، الأذكياء ، تحقيق عبد الله محمد صديق ألغماري ، القاهرة ، د . ت ، ص 77 .

الزوجات ، ومشكلات الرقيق[1] مما تتطلب أحكاما فقهية وفتاوى الفقهاء لتسوية تلك المشكلات التي لا تتعدى النطاق الاجتماعي.

أن من واجبات الفقيه هو أقامة العدل والحفاظ على المجتمع والقيم السائدة فيه وحتى يحقق هذا الهدف نهضة بمهمة الفتوى والتوجيه ، فقد كان على الفقهاء منذ بداية الدولة العباسية أن يذكروا ويبصروا بالخطأ ، ويمنعوا عن البدع ، ويحذروا من الفتن[2]، لأنهم كانوا وسيلة التغيير الجديد ، وكانوا مع شعار العباسيين لتحقيق العدالة ، فالعباسيون قد أعطوا القيادة في تغيير ذلك إلى الفقهاء مع الإشارة إلى أن هذا التغيير يتم بالوسائل السليمة ".... بالرأي والرفق والنصح"[3]، وهذا دليل عمل وضع بين أيدي الفقهاء ليسيروا على ضوئه في نشاطاتهم الاجتماعية.

وقد أسهم الفقهاء من خلال مناصبهم الإدارية بتوجيه السلطة نحو الخير ورفع الأذى عن الشعب، فكان صاحب المظالم الفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي (ت593هـ/1196م) يعرض الرقاع على الخليفة الناصر لدين الله ويعمل على قضاء حوائج الناس[4].

هذا وقد تولى الفقهاء العديد من المناصب الوظيفية التي أضفت عنصرا قويا لتأثيرهم في المجتمع والدولة ، مثل القضاء والحسبة والإشراف على دواوين الدولة المختلفة فمثلا تولى الفقيه الشافعي محي الدين محمد بن يحيى الفضل بن هبة الله المعروف بابن فضلان البغدادي (631-568هـ/ 1172ـــ1233م) ديوان الجوالي واستيفاء ثروات أهل الذمة ، ثم تولى التدريس في المدرسة النظامية والنظر في أوقافها ثم عزل , بعدها قلد قضاء القضاة ، ورد أليه النظر في ديوان الحسبة ، والنظر في أوقاف المدارس والأربطة ، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر لدين الله ، فلما بويع للظاهر بأمر الله عزله فلزم منزله لا يخرج منه ألا لصلاة الجمعة ،ثم أستدعى وولي نظارة المارستان العضدي ، فكان على ذلك شهورا ، ثم عزل نفسه ولزم بيته إلى أن استدعى وولي النظر بديوان ألجوالي ، ثم ولي التدريس في مدرسة الأصحاب ، .... ولما فتحت المدرسة المستنصرية ولي تدريس الشافعية بها ، فكان على ذلك إلى أن توفي[5].

كما كان للفقهاء دور كبير في الدفاع عن الأمة ، ومواجهة الأخطار الخارجية من خلال الدعوة إلى الجهاد ، لا سيما وأن الكتاب والسنة قد أوضحا فضل الجهاد "

---

(1) أمين ، ظهر الإسلام ، جـ 2 ، ص 54.

(2) أبن المقفع ، عبد الله (ت139هـ) ، رسالة الصحابة ، ضمن كتاب المجموعة الكاملة (الأدب الصغير ، الأدب الكبير ، رسالة الصحابة) ، ط4 ، بيروت ، دار البيان ، 1970 ، ص221

(3) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، ص221

(4) سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ8 ،ق2 ،ص 454؛ ذنون ، فارس محمود ، المكانة الاجتماعية للفقهاء في العراق في العصر العباسي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1989م ، ص77

(5) الحوادث الجامعة , ص30, 90 , 91 , 92.

((أنما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون))[1],وقال الرسول " صلى الله عليه وسلم " عن أفضل الأعمال:" الأيمان بالله والجهاد في سبيله"[2]ففي خلافة المستنصر بالله وصل الخبر بهجوم المغول وتقدمهم نحو اربل فاحضر نصير الدين نائب الوزارة المدرسين والفقهاء واستفتاهم : أذا اتفق الجهاد والحج أيهما أولى؟ فأفتوا بان الجهاد أولى فأبطل الحج في هذه السنة (634هـ) وأمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية برمي النشاب والاستعداد للجهاد[3].هذا وقد حظيت بغداد في هذه الحقبة بعدد كبير من الفقهاء من سائر المذاهب الفقهية كان لهم دور بارز في إنعاش حركة الفكر والمعرفة الدينية من خلال كتبهم التي صنفوها في هذا المجال, هذا فضلا عن وصول العديد من الفقهاء إلى بغداد ومن شتى أنحاء البلاد الإسلامية بغية الاستزادة العلمية من هذه المدينة العريقة مما أدى إلى استقرارهم فيها في بعض الأحيان وتولوا التدريس في مدارسها وحضوا بمنزلة عريقة لدى أرباب الدولة منهم الفقيه الشافعي جمال الدين عبد الله بن محمد أبن العاقولي الواسطي ثم البغدادي (638-728هـ) الذي " انتهت إليه رياسة الشافعية ببغداد ، ولم يكن يومئذ من يماثله ولا يضاهيه في علومه وعلو مرتبته ، وعين لقضاء القضاة فلم يقبل"[4]،بينما يرد ذكر قبوله القضاء وقضاء القضاة[5]، وتوليه تدريس مدرسة الأصحاب سنة674هـ[6] والمدرسة البشيرية سنة 684هـ[7] والمدرسة المستنصرية وأنه " أفتى أكثر من ستين سنة و ....أعطى خطا في الفتوى حتى لو كتب على الفتوى جميع من بالعراق لم يلتفت إلا لخطه[8].ومن

---

(1) سورة الحجرات : الآية 15.
(2) مسلم النيسابوري , ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ) , صحيح مسلم , تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي , د . ت , جـ1 , ص89.
(3) الحوادث الجامعة , ص128.
(4) ابن حجر،الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،جـ2،ص405 ,الذهبي , شذرات الذهب جـ6,ص87 , آل ياسين,الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري,ص280.
(5) الحوادث الجامعة,ص47؛ابن السلامي,منتخب المختار,ص74.
(6) الحوادث الجامعة , ص422.
(7) م . ن , ص483.
(8) ابن السلامي,منتخب المختار, ص74.

فقهاء الحنابلة محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي البكري التميمي البغدادي (580-656هـ)"احد أعلام العلم ومشاهير الفضل ..كان كامل الفضائل معدوم الرذائل"[1] قال ابن الفوطي عنه " أن أخذت في بغداد ما أتاه الله ورزقه من العقل والفضل والأدب الموروث والمكتسب , لاحتجت إلى تحرير كتاب مفرد في شانه"[2] اشتغل بالفقه والخلاف والأصول وبرع فيها , وتولى تدريس المستنصرية عند افتتاحها سنة 631هـ[3],واسند أليه منصب أستاذ دار الخلافة سنة642هـ خلفا لمؤيد الدين ابن العلقمي[4],وراسل به الخلفاء مرارا عديدة إلى ملوك عدة دول[5] وله عدة تصانيف منها "المذهب الأحمد في مذهب احمد" و "الإيضاح في الجدل"[6] ومن فقهاء الحنابلة أيضا جلال الدين عبد الجبار عبد الخالق بن محمد بن عكبر البغدادي العدوي (620-681هـ)"كان عالما فاضلا ورعا زاهدا"[7] وصف "بالشيخ رئيس الأصحاب مفتي الفرق"[8] وكان قد عين في سنة 659هـ مدرسا للحنابلة بالمستنصرية" وحضر درسه الصاحب علاء الدين والأكابر والعلماء وخلع عليه"[9] وله كتاب"المقدمة في أصول الفقه"ومسائل في الخلاف[10]. أما فقهاء المذهب المالكي فكان من أبرزهم في هذه الحقبة سراج الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الشار مساحي[11] المصري(ت669هـ)قدم بغداد سنة633هـ وبصحبته أهله

---

[1] ابن العماد الحنبلي,شذرات الذهب في اخبار من ذهب,جـ5,ص287.
[2] تلخيص مجمع الاداب,جـ5,كتاب الميم,ص435.
[3] الحوادث الجامعة ,ص86.
[4] م . ن , ص224 , ص226 .
[5] الذهبي , دول الاسلام,جـ2,ص113.اليونيني, ذيل المرآة الزمان,مج1,ق 1 , ص333.
[6] ابن رجب ,ذيل الطبقات الحنابلة,جـ2,ص26؛معروف، تاريخ علماء المستنصرية,جـ1,ص151.
[7] الحوادث الجامعة ، ص463؛ أبن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، جـ2، ص300, 301 ؛أبن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ5 ،ص374
[8] معروف ، تاريخ علماء المستنصرية جـ1 ، ص169؛آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق، ص282.
[9] الحوادث الجامعة ،ص463،376.
[10] معروف ، جـ1 ، ص169، آل ياسين الحياة الفكرية، ص282
[11] شار مساح : قرية كبيرة كالمدينة يومئذ بمصر ، بينها وبين دمياط خمسة فراسخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،جـ 3، ص113.

وجماعة من الفقهاء المالكية فعين مدرسا للمالكية بالمستنصرية[1] وكان عالما كثير العبادة[2] من تصانيفه كتاب"المأخذ في مجلدين"[3],أما فقهاء المذهب الحنفي فكان من بينهم مظفر الدين احمد بن علي بن تغلب البعلبكي البغدادي المعروف بابن الساعاتي(694-651)"الأمام...شيخ الحنفية[4] كان علامة ورعا"[5] عالما بالفقه والأصول تولى سنة686هـ تدريس الحنفية بالمستنصرية[6] ومن تصانيفه في الفقه كتاب"مجمع البحرين وملتقى النهرين[7].

4- المحتسب:

الحسبة : تعني أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وإصلاح بين الناس[8]،هذه الأمور ليس من السهولة الاجتهاد فيها . لذا وجب أن يكون المسؤول عنها وهو المحتسب فقيها عارفا بأحكام الشريعة ، ليعلم ما يأمر به ، وينهي عنه[9]، ولهذا كانت الحسبة ببغداد ، تضاف أحيانا إلى نظر قاضي القضاة ، ليعمل فيها بمقتضى الشرع[10]،ثم صار يضاف أليه النظر في الوقوف العام[11]، وأحيانا تكون مستقلة بعملها ، أما ديوان الحسبة ، فهو أشبه بنظام أمانة العاصمة اليوم والبلديات[12]. ولقد

---

(1) الحوادث الجامعة ،ص110

(2) م . ن ، ص402

(3) أبن حجر ، لسان الميزان ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1971 ، جـ4 ،ص428 ؛ آل ياسين ،الحياة الفكرية في العراق ، ص282

(4) اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقضان ، حـ4 ، ص227 ؛ آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص277

(5) أبن السلامي ، متخب المختار ، ص35.

(6) أبن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ،جـ 5 ،كتاب الميم ، ص561،ص562

(7) ابن السلامي ، منتخب المختار ، ص35.

(8) أبن بسام ، محمد بن احمد بن بسام المحتسب ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ، 1968م، ص10 ؛ الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد (ت589هـ) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره الباز العريني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1946م، ص6.

(9) أبن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص10؛ الشيزري ، نهاية الرتبة ،ص6.

(10) أبن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ، جـ4 ،ق4، ص761.

(11) سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ،جـ8 ، ق2 ،ص560

(12) أبن الساعي ، الجامع المختصر ،جـ9 ، ص ض .

حدد الفقهاء الأعمال التي ينبغي على المحتســب القيام بها وهي تتضــمن: ملازمة الأســواق في كل وقت للاطلاع على المتبضــعين ، والباعة والكشــف عن الدكاكين والطرقـات ، وتفقـد الموازين والأرطـال والأطعمــة ، لمنع الغش والتـدليس والتلاعـب[1]،وتفقـده هـذا ينبغي أن يكون في الليـل والنهـار ، وبـأوقـات مختلفـة ، ويسـتحسـن أن يكون على غفلة منهم[2].على أن هذه الأمور جميعها ذات علاقة متينة بالأســعار ، وقد كان المحتســب يتولى تقديرها بأمر من الخليفة ، ثم يلزم أصــحاب الغلات بأتباع تلك الأسعار ، وتعهد من يهمهم الأمر بذلك[3].

هذا وقد أضـــاف أبن خلدون أعمالا أخرى كان يقوم بها المحتســب وهي:"أنه يحول دون مضـــايقة الناس في الطرقات ، ويمنع الحمالين ، وأهل الســفن من الإكثار في الحمل،ويحكم بهدم المباني الآيلة للســقوط وإزالـة مـا يتوقع من ضــررها على السابلة،كما يمنع معلمي الكتاتيب من ضرب الصبيان ، ولا يتوقف حكمه في أي شيء يصـــل إلى عمله من التنازع والاعتداء ، وعليه يحكم في الدعاوي المتعلقة بالغش والتدليس في المعايش والمكاييل والأوزان ، وكذلك حمل المماطلين على أداء ما عليهم من الديون"[4].وصــلاحيته هنا تبدو أنها تجمع بين مهمة القاضــي والشــرطي ، وكذلك صلاحية بلدية أو مفتش تربوي في وقتنا الحاضر[5].

وأشــهر من تولى هذه الوظيفة ببغداد محيي الدين أبو محمد يوســف بن عبد الرحمن أبن الجوزي حيث تولاها بين سنة 604-609هـ / 1207-1212م ثم تولاها ثانية سنة 615هـــ /1218م ، وتدرج بالإدارة حتى صار أستاذ دار[6] الخلافة سنة 640هـــ /

---

(1) أبن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص219. أبن الفوطي ، تلخيص مجمع الأداب ، جـــ4 ، ق2 ، ص1032

(2) أبن الأخوة ، معالم القربة ، ص219 .

(3) الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2،ص401،400 حوادث سنة 640هـ.

(4) العبر ، حـ1 ،ص398، 399

(5) السـوداني ، صـادق حسـن ، الوظائف الأدارية في دولة الناصـر لدين الله العباسـي ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، العدد 3 ، 1974، المجلد (3) ،ص98

(6) أستاذ الدار : وظيفتها الأستادارية ، تكتب بالدال ايضا ، كان بداية ظهورها سنة 535هـــ / 1140 م ، أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـــــ5 ،ص267 . وكان صــاحبها يتولى شــوؤن دار الخليفة ونفقاتها وامور الأســرة العباســية المقصــورة في دار الخلافة كأخوان الخليفة وأعمامه وأبناء أعمامه . ينظر : أبن الســاعي ، الجامع المختصر ، جـ9 ، ص يب.

1242م ، يراسل نيابة عن الخليفة الملوك والأمراء حتى قتله المغول سنة 656هـ / 1258م[1].

5-التجار :

كانت تطلق هذه التسمية على الذين يزاولون مهنة التجارة ، التي تختص ببيع أدوات الترف الغالية الثمن كالمجوهرات والرياشي والثياب الفاخرة،والأنية والرقيق ، وكان اعتمادهم الأول في تصريف بضاعتهم على الخليفة وحاشيته من كبار رجال الدولة والأغنياء[2].والتجار هم أشخاص من عامة الناس ، إلا أن سبب أرباحهم الوفيرة التي تدرها عليهم تجارتهم اعتبرهم البعض من الخاصة، وخصوصا أن الطابع العام الذي أمتاز به العامة هو الفقر قياسا بالتجار[3].ورغم أن المجتمع البغدادي هو مجتمع عربي أسلامي لم يكن يسود فيه عرف يقسم الناس وفق أسس مادية ، إلا أن رجال السياسة كانوا ينظرون إلى التجار باعتبار أنهم من العامة[4]. هذا وقد زاول التجار مهنة التجارة بشكل نشيط منذ بداية العصر العباسي الأول وتأسيس عاصمة الخلافة العباسية التي كانت محط أنظار العالم الإسلامي حينذاك فحفلت بغداد بأسواقها التجارية العامرة وأصبحت مركزا تجاريا مهما، فكانت التجارة تأتيها من دول أوربا[5] غربا والصين شرقا وبلاد أرمنية شمالا واليمن ومصر جنوبا[6]. فأصبحت بغداد أحدى المدن التي تقرر بها الأسعار للعالم وخاصة السلع الكمالية[7]،هذا واستمرت على ذلك حتى هذه الحقبة ، فنتيجة للخبرة الطويلة التي أمتلكها التجار في هذه المهنة أدى إلى استمرارها وازدهارها. هذا فضلا عن حاجة البلاط العباسي المتزايدة للبضائع فكان هذا البلاط بمثابة مستودعا لكل أنواع البضائع ، فكانت تخرج منه الهدايا والخلع إلى الرسل القادمين من البلاد المجاورة والى الأمراء والمماليك ، والموظفين في المناسبات المختلفة[8]، ولشدة الثراء الذي امتازت به طائفة الأمراء والمماليك وكبار الموظفين فضلا عن بعض الأثرياء العامة ، أزداد الطلب على البضائع المستوردة لإشباع رغبات هؤلاء المثرين الموسرين[9].فكان

---

(1) أبن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، جـ3 ، ص133 ، 234؛ سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ8 ، ق2 ، ص532 ،560 ، 592 ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضين ، ص26 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ13، ص80 ،81 ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2 ، ص542 ، 543

(2) التنوخي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، جـ8 ، ص68

(3)فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، ص63

(4) فهد،العامة ببغداد،ص63.

(5)أبن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني (ت289هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، باعتناء أم . جي . ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1885م ، ص82 ،270؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ1 ، ص468 . فهد ، العامة ببغداد ، ص68.

(6) الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ) ، التبصر بالتجارة ، عني بنشره والتعليق عليه حسن حسني عبد الوهاب ،ط2 ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1935م ، ص25 ،34

(7) متز ، الحضارة الأسلامية في القرن الرابع الهجري ، جـ2 ، ص365.

(8) فهد , العامة ببغداد ,ص63, 73.

(9) فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير , ص351

التجار الغرباء يقصــــدون بغداد من بقاع بعيدة لغرض عرض تجارتهم ونفائســــهم بلادهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما جلبه أحد التجار إلى الخليفة الناصــر لدين الله وهو عبارة عن ببغاء كان قد علمها قراءة " قل هو الله احد"،إلا أنها ماتت بعد يوم من وصـــولها بغداد ، أي قبل أن يراها الخليفة ، فلما طلب منه تقديمها للخليفة بكى وأضطرب ، فطيب خاطره ، وأعلم بأن الخليفة كان على علم بقصته منذ خروجه من الهند ووصـــوله إلى بغداد ، ثم ســئل هذا التاجر فيما كان يظن أن يعطه الخليفة ثمنا للبلغاء لو كانت على قيد الحياة فذكر التاجر خمســمائة دينار ، فأعطى له المبلغ الذي ذكره[1].وهناك تاجر أخر ورد بغداد ومعه قناع دمياطي مذهب أراد أن يبيعه من دون أن يعطي ضــريبة المكس عنه فلم يفلح إذ عرف الماكسـون ما كان يحمل ، ويبدو أن الثياب الدمياطية والدبيق التي كانت تجلب من مصـــر إلى العراق كان تلقى رواجا وإقبالا من الناس[2]. هذا وقد أســتوطن بعض التجار مدينة بغداد ومنهم أبو الجيش عســكر بن أبي إبراهيم الحموي ، وكان من الأثرياء ســكن دار الخلافة المعظمة بالقرب من باب الشريف توفي سنة 606هـــ /1209م ببغداد[3]،وهذا التاجر هو سيد ياقوت الحموي(شــهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي الجغرافي الأديب المؤرخ)كان قد أشــتراه التاجر المذكور وأرســله ليتعلم الخط ويســاعده في عمله التجاري , لما كبر ياقوت شغله سيده بالأمور التجارية وأرسله إلى البلاد البعيدة مثل جزيرة قيس(كيش) في بحر عمان"الخليج العربي" وعمان وما جاورها أو إلى البلاد الشام ثم عتقه مولاه سنة 596هـــ/1199م وأعطاه شيئاً من المال وبعثه إلى جزيرة قيس فلما عاد وجد ســيده قد مات . هذا وقد شـــارك التجار الغرباء في حفل افتتاح المدرسة المستنصرية سنة 630هـــ/1233م وقد نالتهم الخلع التي كانت قد وزعت على المدرسين والمعيدين ومن حضـر من كبار الموظفين[4]. وقد اشتغل التجار من أهل الذمة إلى جانب المســلمين فكان منهم الصــيارفة، وقد كانت أرباحهم كثيرة فيما يبدو من التجارة ومن التســليف للتجار لذا انبرى احد الفقهاء محمد بن يحيى بن فضلان المتوفي سنة631هـــ/1233م فكتب رسالة إلى الخليفة الناصر لدين الله يعلمه بحال أهل الذمة ويحثه على مضاعفة الضريبة عليهم, إلا أن الخليفة لم يأخذ برأي ابن فضــلان حيث لم يظهر منه جواب على ذلك[5],وقد كانت الحكومة تحافظ على أرواح وممتلكات أهل الذمة ضد الاعتداء على ممتلكاتهم فقد جاء في سنة 649هـــ/1251م أبن ابي الفرج الوزير" ابن رئيس الرؤســاء" تتبع صــيرفيا يهوديا كان حاملا دراهم بيده فقتله ثم قتل زوجته التي اســتغاثت بالناس , فألقت الحكومة القبض عليه وقتله جزاء عمله هذا[6]. ومن التجار البغداديين الذين كانوا يجوبون آفاق بعيدة في ســبيل التجارة في هذه الحقبة كمال الدين أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك الجلاجلي

---

(1) السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص341.

(2) السيوطي تاريخ الخلفاء, ص342.

(3) أبن الساعي ، الجامع المختصر ،جـ9 ، ص294.

(4)ابن خلكان , وفيات الاعيان , جـ5 , ص178 , 179.

(5)الحوادث الجامعة , ص92

(6) الحوادث الجامعة ،ص299

البغدادي الذي سافر إلى الحجاز والشام واليمن وديار مصر وبلاد الجبل وخرسان ما وراء النهر وبلاد الغور وبعض بلاد الهند وقد توفي في أحدى سفراته في القدس سنة 612هـ / 1215م[1].وكذلك التاجر محمد بن علي بن احمد بن الناقد أبو السعادات أبن أبي القاسم الذي سافر إلى الشام.وأقام بدمشق مدة ثم سافر إلى خراسان وما وراء النهر ثم أستقر ببغداد، وكان قد تولى وكالة والدة الخليفة الناصر لدين الله سنة 582هـ /1186م , ثم أضيف أليه وكالة أحد أمراء البيت العباسي ، ثم عهد أليه النظر في المظالم ، وقد توفي سنة 613هـ/1216م[2]،ويبدو أن ثقة الخلافة العباسية به راجعة لكثرة شرائه ومعرفته بأحوال التجار والتجارة والمعاملات في الأسواق مما أدى إلى إسناد المظالم أليه[3].

هذا وقد كانت الخلافة العباسية تتدخل بالأوضاع الاقتصادية التي تشهدها البلاد من ارتفاع أو انخفاض بالأسعار أو في الضرائب التي تفرض على الناس فقد جاء عن الخليفة الظاهر بأمر الله 622هـ /1225م أنه بعد توليه الخلافة أبطل المكوس في البلاد جميعها وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق وأسقط جميع ما جدده والده ، وكان ذلك كثيرا لايحصى[4].

وعندما ظهر المغول رأى التجار قوتهم وعدم استطاعة الحكومة العباسية حمايتهم وحماية تجارتهم فكان لا بد أن يلجئوا إلى التقرب للمغول واصطناع الأصدقاء من أمرائهم ولعلهم قدموا أموالا لغرضهم هذا أو معلومات سياسية أو عسكرية عن الدولة العباسية ساعدت المغول في توسعهم مما أدى إلى تكوين هذه الصداقة بين أمراء المغول[5]،ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن التاجر عز الدين مقلد بن صفي الدين احمد بن الخرداذي الذي كان من كبار التجار العراقيين في هذه الحقبة وكان في غاية الثراء والدليل على ذلك ما دفعه سنة 649هـ/1251م صداقا لأبنه عم له ومقداره 100,000 "مائة ألف" دينار وهذا ما لم يسمع مثله ألا عن الخلفاء والسلاطين ، كان هذا التاجر قد خرج من بغداد وأستوطن بلاد فارس ومن هناك أتصل بأمراء المغول ، وتحدث مع السلطان كيك خان في الصلح مع الخليفة ، وقدم بغداد مع رسول السلطان ، ثم عاد ومعه الهدايا والتحف سنة 652هـ ببغداد[6]،ومثال أخر ما جاء في حوادث سنة 656هـ /1258م عن جماعة من تجار بغداد كانوا يسافرون إلى خراسان وغيرها وقد ارتبطوا ببعض أمراء المغول قبل حلول هذه السنة المذكورة وحصلوا على فرامين فلما فتحت بغداد خرجوا إلى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيتهم والتجأ أيضا إليهم جماعة من جيرانهم فسلموا[7].

---

(1) . أبن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،جـ5،ص53. فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ،ص356

(2) أبن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام ،جـ2،ص104. فهد، تاريخ العراق، ص356

(3) فهد ، تاريخ العراق ، ص356

(4) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ،ص348.

(5) فهد ، تاريخ العراق ، ص359.

(6) ابن الفوطي , تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب , جـ4,ق1,ص364.

(7) الحوادث الجامعة , ص359.

6- أرباب الحرف والصناع:

وهؤلاء يتألفون من عامة المجتمع أهل الحرف والعمال والفلاحين وذوي المهن والصناع ومن صغار الباعة والجند واللصوص والعيارين والشطار ومن جماعات تركت الريف إلى المدينة بحثا عن وسيلة للكسب[1]وكانوا خليطاً من أجناس مختلفة في مستوى ملحوظ من الجهل والأمية , وكانوا على استعداد لمتابعة كل دعوة جديدة حتى صاروا عنصرا مهما في الحركات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع[2]فكان أصحاب الحرف والصناع يستغلون التدهور الاقتصادي في الدولة أو حدوث اضطرابات سياسية فيثورون ضد الحكومة مطالبين بتحسين أوضاعهم في بعض الأحيان . كان العمال يشكلون عدة عناصر , وينقسمون إلى فريقين: أولهما الأحرار , وهؤلاء يقيمون في المدن وهم أصحاب الصنائع , والثاني يشمل الرفيق , وهؤلاء يشتغلون في الفلاحة أو خدما في البيوت أو في الصناعات البسيطة كالخياطة والحدادة والتجارة وغيرها وهؤلاء يشملون السواد الأعظم من الصناع[3]. أما عن مستوى معيشتهم فكانت دون مستوى التجار بكثير, ذلك أن مواردهم كانت محدودة حيث يذكر أن " الصانع كان ليس بالفقير ولا بالغنى ...."[4],ورغم ذلك فقد برز منهم علماء في القراءات والحديث ومن بينهم برز أيضا القضاة[5],كما أنهم أصبحوا فئة مؤثرة في المجتمع حيث طالما هددوا الحكومة وذلك نتيجة لتكتلهم وسكناهم المدن وتطور الحياة الاقتصادية وحاجة المجتمع إلى مختلف الصناعات.

7- العامة:

---

(1) الدوري,عبد العزيز,مقدمة في تاريخ صدر الاسلام,المطبعة الكاثوليكية , ط2 , 1961م,ص91؛الاطرقجي,الحياة الاجتماعية في بغداد ,ص209.

(2) الاطرقجي,الحياة الاجتماعية في بغداد,ص209.

(3) الصابي, الوزراء ,ص22.

(4) الدمشقي,ابو الفضل جعفر بن علي(عاش في القرن السادس الهجري) ,الاشارة الى محاسن التجارة , مطبعة المؤيد,دمشق1318هـ,ص43.

(5) ابن الجوزي,المنتظم,جـ8,ص101 ,133.

وهم "السواد الأعظم"[1] كما يصفهم الجاحظ أي أنهم كانوا يشملون القطاع الأوسع من الشعب لم يكن اختلافهم عن الخاصة بكثرة عددهم فقط وإنما لكونهم ليسوا من أصحاب السلطة , ولم يكن لهؤلاء((العامة))أي مكانة في المجتمع البغدادي فقد وصفهم بعض المؤرخين بالجهل في الأمور الدينية[2]وفي النواحي الثقافية[3] وأطلق عليهم عدة نعوت منها السفلة الغوغاء[4]. والسقاط[5] والجماهير الدهماء[6] والأوباش[7] وبغاغة بغداد[8].وكذلك وصفوا بأنهم لا يعرفون علم الكلام والفلسفة[9],ويوضح مسكويه مقدار جهل العوام وقصور عقلهم بالنسبة للعلماء بقوله أن" ما يفهمه العلماء ويدركونه بعقولهم يتراءى للعوام كأنه من وراء ستر"[10].ويتميز هؤلاء العامة بالفقر فقد جعل الكازروني العامة في زمرة الفقراء والأيتام في أثناء كلامه على الرسوم المتبعة في دار الخلافة ببغداد عند حلول شهر رمضان وكيفية توزيع الأنعام عليهم[11].وقد تشكل العامة من مختلف الأجناس التي استوطنت بغداد فكان من بينهم العرب والفرس والترك والدليم والنبط والارمن والجركس والاكراد والكرج والبربر[12] وكان اغلبهم من المسلمين وقليل منهم من أهل الذمة[13].وهناك جماعة من العامة أطلق عليهم العيارون والشطار تميزت حركتها بالطابع

---

(1) ابن عساكر,ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت571هـ)تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري,عني بنشره القدسي ,مطبعة التوفيق,دمشق1347هـ,ص331؛ فهد,العامة ببغداد,ص12.

(2) الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد,جـ3,ص76.

(3) ابن مسكويه,ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه الخازن(421هـ),تهذيب الاخلاق,مطبعة مدرسة والدة عباس الاول,1908م,ص121.

(4) المسعودي,مروج الذهب,جـ5,ص87.

(5) ابن منظور,لسان العرب ,جـ7,ص317

(6) الغزالي , تهافت الفلاسفة,ص38

(7) ابن الجوزي,المنتظم,جـ8,ص41

(8) الحسيني ,اخبار الدولة السلجوقية ,ص20.

(9) ابن الجوزي , تلبيس ابليس,ص80.

(10) تهذيب الاخلاق , ص121

(11) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية , ص25.

(12) ابن الجوزي , المنتظم , جـ9 , ص118.

(13) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , جـ3 , ص304.

الثوري[1]وبخاصة ضد السلطة الحاكمة وأصحاب الأموال[2]وكانت تضم بين صفوفها مختلف الأجناس والطوائف فمن بينهم العربي والكردي والفارسي والتركي[3] فضلا عن أرباب الحرف المختلفة كان لهذه الجماعة تنظيم عسكري ومدني ففيما يتعلق بالتنظيم العسكري فكان لكل عشرة عريف ولكل عشرة عرفاء نقيب ولكل عشرة نقباء قائد ولكل عشرة قادة أمير ولهم بزة عسكرية , مكونة من خوذ مصنوعة من خوص وورق من البواري المحشى بالحصى والرمل والجلاجل في اعناقهم والصدف الاحمر والاصفر[4], اما التنظيم المدني ، فهو يشمل النواحي الأدارية الداخلية ، ولهم مكان خفي يجتمعون فيه ، بعيدا عن الأنظار ، وجعلوا لهم طقوسا خاصة ، ومراسيم لا بد من ادائها من اراد الدخول في تنظيمهم[5] وكانوا يتميزون عن الناس في ملابسهم ، أذ يتزرون بالمئزر في أوساطهم ، ويتشحون بالازار[6]،وكان لبس السراويل من اختصاصهم[7].

كان أول ظهور للعيارين والشطار على مسرح الأحداث التاريخية في نهاية القرن الثاني الهجري ، أثناء حصار بغداد الأول سنة196هـ / 812م في الفتنه التي حدثت بين الأمين والمأمون[8]،ثم في حصار بغداد الثاني سنة 251هـ /865م أثناء الحرب بين المستعين والمعتز فظهروا على شكل جماعات كبيرة منظمة ومسلحة في بغداد[9]،وأصبحت لهم خلال القرن الثالث الهجري ، قوة كبيرة منظمة ، أخذت تزداد وتهدد المجتمع،وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[10]،حيث احترف

---

(1) المسعودي , مروج الذهب , جـ3 , ص315

(2) الدوري , نشوء الأصناف والحرف في الإسلام , مجلة كلية الآداب , العدد الأول,حزيران , 1959 , مطبعة العاني , بغداد , ص36.

(3) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ8، ص88 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ3 ،ص161 ؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص289

(4) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ3 ،ص315

(5) أبن الجوزي ، تلبيس أبليس ، ص378

(6) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ،1955م ، جـ 2 ، ص112،ص114

(7)أبن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص378 ؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص299

(8) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ3 ، ص315

(9) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ؛ جـ7 ، ص434 ، ص490

(10) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص130 ؛ رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص56.

بعض أفرادها السـرقة وجعلوا غايتهم نهب الحوانيت، والأسـواق ، وبيوت الأغنياء[1]،وصاروا مصدرا للشغب ، وعدم استتباب الأمن ، وقد وصفوا " بأنهم أهل شغب ، وحملة سلاح ، وكانوا يتقاتلون بالسكاكين"[2]،ومن صفاتهم تحملهم الأذى، وصبرهم على المشاق ، وتعرضهم للضرب بالسياط ، وتقطيع الأوصال ، ومختلف انواع التمثيل[3].وقد استمر وجود العيارين والشطار طيلة القرن الخامس الهجري وما بعده حيث تولى أمرهم الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م) ونظم فرقهم تحت أسم الفتوة[4]،وجعل لها طقوسا خاصة ومراسيم لا بد من أدائها لمن أراد الدخول في فتوته[5].

وكانت اغلب حوادث العيارين وحركاتهم تقع في الجانب الغربي من بغداد وذلك لوجود التجار[6]،وليس معنى هذا أن الجانب الشرقي ليس فيه أغنياء أو موسرون أو أنهم لم يصـابوا بأذى العيارين[7].وقد وردت أخبار كثيرة عن حركات العيارين وهجماتهم في هذه الحقبة التي نحن بصدد دراستها في حوادث سنة 645هـ /1247 م[8]،وحوادث سنة 653هـ /1255 م حيث " كثر فساد العيارين ببغداد ، فكانوا يلبسون عمائم الناس ويأخذون ثيابهم من الحمامات ظاهرا ، ويقتلون من ظفروا به من أتباع صاحب الشرطة ، ونهبوا دكاكين درب زاخل ، وصار الناس معهم في ويل عظيم"[9] كما ورد ذكرهم في حوادث سنة 654هـ / 1256 م حيث قوي شـأنهم

---

[1] رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص56.

[2] أبن مسكوية، تهذيب الأخلاق ، ص88.

[3] أبن مسكوية، تهذيب الأخلاق ، ص88

[4] أبن المعمار ، الفتوة ، ص123 ،ص124 ، 140 ،147.

[5] أبن الأثير ، الكامل ، حـ12 ،ص181 ؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص289 ،301.

[6] أبن الأثير ، الكامل ، جـ8 ، ص222.

[7] أبن الجوزي ،المنتظم ، جـ8 ، ص44، 47 ،50، 76، جـ10 ، ص58 ،67 ، 69 ،70؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص307 ، ص308

[8] الحوادث الجامعة ، ص266.

[9] الحوادث الجامعة ، ص321.

وأخذهم أموال الناس والفتك بهم ، وشاركوا في الفتن التي تحدث بين عوام بغداد وبين أهل المحلات[1].

وفي عهد المغول وبالتحديد حوادث سنة 677هـــ / 1278م ظهر ببغداد صبيان من الشطار يعرف أحدهما بأبن الخماس والآخر بالتاج الكفني ، وأنضم إليهما جماعة من الجهال ، وقويت شـــوكتهم ، وأنتشـــر ذكرهم ، فأعمل صـــاحب الديوان علاء الدين الجويني الحيلة حتى أحضـــر أبن الخماس أليه ، وعين عليه واليا في الشـــرطة فبقى على ذلك أياما وأســـتعفى ، فأعفاه وجعله ملازما باب داره ، ثم أشـــار أليه بإحضـــار التاج الكفني ، فأحضره وطيب قلبه وجعله رفيقا له ، فكبس جماعة من أهل الحلة باب الصاحب في بعض الليالي عليهما فلم يظفروا بهما ولا تمكن الصاحب من تحصيلهم ، ثم أن قتادة نائب الشرطة حكى لصاحب الديوان عن أبن الخماس والكفني أشياء من الفساد والتجرؤ على الناس وتكليفهم سرا وتخويفهم أن امتنعوا عن مساعدتهم ، فجمع بينهم وســـئل قتادة عما قاله عنهما فقال أشـــياء أثبتها عليهما ، فأمر بقتلهما وطيف برأسيهما[2].

---

[1] م . ن ، ص347 .

[2] م. ن ، ص440.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية للأسرة البغدادية

المبحث الأول :العلاقات الاجتماعية

تعد العلاقات الاجتماعية السليمة مظهرا من مظاهر الحضارة العامة وهي بلا شك تتناسب تناسبا طرديا مع رقي المجتمع ووعيه، والمجتمع البغدادي هو احد المجتمعات الإسلامية التي أسهمت في بناء القيم الموروثة قبل الإسلام والقيم المضافة بعد الإسلام ، فكان مزيجا من هنا وهناك وقد شكل صورته المزدهرة فالمجتمعات عبارة عن مجموعة من الأسر التي وحدت بينها المصالح العامة والانتماء إلى القبائل العربية التي اندثرت في المناطق العربية، إذ إن المجتمع العربي قبل الإسلام هو مجتمع ترك فيه الفرد أثرا عميقا من الموروث الاجتماعي بسبب طبيعة ومقتضيات الحياة فيه والصلات الأسرية.

ومن هنا ورث المجتمع البغدادي هذا الموروث الاجتماعي والذي يحظى فيه الرجل بمكانة مرموقة في الأسرة والمجتمع ، وتوثقت اواصر الاحترام بين أفراد الأسرة وبين أفراد المجتمع ، من خلال هذه العادات الموروثة وهي في عمومها أسهمت بشكل أو بأخر في بناء تلك العلاقات الاجتماعية سواء أكانت بين أفراد العائلة أو بين أفراد المجتمع عموما.

وعليه فسنتناول فيما يأتي البناء الأسري للعائلة البغدادية وعلاقة أفرادها بعضهم بالبعض الأخر.

1- العائلة:

تعد العائلة اللبنة الأولى في المجتمع، الذي هو أساسا عبارة عن مجموعة العوائل ، فالعائلة هي الوحدة الأولى لتكوين المجتمع بل هي المدرسة للتربية والتوجيه ورسم السلوك الإنساني نحو التخلق بالأخلاق والعادات والقيم الاجتماعية السليمة، وهذا الاتجاه مارسته العائلة في المجتمع البغدادي عبر العصور والعهود المنصرمة.

وعلى العموم فقد تميزت العائلة في المجتمع العربي بالتماسك والتعاون ، وتلك الظاهرة شهدها المجتمع العربي قبل الإسلام ، وذلك لان تماسك العائلة ووحدتها يعني قوتها وصمودها وتواصلها حتى إذا ما نمت واتسعت تعذر بقاؤها في مكان واحد مما يضطرها إلى مرحلة الانشطار.

وقد شمل هذا التوسع والانشطار العائلي القبائل العربية قبل الإسلام نتيجة لازدياد إعداد الأسر مما أسهم في انشطار القبائل إلى فروع أخرى لكنها حافظة على صلاتها وتواصلها من خلال محافظة الأسر على صلات الرحم والمودة في ما بينها ، وهذه الظاهرة عرفها المجتمع البغدادي خصوصا والمجتمع العراقي عموما.

وعلى العموم فالعائلة البغدادية تتكون من الرجل الذي يوصف برب الأسرة وهو الزوج ، والمرأة التي تمثل الزوجة ، فضلا عن الأبناء، ويتوزعون في أداء المهام والأعمال التي ينهضون بها كل حسب قدراته ومؤهلاته وهي حالة عرفها المجتمع العربي قبل السلام وتواصلت في ظل الإسلام الذي عمق صلات المودة والتعاون والحب والتواصل بين أفراد الأسرة إدراكا منه بالدور البالغ للأسرة في بناء مجتمع الإسلام وتأكيدا على صلات الرحم التي أرادها الإسلام نورد ما جاءت به الآيات

الكريمة في الحث على ذلك والتمسك به ، قال تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[1] وقوله تعالى" وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا"[2].

إذن فصفة المجتمع البغدادي صورة متألقة من صور المجتمع العربي ، برزت فيه الصفات الخيرة بين أفراد العائلة ذاتها وبين العوائل الأخرى المكونة للمجتمع البغدادي من خلال تآزر وتكافل هذه العوائل في أوقات المحن والحروب والكوارث الطبيعية انتشار الأوبئة والمشاكل والفتن السياسية ، من جهة ، ومن جهة أخرى في النقيض من ذلك في أوقات الأفراح والمسرات والاحتفالات والأعياد ، وما شابه ذلك حيث تسود ذات الحال في التكافل والمودة والتواصل والتعاون.

والرجل بين عائلته وأسرته في المجتمع البغدادي تمثل صورته السابقة قبل الإسلام من حيث تحمل مسؤولية كبيرة في شؤون عائلته باعتبار إن المجتمع العربي يوصف بأنه مجتمع الرجولة بسبب البيئة والظروف العامة ، ثم عزز الإسلام مسؤولية الرجل في البيت والعائلة من خلال تكليفه بواجباته إزاء أسرته فعليه توفير الرزق ومستلزمات المعيشة والسكن وأساليب التربية والتعليم ، فضلا عن مسؤولياته إزاء أبنائه وزوجته شريكته في حياته تلك المسؤوليات التي حددتها الشريعة الإسلامية ورسمتها الطبيعة البشرية والإنسانية ، وإذا كانت للرجل هذه المسؤولية فهي لا تعني بالضرورة إن يتمتع بالتسلط والاستبداد فالإسلام ومن قبله قيم المجتمع العربي لم تشير إلى ذلك بل أشارت إلى استئناسه بآراء أفراد أسرته وتشاوره معهم فيما يتخذه من قرارات تخص مصلحة العائلة وفي ظل هذه الدائرة من التشاور فقد يتخلى رب الأسرة عن رأيه مقتنعا فيما أشار عليه أفراد الأسرة أو حتى مستنيرا بآراء الأسر الأخرى.

هذه المرونة في المعاملة والتفكير اقتضت من الرجل إن ينهج مع أسرته منهج الناصح والدليل والقائد ليس في حياته فحسب بل يرسم لهم سيرتهم بعد وفاته.

إذن فالأسرة البغدادية بمكوناتها أنما كانت تمثل صورة مصغرة لما كان سائدا في المجتمع العراقي عموما من حيث صفات التعاون والمسؤولية التكافل وهي صفات لا شك إنها تبني الأسرة بناءً متينا يسهم إلى حد كبير في متانة البناء الاجتماعي عموما فالرجل يسهر على مصلحة أسرته المعاشية والأمنية والتربوية وتقف إلى جانبه المرأة التي تنهض هي الأخرى بمسؤولياتها المنزلية فيما روى إنها تتكفل بشراء ما يحتاجه زوجها من لوازم من لباس وغيره[3]، فضلا عن اهتمامها في إدارة المنزل وتربية الأطفال وتوجيههم واستثمار كل الطاقات سوية مع زوجها الرجل لتكوين الأسرة الصالحة ولعل العبء على المرأة في الأسرة الريفية أكثر مساحة من حيث مشاركتها الفاعلة مع زوجها في توفير أساليب الرزق ، وممارسة العمل ذات الصلة بشؤون الحياة المعاشية أو المتصل بإدارة المنزل مما قد ينعكس هذا في ضالة دورها

---

01 **سورة الأنفال / الآية 75 .**

02 **سورة النساء / الآية 8.**

03 **المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ 4 ، ص 426.**

في شؤون الحياة الأخرى كطلب العلم أو الإسهام في اكتساب المعارف التي قد تتوفر لأسرة المدينة دون أسرة الريف ولا شك إن هذه الظاهرة أنما سببها الظروف البيئية المختلفة[1].

مكانة المرأة في البيت:

كانت للمرأة العربية قبل الإســـلام مكانة كبير إذ تمتعت باحترام وتقدير كبيرين فقد مارســت حقوقها الطبيعية كجزء من مكانتها في المجتمع[2]، وظهر لها دور بارز في ميادين الســـياســـة والعمل ومن بينهن زنوبيا ملكة تدمر[3]، والســـيدة خديجة ام المؤمنين[4] (عليها الســـلام) ، والخنســـاء بنت عمرو[5] ... وغيرهن كثير ولم يكن ذلك فحسـب بل نسـب بعض العرب إلى أمه[6]، وتعدى ذلك إن تسـمية بعض القبائل بأسماء أنثوية ، بل كانت بعض آلهة العرب قبل الإسلام من الميدان ذاته.

ولما ظهر الإســـلام برز دور المرأة وبشـــكل أوســـع أبطل الكثير من العادات القديمة[7]،والتي تنال من مكانتها وأزال العديد من القيود التي تحد من حريتها ورفع من شانها ، فقد أدت دورا في العديد من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وكان الرجال يولونها كل احترام وتقدير ويحرصون كل الحرص على صـيانة شـرفها والدفاع عنها ومعاملتها معاملة حسـنة ، والفضـل في ذلك يعود إلى الإسلام وتعاليمه التي منحت المرآة هذه المكانة الجديدة لتضاف إلى ما كانت تتمتع به من مكانة قبل الإســـلام ، قال تعالى" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"[8].

---

[1] **الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي(ت 815هـــ) ، مطالع البدور في منازل الســرور، مطبعة الوطن،القاهرة ،1300هـ ، ص 187.**

[2] **كان من حق المرأة الاحتفاظ بأملاكها الخاصة حتى بعد زواجها وغالبا ما كان يؤخذ رأيها في الزواج كما إن بعضـــهن كن يخترن أزواجهن ويتركوهم إذا ما ســـاءوا معاملتهن . الأصـــفهاني،ابو الفرج علي بن حســـن (ت356هـ)، الأغاني،دار الفكر للطابعة والنشر والتوزيع،1407هـ/1986م، جـ10،ص13. ابن كثير، البداية والنهاية، جـ 8 ، ص 319 .**

[3] **هي الزباء بنت عمرو بن حسـان بن اذيبة بن السـميدع الملكة المشـهورة ، الزركلي،خير الدين،الإعلام،ط2 بيروت ،د.ت، جـ 3،ص71.**

[4] **هي السيدة خديجة بنت خويلد ، وكانت سيدة فاضلة ، آزرت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قبل وبعد البعثة توفيت في السـنة الثالثة من البعثة في مكة ، ينظر كحاله ، عمر رضـا ، أعلام النســاء في عالمي العرب والإسلام ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د . ت ، جـ 1 ، ص426 ،431.**

[5] **هي تماضر بنت عمرو بن الحارث من بني سليم بن قيس شاعرة مشهورة لها قصائدها المؤثرة توفيت سنة 24هـ ، كحالة ، أعلام النساء ، جـ 1 ، ص 360.**

[6] **نسـب الكثير من الرجال إلى أمه ومنهم المنذر بن ماء السـماء ملك الحيرة (554-512م) وماء السـماء لقب أمه ماريه بنت عوف قتل سـنة 526قبل الهجرة وكذلك عمرو بن هند وهو ملك الحيرة (554 – 574م) ، ينظر أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت 209هـــ) ، نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ، 1907م ، طبعة بغداد بالاوفست ، جـ 2 ، ص 885.**

[7] **كان الوأد عادة مستهجنة لدى بعض بطون تميم وقيس وهذيل وكندة وبكروطئ وسببه خوفهم من الفقر وقد أشـار القرآن الكريم إلى ذلك " ولا تقتلوا أولادكم خشـية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطا كبيرا " سورة الإسراء / الآية 31 ؛جواد،علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، 1954 ، ص 205 ، ص 298.**

[8] **سورة النساء / الآية (1)**

كان الرجل يختار المرأة ذات المكانة الاجتماعية ويفخر بها ويحرص على الاقتران بها ، فكان إذا أراد الزواج فانه يكلف إحدى قريباته أو معارفه لتختار له فتاة صـــالحة يتخذها زوجة له [1] . وفي بعض الأحيان قد يكلف دلاله لتقوم له بهذه المهمة [2] ، وكان أهم ما يوصي به الرجل الخاطبة ، هو ملاحظة جمال المخطوبة وأخلاقها [3] ، حيث انه كان لا يســـتطيع رؤية الفتاة المخطوبة ، حتى تزف إليه [4] ، وهذه العادة كانت ولا تزال معروفة في مجتمعنا البغدادي حتى الوقت الحاضر.

كان الاكتفاء بامرأة واحدة هو الأكثر شيوعا في الأوساط الاجتماعية ، ليتفادى ما قد يحدث للرجل من مشـــاكل نتيجة تعدد الزوجات ،عملا بقوله تعالى " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ "[5] . وقوله تعالى "وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا"[6] . ألا أن في بعض الأحيان قد يقدم الرجل إلى الزواج بأخرى أو قد يجمع بين ثلاث زوجات في دار واحدة ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك من الأمور المتعبة للرجل ، فعليه أن يرضيهن جميعا ، فيقسم كل ما يشتريه بينهم بالتساوي[7] ولكن قد يحدث أن يميل الرجل لأحدى زوجاته دون الباقيات ، فيخصها بعنايته[8] .

وهكذا فالعائلة متكونة من الزوج والزوجة (أو الزوجات) والأولاد – بنين وبنات فضلا عن الأب والأم (أي الجد والجدة) والأخوات أن وجدوا ، وقد تكون العائلة أكبر من ذلك فتضم علاوة على الجد والجدة عدة أبناء وكل له زوجة[9].

أ – الزواج :

ذكرنا أن الرجل أذا أراد الزواج فأنه يكلف أحدى قريباته أو معارفه لتختار له عروسه ، وكانت المرآة تزف إلى دار الرجل ، حيث تسكن معه[10] ، وكان الأب هو ولي أمر البنت ، فلذلك كان أخذ موافقته أمرا ضروريا وكان من المهم أن يسأل والد البنت الناس عن الرجل المتقدم لخطبة أبنته كي يتعرف على شخصه ، ومدى صلاحه كزوج لأبنته[11]، ومن ثم تتم الموافقة أو قد يرفض أن لم يجده صالحا لها.

---

[1] ابن الجوزي ، ذم الهوى ، تحقيق مصـــطفى عبد الواحد ، ومراجعة محمد الغزالي ، مطبعة الســـعادة ، 1381هـ / 1962م ، ص 632.

[2] ابن الجوزي ، أخبار الظراف والمتماجنين ، باعتناء القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، 1347هـــ ، ص 98.

[3] ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص 632

[4] م . ن ، ص 632.

[5] سورة النساء : الآية 3 .

[6] سورة النساء : الآية 129

[7] فهد ، العامة ببغداد ، ص254

[8] أبن الجوزي ، تلبيس إبليس ،ص385.

[9] فهد ، العامة ببغداد ، ص256 .

[10] م . ن ، ص256 .

[11] أبن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص114.

كانت الخطبة تسبق الزواج ، فكانت المرأة تخطب من أبيها أو أخيها أو عمها أو أحد أقاربها ، ويقوم الخاطب بإرسال من ينوب عنه من أهله أو المقربين إليه ليخطب له البنت التي يريد الزواج منها،وفي أحيان قليلة يتقدم الخاطب بنفسه ليخطب المرأة المخطوبة وفي بعض الأحيان تجلس ويدخل عليها الخطيب وبينهما حاجزا أو رواق بعد موافقة أهل المرأة . ويقوم الخطيب بتعريف نفسه للخطيبة فيتكلم عن نفسه بشكل موجز موضحا مكانته الاجتماعية وعاداته وطباعه وقد يوضح حالته الاجتماعية من غنى وفقر كي يكون موقفه واضحا لدى المرأة وأهلها . وكان معظم الناس يزوج أهل الجاه والنسب كما كان أهل الورع والدين يبحثون لبناتهم عن الزوج الصالح في عقله ودينه . ومن شروط الزواج أن يقدم الزوج صداقا لزوجته وكان هذا الصداق يتفاوت من زوج إلى زوج حسب حالته الاجتماعية وما إذا كان موسرا أم لا . وكان هناك مراسيم خاصة متعارف عليها في عقد الزواج لدى جميع فئات المجتمع آنذاك إذ كثير ما تلقى خطبه مقتضبه يبين فيها الخطيب بعد أن يحمد الله , أمورا تتعلق بالزواج والمهر وغير ذلك وكانت الخطبة تسمى خطبة النكاح . وهي تختلف من شخص إلى أخر لكنها دائما مختصرة وقصيرة[1] , وهناك شهود على عقد الزواج لتثبيته ويكون العقد علنا أمام الناس [2] ويتم بعد ذلك تجهيز العروس قبل العرس , وقد يتولى والدها تجهيزها فينفق في سبيل ذلك الأموال , كان يصوغ لها ((دستا من الفضة))[3] وقد يكون ذلك مقتصرا على العوائل الغنية فقط [4] . وكانت حفلات العرس تقام في دار العريس بعد أن يتم تهيأت ذلك وبعدها يحضر المدعوين لحفلة العرس وتعمل الولائم ويحتفل الناس إذ يحضرون نساء ورجال وتقدم إليهم الأطعمة الشهية والاشربة المنوعة[5] .

ب- الأطفال:

الطفل هو الحصيلة الطبيعية لزواج الرجل بالمرأة وما من شك إن تربية الطفل تأتي في مقدمة واجبات الوالدين والأسرة عموما[6], وفقا لمسؤوليات الوالدين الأسرية والاعتبارية والدينية فينشأ الأطفال على حب والديهم وتعزز هذه المودة بينهم بالوراثة وصلة الرحم والتربية.

والأسرة البغدادية عرف عنها إنها تسهر على تربية أطفالها وتنشئهم النشئة الصحيحة فالأهل كانوا يعلمون أولادهم آداب السلوك وآداب المجالس كما يرسلوا أطفالهم منذ وقت مبكر قد يكون سن الثالث أو الخامسة أو بعد ذلك بقليل إلى الكتاتيب المدارة من قبل شيخ او معلم , ويدرس القراءة والكتابة ويتعلم القران وآداب الدين وقواعد عن

---

01 **ابن عبد ربة , العقد الفريد , جـ4 , ص205.**

02 **م . ن , جـ4 , ص205.**

03 **ابن الجوزي , تلبيس إبليس , ص382.**

04 **فهد , العامة بغداد , ص256.**

05 **ابن الجوزي , الأذكياء,ص131.**

06 **كانت العادة المتبعة إن كان المولود ذكرا صلوا على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وان كانت أنثى ترضوا على السيدة فاطمة (عليها السلام) , ينظر ألغزي,كامل حسين بن محمد الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب , المطبعة المارونية , حلب , د.ت , جـ1 , ص244.**

مبادئ الحساب واللغة[1] ويوصي الأهل المؤدب أو المعلم بان يحسن معاملة الأطفال ولا يقسوا عليهم ولا يضربهم لا إذا أساء احدهم الأدب[2] وبذلك يتعاون كل من الوالدين وجهود المؤدبين لتربية الطفل وإرشاده إلى الطريق الصحيح , وبذلك يلقى مؤدب الطفل الاحترام الكبير ويرقى به هذا الأمر إلى مستوى الوالدين في المسؤولية بالأدب والتعليم.

جـ - الطلاق :

الطلاق في الأصل اسم لطلق بالتشديد ويعني رفع القيد الحسي أو المعنوي, فالطلاق والإطلاق في اللغة يستعملان لحل القيد حسيا كان أو معنويا وهو في رأي الفقهاء رفع قيد النكاح في الحال أو في المال بلفظ مشتق من ط . ل . ق أو في ما معناه مما يفيد ذلك صراحة أو دلالة صادر من الزوج أو ممن يقوم مقامه , فيرتفع قيد النكاح بالطلاق في الحال إذا كان الطلاق بائنا , أو في المال إذا كان الطلاق رجعيا[3] . أما التعريف القانوني للطلاق فهو إنهاء لعقد زواج صحيح أثناء حياة الزوجين أي انه صورة من الفسخ القانوني , وهو على نوعين , فأما أن يتم بإرادة احد الزوجين ويسمى في اصطلاح المشرعين الطلاق , وأما في أن يتم بتدخل السلطة القضائية للحكم فيه ويسمى التطليق , فالطلاق هو طريقة قانونية لانحلال الزواج في حياة الزوجين اثر حكم قضائي يعد بناءً على طلب احدهما او كليهما لسبب من الأسباب التي حددها القانون[4] . ويعد الطلاق من وجهه نظر علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية تنبع من المجتمع وتنجم عن علاقات اجتماعية غير سليمة وهو دليل على تصدع الأسرة أو انهيار مقوماتها بينما يعد الطلاق في الواقع مجرد دليل واحد من بين دلائل متعددة ولما كان الطلاق بمعنى عام إنهاء زواج صحيح أثناء حياة الزوجين أي انه صورة من الفسخ القانوني لعقد الزواج فهو بالتأكيد يمثل الدليل على انتهاء الزوجية[5].

وعلى الرغم من مفاسد الطلاق وشروره فانه يقع بين جميع الطبقات وكثيرا ما يمتد أذاه إلى ما بعد الانفصال بين الزوجين وانتهاء الحياة الزوجية فلا تقف سيئاته عند تأثيره الاجتماعي الذي يشمل حرمان الأب من أطفاله ولا عند فقد المرأة من يرعاها , بل إن شرور الطلاق والأسباب التي تؤدي إليه كثيرا ما تكون مدعاة لإثارة العداء بين أهل الزوجين , ومن الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق منها عدم الانسجام في الطبائع أي رفض المرأة التكيف مع طباع زوجها والرضوخ لنزواته , أو قد يكون السبب تنافرا عاطفيا أو عقم الزوجة أو قد يكون بسبب التقدم في السن وقد يكون السبب لإنجابها الإناث دون الذكور أو الفقر أو قد تكون الغيرة عند المرأة التي ترى من يزاحمها في زوجها سبباً أخر في حدوث الطلاق.

---

(1) **الشيزري,نهاية الرتبة في طلب الحسبة , ص103.**

(2) **فهد , العامة ببغداد , ص277**

(3) **الغندور , احمد , الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون , مصر , 1976م , ص20**

(4) **م.ن ، ص31.**

(5) **حسن , محمود , الأسرة ومشكلاتها , دار المعارف , مصر , 1967 , ص195.**

وقد شرع الدين الإسلامي الطلاق ليتخلص به الزوجان من المفاسد والشرور التي تترتب على بقائهما معا وليستبدل كل منهما بزوجه زوجا أخر قد يتألف معه ويتبادل معه المودة والرحمة مصدقا لقوله تعالى ((وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا))[1].

المرأة وأثرها في المجتمع البغدادي:

لم يكن دور المرأة مقتصرا على إدارة شؤونها العائلية من حقوق زوجية وتربية الأولاد فحسب بل امتد دورها إلى أعمق من ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة أهمية ومكانة سامية في المجتمع وكانت التشريعات التي وردت منه لصالح المرأة ولم تستطع أي شريعة أو قانون وضعي سابق أو لاحق أن يرتقي بالمرأة كما ارتقى بها الإسلام.

وقد كان للمرأة البغدادية دور بارز في تلقي العلوم والمعارف العلمية ونشرها بين الناس وامتدت عنايتها بهذه العلوم ببناء المراكز والمنشآت العلمية والدينية ورعايتها ورعاية القائمين عليها .

كما اهتمت المرأة بالفقه كاهتمامها بالقرآن والحديث لان كلاهما يتصل بالأخر واستمر كذلك إلى أواخر العصر العباسي , إذ برزت فيه كونها فقيهه وحافظة قديرة واديبة مشهورة وتصدرت للافتاء فيه بجدارة[2]،ولم تقتصر في علومها على حفظ القران الكريم وحده ودراسة الحديث الشريف على الرغم من أهميتها لها إنما امتدت عنايتها باللغة العربية وآدابها بكونها مكملة لعلومها الأولى.

فقد كان لزوجات وأمهات الخلفاء دور بارز في المجال العلمي والمعرفي وامتد اهتمامهن إلى إنشاء المراكز العلمية والمنشآت الدينية ورعاية القائمين عليها ومن بينهن زمرد خاتون(أم الخليفة الناصر) كانت شافعية المذهب وقد بنت مدرسة للشافعية سنة589هـ/1193م[3] , سميت هذه المدرسة بمدرسة زمرد خاتون أو مدرسة الأصحاب[4] وتقع بالجانب الغربي من بغداد بجوار تربتها وبالقرب من قبر معروف الكرخي بمقبرة باب الدير ، وألحقت بها دور خاصة بالمدرسين والفقهاء ورتبت فيها مدرسا من أفاضل العلماء وأجرت للجميع الرواتب الحسنة فصارت المدرسة بذلك من أشهر المعاهد العلمية ببغداد يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب ، وأصبحت بعد النظامية ، والمستنصرية منزلة وقيمة وأستمر التدريس فيها قائما طيلة العهد العباسي والمغولي والجلائري وبقي بنيانها حتى العهد العثماني[5].ومن أعمال السيدة زمرد خاتون هو بناء الربط إذ أنشأت رباطين ، الرباط الأول يسمى رباط المأمونية ويقع في محله المأمونية . " وهي محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد بين

---

[1] سورة النساء : الآية130.

[2] الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , جـ14 , ص442 ؛ ابن الجوزي , صفة الصفوة , تحقيق محمود فاخوري , دار الوعي , حلب , 1963 , مج2 , ص296 ؛ ابن الجوزي , المنتظم , جـ7 , ص137

[3] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , جـ12 , ص184 , جواد , مصطفى , سيدات البلاط العباسي , بيروت , 1950 ,ص183

[4] ابن الساعي,الجامع المختصر,جـ9,ص122,سبط ابن الجوزي,مرآة الزمان,جـ8,ق2,ص513,الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك , ص 280, وينظر الحوادث الجامعة,ص91 , هامش رقم(2).

[5] رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، ص123.

نهر المعلي وباب الأزج عامرة أهله"[1] في الجانب الشـــرقي من بغداد ، أما الرباط الثاني فهو رباط الأصـــحاب بجوار مشـــهد عبيد الله العلوي عند قبر أم رابعة في الأعظمية اليوم[2]، وتعهدته بالعناية وقد أصابه الغرق سنة 646هـ / 1248م وهدم فتم تجديده وأعادته على ما كان عليه أول مرة وجرى افتتاحه ســنة 650 هـــــــ / 1252م وأقيمت له دعوة بالمناســـبة[3] . ولهذين الرباطين أثر كبير ففيه الكتب النفسية التي يقصدها أهل العلم للمناظرة والبحث[4] .

كما أنشـأت السـيدة زمرد خاتون أيضـا مسجد الحظائر وهو يقع في موضـع نزه من شـرقي بغداد مطل على شـاطئ دجلة عند مشـرعه عرفت يومئذ بمشـرعة المزملات وما زال عامرا بالمصلين حتى يومنا هذا شامخا بقبائه المعقودة على الطراز العباسي البديع وقد اختارت السيدة زمرد خاتون الشيخ الصـالح عمر بن يوسـف بن محمد بن نيروز البغدادي ليكون أماما فيه[5].

كما اشـتهرت السـيدة زمرد خاتون بأعمال البر حيث روى أنها حجت في أحد السـنين وأنفقـت في حجهـا ثلاثمـائـة ألف دينـار في الحج[6] ،وكـان معهـا نحو ألفي جمـل وتصـــدقت على أهل الحرمين وأصـــلحت البرك والمصـــانع[7]. وعند وفاتها" فرق الخليفة جميع ما خلفته من ذهب وفضـة وجواهر في جواريها وممالكها فقسم ما بينهم ما في خزانتها من الاشـــربة والمعاجين والعقاقير إلى المارســـتان العضـــدي وكان يســـاوي ألوفا " وحزن عليها أهل بغداد حزنا عظيما لأنها كانت محســـنة للناس[8] .

ومن بينهن أيضا سلجوقة خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله كانت قد اختارت أن تنشـــئ تربة لها بالجانب الغربي في مشـــرعة الكرخ لتدفن فيها إذا ماتت فشـــرع في بنائها ، فلم يعقد حيطانها حتى أدركها الأجل فدفنت فيها وتم بناؤها ووقفت فيها خزانة من الكتب النفيســة التي كانت تعار لمن طلبها ، وأنشـــأ الخليفة الناصـــر لدين الله إلى جانب تربتها رباطا[9] ، ويسمى رباط الخلاطية.

قال أبن الأثير " وبنى – الخليفة على قبرها تربة بالجانب الغربي ، والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة"[10].

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ4 ، ص198.

[2] رؤوف ، عماد عبد السلام ، من تاريخ الخدمات السنوية في بغداد ، بحث منشور في كتاب بغداد في التاريخ ، 1990 ، ص49.

[3] سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ8 ،ق2 ، ص84 ؛ الحوادث الجامعة ، ص277، 305.

[4] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء،جـ17 ، ص65؛جواد،الربط البغدادية،جـ2، ص226

[5] رؤوف ، من تاريخ الخدمات السنوية العامة في بغداد ، ص50

[6] سـبط أبن الجوزي ،مرآة الزمان ، جـــ8 ،ق2، ص513 . أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـــ6، ص182.

[7] سبط أبن الجوزي ، مرأة الزمان، حـــ8 ، ص513 ،ص14. أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، جـــ6 ، ص182

[8] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان جـ8 ق2 ص514؛ جواد ، الربط البغدادية ، ص247.

[9] أبن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص115 ، ص116

[10] الكامل في التاريخ ، حـ9 ، ص198 . الرملة محلة كانت ببغداد في مشرعة الكرخ إلى دجلة ثم خربت وهي في الجانب الغربي . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،جـ2 ،ص421.

ومن الآثار الأخرى التي تركتها لنا زوجات الخلفاء المدرسة البشيرية التي أنشأتها زوجة الخليفة المستعصم بالله سميت هذه المدرسة على اسمها وكانت ذات بر ومعروف وقفت المدرسة البشيرية ووقفت دارا للقرآن ورباطا للنساء وقد أنشأت هذه المدرسة بالجانب الغربي من بغداد ، اتجاه قطفتا وبظاهر محلة شارع أبن رزق الله وكان الشروع ببنائها سنة 649هـ / 1251م أي بعد ثمانية أشهر من وفاة منشئتها (باب بشير) وقد جعلها وقفا على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقوفا كثيرة[1] ، توفيت السيدة بشير سنة 652هـ / 1254م يوم الأحد سابع شهر شوال[2].والى جانب زوجات الخلفاء العباسيين هناك نساء من عامة الشعب برزن في المجال العلمي والمعرفي فمنهن من كانت محدثة وفقيهة وعالمة ومن الأمثلة على ذلك أمة العزيز عز النساء ابنة أبي بكر احمد بن أبي السعادات احمد بن غالب البندنيجي[3]، وهي أخت أبي القاسم تميم بن احمد البندنيجي الأزجي مفيد بغداد ومحدثها كتب الكثير وحدث وسمع عنه ، كانت أخته شيخة صالحة بنت شيخ حدثت ببغداد وتوفيت فيها سنة 621هـ / 1224م[4] . ومنهن أيضا جمال النساء ابنة أبي بكر احمد بن أبي سعد بن احمد أبن الغراف البغدادي[5] وتكنى بأم الخير شيخة صالحة والدها أبو بكر كان شيخ الزمان في عصره سمعت بإفادته من صغرها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد واحمد بن محمد الكاغدي[6]. حجت مرات عديدة إلى بيت الله الحرام وتوفيت في التاسع والعشرين من جمادي الأول ببغداد سنة 604هـ/ 1207م ودفنت بمقبرة الشوينزية[7].

ومنهن أيضا شمائل ابنة كثير بن أبي نصر البغدادي البقال الصوفية الشيخة الصالحة سمعت من شيختها خاصة بنت المبارك بن احمد الأنصاري وحدثت ، توفيت في الثالث من شعبان سنة 623هـ/1234م ودفنت بالشوينزية[8]. وأيضا فاطمة ابنة منصور يوسف بن أبي المعالي احمد بن عبيد الله البغدادية شيخة أصيلة ببغداد ابنة شيخ اجل، أجاز لها أبو الحسن محمد بن محمد الكوفي وجماعة، وحدثت، توفيت في الخامس والعشرين من جمادي الأخر سنة 624هـ / 1226م ودفنت بباب حرب[9].

---

01 **الحوادث الجامعة ، ص303،ص324 . يذكر أن أفتتح المدرسة كان سنة 653هـ . معروف ،عالمات بغداديات في العصر العباسي، بغداد، 1967م،ص69**

02 **الحوادث الجامعة، ص324**

03 **البندنيجي: نسبة إلى البندنيجين وهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل ، من أعمال بغداد، وهي بلدة قريبة من بغداد بينهما دون عشرون فرسخا.ياقوت الحموي، معجم البلدان ، جـ1، ص393.**

04 **أبن الأثير،اللباب في تهذيب الأنساب ، طبعة القاهرة، 1356هـ /1937م ، ودار صادر بيروت،د.ت، جـ1،ص180.**

05 **ألمنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي(656هـ)، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط2، مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان، 1981،م3،ص133.**

06 **ألمنذري،التكملة لوفيات النقلة ،م3،ص603،الذهبي،العبر في خبر من غبر،جـ5،ص165،أبن العماد الحنبلي،شذرات الذهب ،جـ5،ص207**

07 **الذهبي، العبر في خبر من غبر،حـ5،ص165**

08 **ألمنذري، التكملة لوفيات النقله، م3،ص603والشوينزية:مقبرة في بغداد تقع في الجانب الغربي.ينظر:ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ3 ،ص164.**

09 **ألمنذري، التكملة،م3،ص393،ص394**

ولم يقتصـــر دور المرآة البغدادية في علم الحديث فقط بل اهتمت بالوعظ حيث برز عدد من الواعظات خلال هذه الحقبة ممن بذلن الجهد الكبير والوقت الكثير في قراءة القرآن الكريم، ودراســة الفقه والأدب[1]، وصــاحبن كبار الشـيوخ الوعاظ[2]،وقد نلن الثقافة العلمية الواســعة بالكتابة والقراءة والحديث والرواية حتى وصــلن إلى المكانة العلمية الرفيعة لعقد المجالس الوعظية والمناظرات بأسلوب استهوى أعجاب العلماء والفقهاء ونلن ثقتهم واحترامهم ومنحوهن الأجازات العلمية[3]. هذا ولم تقتصر المرآة في وعظها على النســاء فقط أنما أمتد إلى وعظ الرجال والتحدث إليهم فســمعوا منها وانتفعوا بعلمهـا[4] . ومن الواعظـات اللواتي كـان لهن دور بـارز في تـدعيم الحركـة الفكرية خاصــة ابنة أبي المعمر المبارك بن احمد بن عبد العزيز الأنصــاري البغدادي الواعظة [5] . امرأة مثقفة وشـيخة فاضــلة صــاحبة الشـيخ أبي النجيب السـهروردي وحدثت وسمع منها أبو الفتح الخباز. توفي سنة 630هــ / 1232م،[6] وكان للشيخة خاصــة رباط بباب الازج انشــاته لنفســها تتكلم فيه بالوعظ على الصــوفيات ، توفيت سنة 585هـــ / 1189م[7] ومنهن أيضا صفية ابنة أبي الفرج عبد الرحمن بن عمر بن علي بن يعش البغدادية الواعظة أديبة فاضــلة ، توفيت ببغداد ســنة 620هـــــ / 1223م ودفنت بمقبرة الشوينزي [8].

وأيضـــا عائشـــة ابنة الشـــيخ أبي المظفر محمد بن علي بن نصـــر البغدادي الشـــيخة الصـــالحة ، الواعظة الكاتبة ، ســمعت من أبيها ، وأجاز لها أبو محمد عبد القادر بن أبي صـــالح ألجيلي ، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي ابن الســـبطي وغيرهم ، وكانت امرأة صالحة فاضلة تعظ النساء الصالحات ، وقرأت على أبيها بنفسها وكتبت بخطها ، توفيت في الخامس والعشرين من جمادي الأول سنة 641هـ / 1243م ببغداد [9].

---

01 **كحالة، أعلام النساء،جـ2،ص57**

02 **ن.م،جـ2،ص303**

03 **ألمنذري، التكملة م3،ص540. كحالة، أعلام النساء،جـ3،ص188**

04 **أبن الجوزي، المنتظم،جـ8،ص289. أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة،جـ5،ص97**

05 **ألمنذري ، التكملة ، م 1 ، ص 120 ، م 3 ، ص 341 ، ص 393**

06 **ألمنذري، التكملة ، م . ن ، م 3 ، ص 340 ، ص 341**

07 **م . ن ، م 1 ، ص 120**

08 **المنذري ، التكملة م3 ، ص110 السيوطي ، نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط 1 ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ، 1958 ، ص66.**

09 **الذهبي ، العبر ، جـــ 5 ، ص 168 . اليافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـــ 4 ، ص 104 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ 5 ، ص 211 ، كحالة ، إعلام النساء ، جـ 3 ، ص 188**

الفصل الثالث

المبحث الثاني:

الأحوال المعاشية

إن دراسة الأحوال المعاشية تعكس واقع المجتمع و الخصائص المعاشية لكل فئة من فئاته و كيفية تفاعلهم مع بعضــهم البعض مما يبين لنا الحالة العامة التي كان يعيشــها سكان المدينة من حيث طعامهم و ملبسهم و مستوى معيشتهم.

أ – ألطعام

اهتم الدين الإســلامي بالطعام و مكوناته لكونه الوسيلة لاستمرار الحياة،و تضـمنت ســورة المائدة في القرآن الكريم ما حلل وما حرم أكله فضــلا عن ذكر الطعام سـبع و أربعين مرة بصيغ مختلفة[1]، و تعدد ذكر الطعام و المائدة و آدابهما في كتب الحديث و الأطعمة و الاشربة و الطب و اللغة.

و اعتبر الطعام من وســائل الرفاه الأســاســية في المجتمع فقد كانت بغداد تتمتع بالخيرات المختلفة و انتساب عناصر سكانها إلى أمم و جماعات لها تراثها الموروث في هذا الجانب ، لذا فقد تنوعت و تعددت ألوان الطعام و أصــنافه وطريقة طهيه و إعداده.

ولا شك ان انقسام المجتمع البغدادي إلى فئات مختلفة و متباينة في مستواها ألمعاشي والاقتصادي جعلها تختلف في أشكال موائد طعامها ، فالأمراء والحكام والأغنياء من الخاصـة اشتملت موائد طعامهم على أنواع مختلفة من الأطعمة والاشربة التي كانت تتناسب في محتوياتها مع طبيعة المناسبة والاحتفال مما يدل على قدرتهم الاقتصـادية ، وكانت العامة من أبناء المجتمع تختلف بطبيعة طعامها من حيث محتوياته وألوانه وفي مناسباتها المختلفة فهي في عمومها لا ترقى إلى موائد الأغنياء والفئة الحاكمة.

وكثرت في العصــور العباســية الولائم و المآدب فكل مناســبة من الافراح مقرونة بوليمة طعام يستدعى فيها الاهل والاصـحاب و ابرزها " الزواج و الولادة و الختان و الانتهاء من بناء دار جديدة ، والاحتفال بعودة مسافر او حاج"[2].

---

[1] داود ، نبيلة عبد المنعم ، آداب المائدة ، بحث مقدم للندوة القطرية الثامنة ،لتاريخ العلوم عند العرب 15-17 نيسان ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، 1986 ص4 و ما بعدها

[2] عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط2 ،الكويت ، 1986ص272.

ومن العادات البغدادية الجميلة ، تبادل الاطعمة بين الجيران ، و هي خطوة لتعميق الالفة و المحبة بينهم ، فأذا طبخ احدهم الطعام اعطى لجيرانه حتى و ان كان ما يطبخه مرقا"[1].

ونحن نعتقد بان هذا الموضوع يتوقف على كرم الشخص و عطائه في تبادل الاطعمة مع جيرانه او اقاربه.

وهناك من الباحثين المعاصرين من يرى بان الغالبية العظمى من اهالي بغداد اعتادوا "عدم طهي الطعام في منازلهم ،الا في حالات الضرورة ، و كان الوضع السائد هو شراء الاطعمة المطهية التي تفيض بها الاسواق و الطرقات"[2].

و كان البغداديون يغسلون ايديهم قبل تناول الطعام عند حضورهم لاحدى مآدب الطعام فيدعون لغسل ايديهم في جونة[3]، توضع بين ايديهم و يعاد ذلك بعد تناول مآدبة الطعام[4].و عند البغداديين آداب لتناول الطعام في المآدب العامة ومنها"ان لا يبادر الى الطعام و لا يطيل النظر الى الوانه و لا يحدق اليه شديدا" ويقصر على ما يليه و لا يسرع في الاكل و لا يوالي بين اللقم بسرعة ، و لا يعظم اللقمة، ولايبتلعها حتى يجيد مضغها، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، ويأكل الخبز القفار الذي لا آدم معه في بعض الاوقات وهذه الاداب وان كانت جميلة بالفقراء فهي بالغنياء افضل واجمل[5].كما على المرء ان يعمد الى تصغير اللقمة والابتعاد عن الشره والنهم"[6]وهناك تسميات متعددة لموائد الطعام انذاك ، ومنها المأدبة[7]،والدعوة[8]،والاعذار[9]،والوكيزة[10].

---

(1) فهد ،المجتمع العراقي في العصر العباسي بحث منشور في كتاب (حضارة العراق)،جـ 5،بغداد، د.ت ، ص74.

(2) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة ، ص272

(3) الجونة : سليلة مستديرة مغشاة اوما تكون مع العطارين . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص118.

(4) التنوخي ، نشوار المحاضرة و اخبار المذاكرة ، جـ 2 ، ص167.

(5) مسكويه ، تهذيب الاخلاق ، ص50.

(6) الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى (ت 325 هـ) ، الموشي او الظرف و الظرفاء ، تحقيق كمال مصطفى ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1953 ، جـ 2 ، ص167.

(7) المأدبة : اسم لكل طعام دعيت اليه الجماعات , ينظر : الجاحظ ، البخلاء ، دار صادر بيروت ، 1980 م ص279.

(8) الدعوة : حضور الشخص من خلال دعوة من شخص اخر ، ينظر : الجاحظ ، الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1979 ، رسالة البقال ، ج 2 ، ص365 .

(9) الاعذار : الطعام الذي يقدم في مناسبات الختان ، ينظر : الجاحظ ، البخلاء ، ص299.

(10) الوكيزة : وهو طعام البناء ، كان الرجل يطعم من يبني له ، و اذا فرغ من بنائه تبرك باطعام اصحابه و دعائهم . ينظر : الجاحظ ، البخلاء ، ص300

أما طريقة تناول الطعام فله تسميات متعددة ايضا منها اللكام[1] ، والمصاص[2] ، والمسوغ[3].
هذا و قد انتشرت في العصور العباسية عدد من الاطعمة و الاشربة وعلى الوجه الاتي:

الاطعمة:

الخبز: وهو المادة الغذائية الاساسية في حياة الناس ، وبه تدوم الحياة اليومية، وتبين لنا المصادر التاريخية بأن صناعة الخبز كانت واسعة ومنتشرة وخاصة في بغداد ، وهناك من يستسيغ اكل الخبز ويفضله على بقية الاطعمة الاخرى.
ويدخل في صناعة الخبز السميذ،والحنطة،والشعير، واجوده ما يعرف" بالخشكار "[4] ، والخشكنانج[5]، حيث ان الخبز انواع من حيث المادة المصنوع منها. فأول هذه الانواع و اجودها هو خبز الحنطة[6] ، وكان يصنع بأشكال مختلفة منها الخبز الحواري او السميذ وهو المصنوع من الطحين الابيض المنقى من النخالة[7]، والخبز

[1] اللكام : الذي فيه اللقمة ، ثم يلكمها باخرى قبل اجادة مضغها أو ابتلاعها ، ينظر : الجاحظ ، البخلاء ، ص110.
[2] المصاص:الذي يمص جوف قصبة العظم , ينظر :الجاحظ ، البخلاء ، ص110.
[3] المسوغ : الذي يعظم اللقمة ، فلا يزال قد غص و لا يزال يسيغه بالماء , ينظر : الجاحظ ، البخلاء ، ص111.
[4] الخشكار : الخشكر ما خشن من الطحن , ينظر: شير، أدي ، الالفظ الفارسية المعربة ، بيروت ، 1908 ، ص55
[5] الخشكنانج : كليجة . ينظر : البغدادي ، محمد بن الحسن بن محمد عبد الكريم الكاتب(الف كتابه سنة 623هـ) ، الطبيخ ، تحقيق دواد الحلبي ، بيروت ، د . ت ، ص 79 . ينظر ايضا ، فهد، العامة ببغداد ، ص 128
[6] الحبشي ، أبو عبيد الله محمد (ت 782 هـ) ، البركة في فضل السعي و الحركة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، 1308 هـ ، ص237
[7] م . ن ، ص237

الخشكار، وهو الذي يخبز من الطحين الخشن غير المنقى من النخالة[1] وبذلك ياتي بالدرجة الثانية، ولكنه من الناحية الصحية كان يعد غذاء جيد يوافق كل الامزجة[2].

ومن انواع الخبز الاخرى فهي خبز الدخن ، وخبز الذرة ، وخبز الارز، وخبز الشعير[3].

كان لكل فئة من فئات المجتمع البغدادي طعامها الخاص بها فقد ضرب الزهاد والصوفية ارقاما قياسية في صبرهم على الطعام او اكتفائهم بالقليل من النزر منه، فكانوا يأكلون خبز الحنطة(الخشكار) وخبز الشعير[4]،وقد شاركهم في ذلك بعض الفقهاء[5]،فكان الخبز هو اساس غذائهم دون الاطعمة الاخرى.

اما العامة فقد كان غذائهم يتكون من الخبز، واللحم، والدبس، والزعفران[6]، والخل[7]، وكان طعام الفقراء و ابن السبيل والمساكين الذين اتخذوا من المساجد والربط بيوتا يأوون اليها فقد كانوا يأكلون مما يتصدق به الناس عليهم في المناسبات[8]،بينما كان الاغنياء يأكلون الخبز السميذ و الحواري ، فضلا عن تفننهم في صناعة انواع اخرى من الخبز كأن تكون على هيئة القناني او على هيئة اقراص او رقاق و يحشونها باللبن او العسل والسكر واللوز مع اضافة المطيبات له، وهذه الانواع من الخبز كانت تسمى على اسم مخترعها او المعمولة له[9].هذا وقد كانت هناك رقابة من المحتسب على الخبازين، وشروط عامة يجب أن يتصف بها الخباز وأن يتبع مراقبتها المحتسب، ومنها أن " يشد الخباز على جبينه عصابة بيضاء

---

(1) **الحبشي ، البركة في فضل السعي والحركة ،ص237؛ شير،الألفاظ الفارسية المعربة ، ص55**

(2) **ابن البيطار ، ضياء الدين ابو محمد الحسن (ت 646 هـ) ، الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية ، ط 3 ، تحقيق محمد عبد الله الغزالي الاسكندري ، مطبعة كرم ، دمشق د . ت ، ص165 ، فهد ، العامة ببغداد ، ص125**

(3) **ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص146؛ و المنتظم ، جـ 9 ، ص11 سنة 477 هـ**

(4) **م . ن ، ص146 ؛م . ن ، جـ 9 ، ص11 ، سنة 477 هـ**

(5) **فهد، العامة ببغداد ، ص99**

(6) **الزعفران : نبات له صبغة صفراء . ينظر الجواليقي ، ابو متصور موهوب بن احمد (ت540 هـ)، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1361 هـ ، ص291.**

(7) **ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص 129 ؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص 100.**

(8) **ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 7 ، ص 162 . الحوادث الجامعة ، ص 69**

(9) **فهد ، العامة ببغداد ، ص 125**

لئلا يعرق فيسـقط منه شـيء في العجين، ويحلق ذراعه لئلا يسـقط منه في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده شـخص في يده مذبة يطرد عنه الذباب"[1]،وإذا أراد صاحب المخبز من شوي السمك ، فعليه أن يكون له مخبزان " احدهما للخبز والأخر للسمك ، و يجعل السمك بمعزل عن الخبز ، لئلا يسيل شيء من دهنه على الخبز "[2].

اللحوم:

تعد اللحوم من الأطعمة المهمة في الوجبات الغذائية تبعا إلى طعامها و فائدتها ، و كانت لحوم الدجاج شائعة في العصور العباسية ، حيث أكثر المترفون من تناول لحوم الدواجن و استخدموا " بطوط كسكرية و دجاج سمنة هندية و فراخ مسمنة"[3].

وتبين لنا المصادر التاريخية بأن الخلفاء و عامة الناس كانوا لا يرغبون في شيء من اللحم كرغبتهم في الدجاج و هم يقدمونها على البـط......والدراج[4]، وذلك لان الدجاج أكثر اللحوم تصـرفا لأنها تطيب شـواء ، ثم حارا و باردا ، ثم تطيب ، في الهرائس ، و تطيب طبيخا وان قطعتها من اللحم دسـم ذلك اللحم ، وتصـلح للحشاوي"[5] كذلك من الأكلات المحببة في العصور العباسية ، هي لحوم الأسماك "و شيئان لا تشبع منهما بغداد "السمك والرطب"[6].

هذا وقد كانت هناك رقابة من المحتسـب وأفضـل ما يقدم السـمك للناس بان يكون " مشويا على النار تحت الطبق ، حتى لا يحتاج من الحطب إلى كثير"[7]،وأفضـل أنواع السمك آنذاك هو الشبوط المعروف بعذوبة لحمه عند الأكل[8].

---

[1] الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص22.

[2] م . ن ، ص22.

[3] الازدي ، محمد بن احمد أبي المطهر (توفي في منتصـف القرن الرابع الهجري) ، حكاية أبي القاسـم البغدادي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1902 ، ص39.

[4] الجاحظ، الحيوان ، حـ 1 ، ص233.

[5] م . ن ، جـ 2 ،ص249.

[6] التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد الواسطي البغدادي (ت نحو 400 هـــ)، الامتاع و المؤانسة ، شرح احمد امين ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، جـ 3 ، ص84.

[7] الجاحظ ، البخلاء ، ص 184

[8] م . ن ، ص 142

واهتم العباسـيون بتناول لحوم الماشـية والبقر حتى أصـبح " مدمن اللحم كمدمن الخمر "[1]وان اهتمامهم الكبير باللحوم ، فضـلا عن طعمها المميز ، فكان يعد أقوى الأغذية كلها حيث يقوي البدن[2].

ومن أغذية الإنتاج الحيواني ، الحليب وعملوا من مشتقاته الاجبان، والألبان[3]،وكذلك البيض . وأصـلحه للناس بيض الدجاج والدراج وبعدها بيض البط ، على انه رديء للغذاء ، وعندهم إن بيض العصـافير والطيور ، فإنما يصـلحان على سـبيل الدواء[4]. هذا وقد اهتم المجتمع العباسـي بالعسـل ، لطعمه المميز. ولكثرة فوائده الصـحية، ويجمع في الخريف[5]،ومن خواص العسل إن كل شيء يتسارع الفساد إليه إذا تركته فيه يبقى بحاله ولا تتعفن ولا يؤثر فيه الفساد[6].

الخضروات:

انعم الله سـبحانه وتعالى على العراق بمسـاحات واسـعة من الأراضـي الزراعية التي تدخل منتوجاتها في الغذاء اليومي والأسـاسـي للإنسـان ، فعليه نجد تنوعاً في الخضـروات آنـذاك وعلى الرغم من نـدرة المعلومـات التـاريخيـة عن دور تلـك الخضـروات في أطعمة الناس ، إلا إن هناك إشـارات واضـحة لهذه المادة الغذائية المهمة.

ومن تلك الخضـروات الباقلاء التي كان طبخها شـائعا لدى الناس في المجتمع البغدادي[7]وكذلك البصل الذي يعد من الخضروات المهمة والأساسية في الطبخ حيث يذكر بان أكل البصل يؤدي إلى تقوية العصب ، وكذلك تقوية الذهن[8].

فضلا عن اللوبيا[9] والباذنجان[10]،وغيرها من الخضروات الأخرى .

---

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ 8 ، ص 17

(2) ابن سـيار ، أبو محمد بن علي بن عطيه الحارثي (ما زالت سـنة وفاته مجهولة) ، الطبيخ ، مخطوطة مصورة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم (1683) ، ورقة رقم (14)

(3) ابن سيار ، الطبيخ ، ورقة رقم (51)

(4) م . ن ، رقم (19)

(5) الجاحظ ، سلوة الحريف بمناظرة الريح والخريف ، دار الرائد العربي ، بيروت، 1982 ، ص 43

(6) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د . ت ، ص 406

(7) البغدادي ، الطبيخ ، ص 34 ؛ فهد،العامة ببغداد ؛ ص 112 .

(8) الجاحظ ، الحيوان ، جـ 3 ، ص 359

(9) م . ن ، جـ 3 ، ص 220

(10) ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص 66

الفواكه:

انتشرت أنواع عديدة من الفواكه في المجتمع البغدادي خلال العصر العباسي آنذاك ، ولأهل بغداد ميول واضـــحة نحو تناول الرطب[1]، اذ عد التمر من الوجبات الغذائية المهمة ، فضـــلا عن أنواع أخرى من الفواكه مثل التفاح ، والرمان ، والعنب[2] وغيرها من الفواكه .

الحلويات:

عرف البغداديون عدة أنوع من الحلويات ، واســـتخدموها في موائدهم ومآكلهم ومن بين الحلويات العباسـية المعروفة هي القطائف[3]،التي تميزت بارتفاع نسـبة السـكر والدسم فيها . ومن الحلويات البغدادية الأخرى الخشكنانج أو ما تسمى في أيامنا هذه بــــ(الكليجة)[4]، والخبيص بأنواعه وهو يصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز ثم يضاف إليه بعد الطبخ شيء من السكر أو العسل[5]، والزلابية[6]، والسنبوسج[7] ، والفطائر[8] ، واللوزينج[9] ، والفالودج[10] التي تعد من أشـــهر أنوع الحلوى وأكثرها قبولا لدى الناس على اختلاف مستوياتهم. وهناك الكثير من الحلويات التي تشتهر بها المطابخ البغدادية والتي تختلف بألوانها وتركيبها بحيث" لا يمكن ضبطها بصفة ولا عيار "[11].

الاشربة :

يعد الماء أهم الاشـــربة في المجتمعات البشـــرية عبر التاريخ ، وذلك لأنه لا يمكن الاستغناء عن هذه المادة الحيوية في حياة الناس ، ويزداد الطلب على شرب الماء في

---

(1) التنوخي ، نشوار المحاضرة حـــ4 ، ص 39 حيث شوهد مناديا (فيها ينادي على شراء الرطب في إحدى الأسواق)

(2) فهد، العامة ببغداد ، ص 121

(3) م.ن ، ص 130

(4) م . ن،ص128

(5) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 40

(6) م . ن ، ص 40

(7) البغدادي ، الطبيخ ، ص 58 ؛ فهد،العامة ببغداد، ص129

(8) البغدادي ، الطبيخ، ص 80

(9) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ، ص 49 ، واللوزينج : من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز

(10) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ، ص 55 ، يذكر (الفالوذ):حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ويقال له الفالوذق ، الفالوذج ، الفالودج وهو مأخوذ من فالوذة بالفارسية، هامش رقم(2).

(11) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص40.

فصل الصيف حيث ترتفع درجات الحرارة ، ولذلك وجدوا الوسائل المهمة لتبريد المياه والاشربة الأخرى.

هنالك عدة وسائل لتبريد الاشربة ومنها الكيزان التي كانت تعلق على أعلاها في الحائط[1]،وان هذه الكوز تصنع من الخزف وهي ليست بصغيرة فيسقى بها ولا كبيرة فيسقى منها ، وهي ضيقة الفم ويمنع ذلك من النظر إلى القذى فيها، وثخينة لا يصل إليها الهواء ، وثقيلة على اليد[2]،وكان هذا الكيزان هي احد الوسائل الطبيعية في تبريد الاشربة ، فضلا عن ذلك فلقد استخدموا الثلج لأغراض التبريد، وكان"الثلاجون ينتهزون فرصة سقوط البرد فيجمعونه ويكبسونه في مثالج تحت الأرض معدة لذلك ، حتى إذا اقبل الصيف يغلونه بثمن عال"[3]، ولارتفاع أثمان الثلج كان حصة كبار رجال الدولة والأغنياء الحظ الأوفر في اقتناء الثلج واستعماله لتبريد الاشربة ، حتى أشارت المصادر التاريخية إن الماء المثلج يوضع أمام كبار رجال الدولة على الرغم من ارتفاع تكاليفه[4].

هذا وتأتي الألبان سواء كانت من الإبل أو البقر أو الأغنام في المرتبة الثانية بعد الماء[5].

ثم العصائر مثل عصير الفواكه المستخرج من الجزر، والتفاح والتمرهندي ، والأجاص ، والسفرجل ، وعصير السكنجبيل[6]،وعرق السوس[7] وعرف البغداديون من الاشربة الخمر والنبيذ والفقاع[8]،والخمر ما اتخذ من عصير العنب خاصة ، أما

---

[1] التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 2 ، ص 319

[2] الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم حسين محمد (ت 502هـ) ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1961 ، جـ 4 ، ص 379

[3] عواد ، ميخائيل ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981 ، ص 20

[4] الصابيء ، الوزراء ، ص 140

[5] فهد، العامة ببغداد ، ص 133

[6] فهد العامة ببغداد ،ص133

[7] ابن الاخوة ،معالم القربة في احكام الحسبة ،ص115 ومابعدها

[8] الفقاع : وهو شراب منعش مصنوع من السكر الأبيض بعد تذويبه بالماء ، والماء الورد ، وتطيبة بالمسك وتبريده بالثلج ، يشربه الناس بعد الطعام . ينظر:الغزولي،مطالع البدور في منازل السرور، جـ 2 ، ص 88 ؛ فهد، العامة ببغداد ، ص 133

المتخذ من الزبيب والتمر وما شـــاكله فإنما يقال لـه نبيذ[1].ورأى البعض بان المتخصص من الزبيب والتمر وما لم يشتد لا يسمى نبيذا ، كما انه ما لم يعمل من عصير العنب حتى يشتد لا يسمى خمرا[2].

ب – الملابس:

مثلما اهتم الإنسان في تلبية حاجاته من المأكل اهتم كذلك في طريقة اختياره للملابس كل حسب إمكانياته المادية ، فكانت ملابس رجال الحكم والأغنياء تختلف عن ملابس العامة وملابس الفقراء وغيرهم من فئات المجتمع الأخرى كالموظفين والقضـــاة ، والشرطة ، والجند ، والكتاب ، والمؤذنون ، وخطباء المساجد.

وكانت ملابس العامة أيضـــا تختلف باختلاف فئات الناس ، فكان لكل فئة نوع خاص من الأقمشـــة التي ترتديها،فقماش الزهاد و الفقراء يختلف عن متوســطي الحال ، وكذلك تختلف الملابس حسب مواسم السنة ، هذا وقد كانت الملابس على ثلاثة أنواع من حيث الغاية ، فمنها للرأس ، وبعضـها للبدن ، والبعض الأخر للأرجل ، يضـاف إلى ذلك الحلي التي كان الناس يرتدونها للزينة .

1- ملابس رجال الحكم والأغنياء:

اختص رجال الحكم والأغنياء بزي معين عليه مسحة الفخامة والروعة والترف البالغ ، فضـــلا عن التعقيد والتنوع في مفرداته وألوانه ، ونوعية القماش المصـــنوعة منه الملابس ، فقد تفننوا في حياكتها وتطريزها ، وتزيينها بالذهب والجواهر، وكان للملابس أصـول ، وقواعد من حيث نوعها ، وألوانها وأوقات لبسـها.وبصـورة عامة ارتـدى رجـال الحكم ، القلانس[3]،ووضـــعوا العمـائم فوقهـا، وزينوهـا بجوهرة

---

[1] القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 2 ، ص 161

[2] ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، جـ 8 ، ص 65 ،66.

[3] الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ 6 ، ص 296 ؛ الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص 81

غالية،وكذلك الطيالســـة[1] والأقبية[2]، والســـراويل[3]، والجوارب[4]. وغيرها من الألبسة ، كما لبسوا الحرير[5] والديباج[6]،والأقمشة الموشاة بالذهب والفضة[7]،ومن ملابس الخلفاء أيضـــا ، الدراعة[8]،الديباج المفردة[9] ولخضـــراء المصـــنوعة من الخز[10] وكذلك الجبة السوداء[11]،وهي دليل على الحشمة والوقار،كما لبسوا الجبة الخضـــراء المصـــنوعة من الحرير،أو الخز، وهي غالية الثمن[12]،وتكون عادة عريضـــة الأكمام والجيوب[13]،وزادوا على هذه ألألبســـة لبس السـلســـلة الذهبية ، المرصعة بالجواهر[14].

وكان لباس الخلفاء في المواكب الرسمية والاحتفالات يشمل على العمامة السوداء، أو القلانس الرصافية[15]،والقباء الأسود والبنفسجي من الخز يصل إلى الركبة وكان هذا القباء مفتوحا عند الرقبة ، فيظهر القفطان زاهيا من تحته ويتمنطق بمنطقة مرصـــعة

---

(1) الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ 2 ، ص 342 .

Dozy (R.PP.A.) Dectionnare Details Des Noms , Des Vectements , chez les Arabs Amsterdam1845 **Lyden**1904, P254,258

(2) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص 91

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 144

(4) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق احمد زكي باشا ، مطبعة الأميرية القاهرة ، 1914 ، ص 53

(5) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (430هـــ) ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مطبعة البابي الحلبي 1938م ، ص 17

(6) الشابشتي ، الديارات ، ص 130

(7) الوشاء ، الموشى ، ص178

(8) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ 7 ، ص80،314.

(9) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 2 ، ص 167.

(10) الشابشتي ، الديارات ، ص29.

(11) البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت 320هــــ) ، المحاســن والمســاوئ ، دار صـــادر بيروت ، 1960م ، ص499.

(12) الشابشتي ، الديارات ، ص 29 ويذكر ان العامة لبست الجبة

Dozy (R.P.A)Dict vet. Ar. P 109

(13) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 184

(14) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص 67

(15) نسبة إلى منطقة الرصافة وهي الجزء الغربي من بغداد

بجوهرة ويتشـــح بعباءة ســـوداء ، ويلبس خفا احمر ويضـــع على كتفيه بردة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند جلوسه في المواكب وبيده قضيب الخلافة[1].

2- ملابس الفقهاء والقضاة :

ارتدى الفقهاء والقضاة القلانس ، والطيلسان الأسود ، والدراعة السوداء[2]، والقلانس المستديرة التي ظلت مستعملة ، حتى منتصف القرن الرابع الهجري ثم أبدلت العمائم السود المصقولة[3]،وكانوا يلبسون الصوف الأبيض ولا يلبسون الحرير ، أو الملونة ، إلا في بيوتهم[4].

هذا وقد كانت الدولة تمنح كبار موظفيها الملابس التي تتناســب ومراكزهم الوظيفية ومنها الطرحة التي تخلع على قاضــي القضــاة عند تقليده[5]، فعند تقليد احمد بن علي البخاري سنة (599هــــ / 1202م) خلعت عليه " خلعة سوداء وطرحة كحلية"[6] فالفقهاء والقضاة كانت لهم ألبستهم الخاصة التي تميزهم في المجتمع[7].

وكانت رفع الطرحة عن القاضــي من علامات عزله ، فلما اقر الفقهاء بفسـق قاضــي القضــاة العباسـي سـنة (600هـــــ / 1203م) أمر الوزير حاجب المجلس " برفع طرحته"[8] فجاذبه قاضــي القضــاة وقال" هذه ملكي مالك لها"[9]، كما يرفع القضــاة طرحاتهم عندما تعلن الدولة الحداد ، تصــدر الأمر بان " يرفع القضــاة والمدرسـون الطرحات والعدول الطيالسة"، فعندما توفي الخليفة المستنصر بالله سنة 640هــــ " رفع القضاة والمدرسون والمشايخ الطيالس والطرحات"[10].

---

1) الصــــابيء ، رســـوم دار الخلافة ، ص 90 ، ص 91 والقباء ثوب يلبس فوق الثياب يســميه أهل العراق (الزبون).

2) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ 2 ، ص 390

3) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص 90

4) رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص 48

5) ألعبيدي ، صلاح حسين ، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي ، بغداد ، 1980 ، ص 106

6) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 114

7) للمزيد عن أزياء الفقهاء والقضاة ينظر : المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جــ 1 ، ص 390 . ألعبيدي ، الملابس العربية الإسلامية ، ص 94 ، 106 ، 237 ، 238 ، 272 ، 273

8) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 115

9) م . ن ، جـ 9 ، ص 115

10) الحوادث الجامعة ، ص 200.

3- ملابس العامة:

أما لباس العامة فكان يشمل العمامة التي ورثها العرب عن أبائهم قبل الإسلام وورثها المجتمع البغدادي ، فكان لا يجوز خلع العمامة إلا في مناسك الحج[1].

ومن أكثر العمائم انتشارا هي العمائم السوداء التي تلبس مع الملابس الرسمية في الاحتفالات والمواسم ، أما العمائم ذات اللون الأبيض فكانت أكثر انتشارا منذ القرن الخامس الهجري[2].

كان فقراء العامة وبضمنهم الصوفية، يلبسون الخرق كعمائم[3]، أما الفلاحون فارتدوا عمائم الفوط الملونة[4]،وهي قطعة من القماش غليظة الصنع[5]، يكون قماشها من الصوف كانت تجلب من بلاد السند[6].

فالناس إذن ارتدوا العمائم ابتداء من الخليفة ونزولا إلى الفقهاء ثم العامة بما فيهم البقالون والأعراب واللصوص ، إلا إنهم اختلفوا في نوعية العمامة[7].

كما ارتدى العامة القلنسوة ، وهي تختلف في أنواعها فمنها الطاقية [8]، والقلنسوة الدورقية[9]،والقلنسوة الدنية[10]،وهي تختلف أيضا باختلاف أماكن صنعها كالقلانس السوداء الشاشية ، نسبة إلى بلاد الشاش ، والقلانس الرصافية ، نسبة إلى الرصافة ببغداد، وكانت ألوانها أما أن تكون بيضاء أو سوداء ، والقلانس كالعمائم من حيث

---

[1] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 251

[2] فهد، العامة ببغداد ، ص 145

[3] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، 198

[4] ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص228.

[5] ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ) ، المخصص ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1316-1321هـ ، جـ 4 ، ص 72 . ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 7 ، ص 373

[6] ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 7 ، ص 373

[7] الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ 3 ، ص 114 . فهد، العامة ببغداد ، ص 145

[8] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 116 ، 117 والطاقية هي ما نسميه اليوم بالعرقجين

[9] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 4 ، ص 6

[10] فهد، العامة ببغداد ، ص 146

كونها لباسا مشتركا بين العامة ورجال الحكومة[1].أما ملابس البدن التي ارتداها العامة فهي المدرعة وهي نوع من أنوع الجبب التي تكون مصنوعة من الصوف بصورة خاصة[2]،وكان عمال الحمامات يلبسون التبان ، وهي سراويل صغيرة تستر العورة[3]،وكان لبس السراويلات شائعا بين العامة جميعها نساء ورجالا وخاصة السراويلات البيض المذيلة[4]،وكان الفلاحون يلبسون الثياب الغليظة من القطن[5]،كما إن الجند ارتدوا الأقبية[6]،وقد شاركهم الناس في لبسها[7]،أما الحمالون والخدم فقد اتزروا بالفوط[8].

ومن ملابس العامة أيضا الازار إو(المئزر)[9] وهي قطعة قماش كانت تعقد أو تلف على وسط الإنسان[10]،وقد اقتضت السنة النبوية أن لا يزيد طول الازار عن الكعبين بل أن يكون محصورا ما بين الكعبين ومنتصف الساق[11]،ومن الألبسة الأخرى التي ارتداها العامة هو الطيلسان وهو عبارة عن ثوب خال من التفصيل والخياطة ، مربع الشكل يوضع على الرأس فوق العمامة أو القلنسوة . ويلبس فوق الملابس للتجمل به ، وكان الناس يتهادون به ، كما كان يعطي كخلعة من دار الخلافة ، أما ألوانه فأما أن يكون ابيض أو اسود أو اخضر[12].

---

[1] **التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 1 ، ص 27 ، 50**

[2] **ابن سيده ، المخصص ، جـ 4 ، ص 36 ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 2 ، ص 167 ؛ فهد، العامة ببغداد ، ص 149**

[3] **ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 13 ، ص 72**

[4] **ابن المنظور ، لسان العرب ، جـ 11 ، ص 334 ، التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 2 ، ص 167**

[5] **ابن الطقطقي ، الفخري ، ص 228**

[6] **التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 2 ، ص 167**

[7] **الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص 92**

[8] **ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 7 ، ص373**

[9] **ابن سيدة ، المخصص ، جـ 4 ، ص 76 ، ص 77 . الزبيدي ، تاج العروس ، جـ 3 ، ص 11**

[10] **جواد ، مصطفى ، أزياء العرب ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 8 ، لسنة 1964 ، ص 5**

[11] **الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 9 ، ص 385 . ابن منظور ، لسان العرب ، جـ 4 ، ص 17**

[12] **الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ 2 ، ص 342 . فهد، العامة ببغداد ، ص 155**

أما الجبة فهي من ملابس العامة أيضـــا ، وهي تختلف عن الطيلســـان في كونها ثوبا مفصلا ومخيطا يحيط بالبدن وله كمان[1]،وكانت تلبس فوق القميص[2].

4- ملابس النساء :

أما ملابس النساء فكانت بصورة عامة تشمل الرداء والإزار ، والسروال , الوشاح ، التي كانت تضعه المرأة على صدرها[3].

في حين كان نساء القصور يلبسن الديباج الموشاة بالذهب والفضة والجواهر. وثياب الخز والابريســم[4]،حيث كانت المرأة تتفنن في اختيار ألوان ثيابها ، فلا تلبس الثياب الصـــفراء والســـوداء والخضـــراء ، ما عدا اللاذ[5]، والحرير ، والقز ، والديباج ، والموشـــى ، والخز[6] كما تفننت في ملابس الرأس ، فكانت المقنعة التي تغطي بها المرأة رأسها ذات لون اسود[7]، والعصابة التي تعصب بها رأسها تضع فيها الجواهر ، والأحجار الكريمة[8]، أما النقاب الذي تضعه على وجهها فكان عدة ألوان[9]، وكان هذا النقاب خفيفا شفافا او مخرما يرى الوجه من خلاله.

5- ملابس أهل الذمة:

كان لأهل الذمة ملابس خاصـــة تميزوا بها عن المســـلمين عامة ، فاليهود ارتدوا البراطيل الطويلة . في حين اتخذ النصـــارى البرانس أول الأمر ، ثم لبســـوا القلانس الطويلة[10]،كما لبس أهل الذمة الخمار[11]،وقد اجبروا على لبس الطيالسـة العسلية ،

---

(1) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 184
(2) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 1 ، ص 95
(3) فهد، العامة ببغداد ، ص 167
(4) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 128
(5) الوشاء ، الموشى ، ص 185 نوع من الحرير الصيني الاحمر
(6) الوشاء ،الموشى ، ص 185
(7) ابن سيدة ، المخصص ، جـ 4 ، ص 38
(8) الوشاء ، الموشى ، ص 116
(9) ابن جبير ، الرحلة ، ص 333
(10) متز، الحضارة الإسلامية ، جـ 1 ، ص 102
(11) الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ 1 ، ص 41

والزنانير ، والقلانس المخالفة لقلانس المسلمين[1]. كما ارتدوا العمائم الملونة ، تميزا لهم عن المسلمين وكانوا يسمون ذلك بـ(الغيار)[2]،فألزم اليهود بلبس العمائم الصفر ، أما نساء أهل الذمة فارتدوا الأزر العسلية وان تخالف المرأة بين لوني خفيها ، فيكون واحد اسود والأخر ابيض ، وان يجعلوا في أعناقهم أطواقا من حديد إذا دخلن الحمامات ، كما ألزم النصارى بتعليق الصلبان على صدورهم[3].

6- ملابس الحداد :

تميزت ملابس الحداد عن ملابس الأفراح أو التي يرتديها الناس يومياً بكونها ذات لون اسود ، فإذا ما توفي الشخص سواء كان رجلاً أم امرأة لبس أهله السواد[4]، وربما تكون هذه الملابس اقل من ناحية التكاليف من الملابس الأخرى ، ويبقى ارتداء ملابس الحداد لمدة شهر أو قد تصل إلى ستة أشهر[5].

7- لباس القدم:

أما ملابس القدم فيشمل ، النعال ، والخفاف ، والجوارب ، وقد اختلف العامة في نوعية الجوارب التي يرتدونها فبعضها مصنوعة من الخز والمرعزي[6]،وبعضها من القز[7]، وكان هذا لباس الأغنياء ، أما الفقراء فكانت الجوارب التي ارتدوها مصنوعة من القماش الرخيص كالصوف أو الكتان.وكانوا ينتعلون فوق الجوارب النعال ، سواء كانوا صغارا أم كبارا إلا إن نعال الصغار والنساء امتازت بكونها" صرارة"[8] أي إنها تصر عند المشي. وقد ارتدى الخلفاء الخفاف الحمر[9]،واتخذ

---

[1] فهد، العامة ببغداد ، ص 148

[2] الحوادث الجامعة ، ص 95

[3] م . ن ، ص 96

[4] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 395

[5] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 386 ؛ فهد، العامة ببغداد ، ص 250

[6] المرعزي : هو الزغب الذي تحت شعر العنز ، وقيل اللين من الصوف ، ينظر الجواليقي ، الكلام المعرب ، ص 307 ، ص 308

[7] القز : ثياب صوف كالمرعزي ، وربما خالطها الحرير ، ابن سيدة ، المخصص ، جـ 4 ، ص 68 ، ص 73

[8] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ،ص 265

[9] التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ 8 ن ص 27 . رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص 67

نساء الخلفاء النعال المرصعة بالجواهر وهي تختلف عن لباس نساء العامة من حيث قيمتها وتكاليفها.

8- أدوات الزينة :

اهتمت المرأة بأدوات الزينة كاهتمامها باختيار الملابس ولم يكن ذلك مقصـــورا على نســـاء الخلفاء بل كان شـــائعا لدى نســـاء المجتمع عامة بما فيهم الجواري الذين دائبوا على إظهار زينتهن بغية إظهار جمالهن فتعلم منهن ســـائر نســـاء المجتمع ، هذا وقد امتلأت أســـواق بغداد بشـــتى صـــنوف أدوات الزينة والتجميل من عطور وأصـــباغ ودهان وملابس وغيرها ، فكانت الأدوات التي تســـتخدمها المرأة تشـــمل الأمشـــاط والملاقط ، والمقابض التي تســـتخدم لتنظيف باطن القدم[1]، وكذلك الحناء وهي نوع من الأصباغ التي كانت تستخدمها النساء لتخضب بها أطراف الأصابع أو الأرجل[2]. والشناذر[3] التي تحمر بها الخدود أو تبيضها وصبغ الشفاه[4]،وخضاب الشيب،وهو صبغ اسود يصبغون به الشيب إذا ظهر[5]، أما الدهان فكانت تستخدم لتحسين الشعر ســـواء للرجال أم للنســـاء[6]،ومن أدوات الزينة الأخرى المرايا التي كان اســـتخدامها لدى النســـاء أكثر مما هو لدى الرجال وتكون مصـــنوعة من البرنز أو الصـــلب على شكل قرص مستدير يتفاوت قطره ما بين 8-12 سنتيمتراً وله أحيانا مقبض مصنوع من مادة القرص نفسـها ، ولهذا القرص وجهان وجه مصـقول يعكس صـورة الأشـياء ووجه عليه زخارف بارزة على شـكل آدمية أو حيوانية أو نباتية أو هندسـية ، وكانت هذه المرايا تصـــنع من الذهب او الفضـــة[7]،وربما كانت هذه الأنواع تمتلكها نســـاء القصـور ، أما الكحل والمكاحل فهي أيضـا من أدوات الزينة التي يسـتخدمها النسـاء

---

(1) **ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص 226**

(2) **الصابيء ، الوزراء ، ص65.**

(3) **ابن الجوزي ، أخبار الظراف ، ص 152 والشناذر : صبغ يستخرج من نبات احمر يصبغ اليد إذا لامسته . ينظر : الفيروز آباذى ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـــ) القاموس المحيط ، القاهرة ، 1913م ، جـ 2 ، ص 64**

(4) **فهد، العامة ببغداد ، ص 269.**

(5) **الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 258.**

(6) **ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص 647.**

(7) **فهد،العامة ببغداد، ص270 هامش رقم(119).**

والرجال على حد سـواء ، فقد ذكر إن النبي (صـلى الله عليه وسـلم) كان يسـتعمل الكحل للتجمل كما كان يستخدم المشط للغاية نفسها[1].
هذا فضـلا عن العطور التي استخدمها الناس في بغداد فهي من الأمور المكملة لزينة الشـخص ورونقـه و من أشـهر العطور التي اسـتعملت في بغداد هي: المنشـور[2]،والبنفسـج[3]،والنينوفر[4]. أما الحلي فكانت تشـمل القلائد والخلاخل ، والأساور ، والأقراط والدلايات التي كانت على شكل حيوانات أو أهلة تزينها نقوش زخرفية مختلفة[5]، فضـلا عن الخواتيم الذهبية[6]، وخواتيم الياقوت[7]،وقد شـارك الرجال النساء في لبس الخواتم وحتى أحيانا في لبس القلائد .

جـ - السوق :

عندما شرع أبو جعفر المنصور في بناء مدينة بغداد (145 – 149هـ / 762 – 766م) جعل الأسواق داخل المدينة وكان موضعها عند طاقات المدينة الأربعة عند كل طاق سوق خاصة[8]، ولم تزل على ذلك الحال حتى اخذ بنقلها سنة (157هـ / 755م) إلى ظاهر المدينة عند باب الكرخ[9].

أ- أسواق الكرخ والجانب الغربي:

أصبحت الكرخ السوق العظمى في بغداد وكان طولها من قصر وضـاح إلى سوق الثلاثاء يبلغ فرسـخين وعرضـها من قطيعة الربيع إلى دجلة فرسـخا . وقد نظمت

---

[1] ابن الزبير ، القاضـي الرشـيد أبو الحسـين احمد (عاش في القرن الخامس الهجري) ، الذخائر والتحف ، حققه محمد حميد الله ، الكويت ، 1959م ، ص8.
[2] وهو نبات ذو زهرة زكية الرائحة ؛الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص 239.
[3] الوشاء ، الموشى ، ص 177 ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ 11 ، ص 227
[4] النينوفر أو النيلوفر : نوع من الرياحين ينبت في المياه الراكدة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس، جـ3 ، ص 580
[5] فهد، العامة ببغداد ، ص 274
[6] الوشاء ، الموشى ، ص 162
[7] م . ن ، ص 116
[8] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ 9 ، ص 262
[9] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 7 ، ص 79

أسـواق الكرخ فجعل لكل تجارة شـوارع معلومة ، وصـفوف في تلك الشـوارع وحوانيت لا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف من غير صنفه[1].

وتمتد على جانبي باب الكرخ أسـواق مهمة نذكر منها في الجانب الغربي سـوق الهيثم[2]،وهي سـوق كبيرة كانت مركزا تجاريا عظيما . وبالقرب منها وبالجهة الشـرقية تقع محلة العتابية التي اشـتهرت بصـنع الثياب العتابية وهي من الحرير والقطن بألوان مختلفة وبلغت شـهرتها الآفاق[3].وكانت الأسـواق تزدحم في دروب باب المحول وتتصـل بالكرخ ، ثم أصـبحت في (القرن السـابع الهجري/الثالث عشـر الميلادي) منفردة ذات جامع وسـوق مسـتغنية بنفسـها وتقع غرب الكرخ[4]،وكانت السفن ترسو بشاطئها قادمة من أعالي الفرات وتلقي بحمولتها فيها[5].

ومن الأسـواق المسـتقلة في هذا الجانب (سـوق دار البطيخ) وهي سـوق خاصـة لبيع الفواكه[6]، وسـوق البزازين وكانت تباع فيها الأقمشـة، وسـوق القصـابين ثم محلة أصـحاب الصـابون وسـوق الطعام يباع فيها أنواع الحبوب وسـوق العطارين[7]، وبلغ عدد ما به من الحوانيت ثلاثة وأربعون حانوتا[8]، وسوق دار القطن وسوق الصرافين وسوق الوراقين وكان هذا السوق قائما منذ بداية تأسيس بغداد[9].

---

[1] اليعقوبي ، البلدان ، ص 14

[2] سوق الهيثم : وهي قرب مدينة المنصور نسبة إلى الهيثم بن سعيد بن ظهير.
ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ 3 ، ص 288

[3] ابن جبير ، الرحلة ، ص 211؛ لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص 122

[4] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 5 ، ص 66

[5] الدوري ، عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصـادي في القرن الرابع الهجري، ط 3 ، بيروت ، مركز دراسـات الوحدة العربية ، 1995م ، ص 155

[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2،ص419

[7] لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص.75،76.

[8] ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5،ص212

[9] اليعقوبي، البلدان، ص18، يذكر أن بغداد كانت مركزا لصـناعة الورق الفاخر.ينظر: خصـباك،أحوال العراق الاقتصـادية في عهد الايلخانين المغول، مجلة كلية الآداب ، العدد الرابع،1961، ص39،35. فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير،ص372

وكانت محلة الحربية مركزا للتجار الأجانب وعرفت بهذا الاسم لأنها كانت معسكرا للقائد حرب مولى المنصـــور[1]، وبجوارها السـجن المعروف بسـجن باب الشـام ، وهناك السـوق المعروفة بباب الشـام وتعتبر سـوق عظيمة فيها جميع التجارات والمبيعات ممتدة ذات اليمين وذات الشمال أهله عامرة الشوارع، وهذه السوق تمتد في شـارع عظيم تتفرع منه إلى الجوانب دروب طوال وفي كل درب أهل بلد من البلدان يطلق أسـمهم عليه، وكانت تمتد من باب الشـام حتى الجسـر الذي على دجلة سوق جانبيها حوانيت متقابلة[2] .

ومن أسواق الجانب الغربي سوق الحريم ألطاهري على ضفة دجلة وكانت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي معزولة الكرخ في وسط خراب وعليها سور وأسواق[3]، ثم سوق قصر عيسى نسبة إلى قصر بهذا الاسم تحولت في القرن السابع الهجري إلى محله كبيرة ذات أسواق تسمى قصر عيسى، وسوق قطفتا وهي محلة كبيرة ذات أسـواق مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر معروف الكرخي[4]،ثم سـوق القنطرة الجديدة وبها سـائر التجارات[5] ، ثم قنطرة الشـوك على نهر عيسـى وهي مشـهورة بمحلاتها وبها أسـواق واسـعة للبزازين وغير ذلك مما يباع في هذه الأسواق[6] ،ثم قنطرة الأشنان[7]، وقد ساعدت هذه القناطر على سهولة الاتصال بين أقسام الكرخ[8] ، وباب سوق التمر التي وصفت بابها بالارتفاع الشاهق وقد أغلق هذا السوق زمن الخليفة الناصر لدين الله(575-622هـ/ 1180-1225م) ، وكانت

---

[1] هو حرب بن عبد الله البلخي وقد نسبت إليه محله الحربية، ينظر: البلاذري احمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ) فتوح البلدان،نشره صلاح الدين المنجد ،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية ،1956، جـ2،ص362

[2] اليعقوبي، البلدان، ص16

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ4،ص8

[4] م.ن، جـ4،ص361

[5] اليعقوبي , البلدان , ص13

[6] ياقوت , معجم البلدان , جـ4 , ص407

[7] اشنان : تغسل به الثياب والايدي , ينظر الزبيدي , معجم اسماء النباتات , تحقيق مصطفى الدمياطي , القاهرة , الدار المصرية للطباعة , 1965 , ص12

[8] لسترانج , بغداد في عهد الخلافة العباسية , ص75

صينية الكرخ(ساحة الكرخ) تحتوي على سوق للنخاسين وأسواق أخرى مثل سوق العروس وسوق الرفائين[1].

ب- أسواق الجانب الشرقي :

أهمها سوق الرصافة وكنت سوقا عظيمة جامعة لمختلف أنواع البضائع[2], ثم سوق العطش الشهير في باب المخرم[3], ولم يصبح لهذا السوق أي اثر على الإطلاق في أوائل القرن السابع الهجري[4] ولم يهتد احد إلى موضعه , وسوق خضير وهي معدن طرائف الصين وغيرها من السلع النادرة[5] , ويستطيع المرء أن يجد فيها كل ما يريده من فرو النمر والثعالب حتى عظام الأسماك وزيت كبد الحوت والعنبر والجلود والشمع والسهام والأسلحة ورقيق الصقالب[6], وكان موقعه لا يبعد كثيرا عن مشهد أبي حنيفة قرب الجسر الأعلى ويصل اليها بالزوارق[7], ثم محلة الشماسية في الجهة الشرقية من الرصافة وفيها سوق يحيى نسبة إلى يحيى بن خالد البرمكي اقطعه إياه الخليفة هارون الرشيد (170هـ – 193هـ) وقد ضرب هذا السوق عند دخول السلاجقة بغداد فلم يبق له أثر[8]، هذا وفي المحلات المشهورة في هذا الجانب (باب طاق) ويقع في طرف الجسر المركزي وفي ساحة هذا الباب يتفرع سوقان: سوق الأساكفة وسوق الطيب تباع فيه أنواع العطور وخلف هذين السوقين تمتد أسواق الطعام وفيها حوانيت لجزارين والخبازين وجعل لأهل الذهب سوق خاصة في بناية ضخمة[9] . ثم سوق الحدادين والنجارين وسوق الرياحين وكانت تباع فيه جميع

---

(1) الازدي , حكاية ابي القاسم البغدادي , ص109

(2) الحسيني , محمد صادق , عمران بغداد , مطبعة دار السلام , بغداد , 1930 , ص109

(3) باب المخرم: محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى سميت بهذا الاسم نسبة الى مخرم بن حزن بن زياد بن انس بن الديان ألحارثي ,ينظر ,البلاذري، جـ2 , ص304

(4) ياقوت , معجم البلدان , جـ3 , ص284

(5) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , جـ1 , ص93

(6) هل:ي , الحضارة العربية , ترجمة إبراهيم ألعدوي , مراجعة حسين مؤنس , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , 1956 , ص91

(7) لسترانج , بغداد في عهد الخلافة العباسية , ص172

(8) ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ3 , ص284

(9) الدوري , تاريخ العراق الاقتصادي , ص156

أنواع الرياحين والورود والفواكه[1] , وسوق الثلاثاء الشهير[2] , ذات الأهمية التاريخية وكان سوقها يعقد مرة واحدة من كل شهر في يوم الثلاثاء وبه سميت واستمرت هذه السوق قائمة وكان يباع فيها البز[3], ثم سوق الطيور وخاصة الحمام فقد أولع أهل بغداد بتربيته وكان يتردد على هذه السوق أصحاب الهواية يشترون منها أو يبيعون فيها[4] , وفي هذا الجانب هناك سوق السلاح وسوق الغنم وسوق السلطان[5].

ويبدو أن اسواق بغداد بقيت على حالها حتى مجيء المغول (656هـ /1258م)[6] ,والى جانب وجود الباعة الثابتين من أصحاب الحوانيت والمخازن المستقرين في أسواقهم كان الباعة المتجولين(الطوافون) يطفون في أسواق بغداد وشوارعها وأحيانا يجلس احدهم في طرق السوق ويأخذ في المناداة على بضائعه وقصد بعضهم المساجد واتخذوا منها سوقا لتصريف ما لديهم على المصلين[7].

د – مستوى المعيشة:

كان لمستوى معيشة الفرد دور في حياة المدينة , ويمكن تحديد مستوى المعيشة الفرد من ملاحظة اختلاف الناس في مظاهر حياتهم , من قدرة شرائية وتبدل العملات وطريقة صرف العملة المتداول بها أو النظام النقدي المتبع في البيع والشراء فضلا عن أسعار السلع ورواتب الموظفين التي تعكس بدقة مستوى المعيشة لهذا سنتطرق إلى دراسة النظام النقدي الذي كان متبع في الحقبة التي نحن بصدد دراستها ونحاول إلقاء نظرة على دخل الفرد في المجتمع البغدادي.

1-النظام النقدي المتداول في نهاية العصر العباسي وبداية العهد الأيلخاني:

[1] الحسيني , عمران بغداد , ص109

[2] ابن بطوطة , تحفة النظار ,جـ1 , ص140 ,142 ,يذكر(والجانب الشرقي من المدينة حافل الاسواق عظيم الترتيب اعظم اسواقه يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيه على حدة).

[3] ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ3 , ص283

[4] فهد , العامة بغداد , ص238

[5] ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ2 , ص448

[6] خصباك , احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانين المغول , ص45 ,فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير , ص353

[7] فهد , العامة بغداد , ص79

يبدو أن النظام النقدي المتداول في العراق خلال السنين الأخيرة من العهد العباسي يقوم على أساس مزدوج هو الدينار الذهبي والدرهم الفضي، حيث كانت قيمة الدينار تساوي مثقالا من الذهب ، والدرهم سبعة أعشار المثقال من الفضة ، حتى سنة 651هـ/1253م[1]، وكانت النسبة تتذبذب بين العملتين بين العشرة إلى الأثنى عشر درهما لكل دينار ولكن كانت أكثر استقرار حول الرقم الأخير[2]، ويبدو أن سبب ذلك يعود لكمية الذهب والفضة المتوفرة في السوق ونسبة المعدن الثمين في كل منهما[3].

وفي سنة 632هـ/1234م منع الخليفة المستنصر بالله التعامل بالقراضة أو الدنانير المكسورة التي كانت شائعة الاستعمال في السوق ، وأصدر مكانها دراهم فضية جديدة تساوي كل عشرة منها دينارا واحدا ، وهذا مما أدى إلى طرد العملة الجيدة أي الذهبية من السوق ، فكثرت الدراهم في أيدي الناس وهبط سعرها في السوق فعاد الناس إلى استعمال القراضة من جديد[4].

كان وزن وقطر الدينار العباسي يختلف بين فترة وأخرى، فهناك دينار من عهد الخليفة الناصر لدين الله يزن 2,162 غم وقطره 26مم أصدر في سنة 593هـ /1196م، وأخر من وزن 3,3351 غم وقطره 28مم أصدر في سنة 599هـ / 1202م، ودينار آخر أصدر في سنة 600هـ / 1203م كان وزنه 5،115غم وقطره 28مم ، في حين كان وزن الدينار سنة 601هـ/1204م 2،765غم وقطر 28مم[5].

وهناك دينار واحد يعود لعهد الخليفة الظاهر بأمر الله من وزن 1،600 غم وقطر 27مم أصدر سنة 622هـ/1225م[6].

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله كان وزن الدينار 4،830 غم وقطره 26مم أصدر سنة 623هـ/1226م، وخلال حقبة خلافة المستعصم بالله كان وزن الدينار 4،305 غم وقطر 28مم أصدر سنة 640هـ/1242م، وأخر وزنه 7،821غم وقطر 27،6

(1) **الحوادث الجامعة، ص312**
(2) **الحوادث الجامعة ،ص312، خصباك، أحوال العراق الاقتصادية،ص28**
(3) **خصباك، أحوال العراق الاقتصادية،ص28**
(4) **الحوادث الجامعة،ص98**
(5) **خصباك،أحوال العراق الاقتصادية،ص28**
(6) **م . ن، ص28 عن مجموعة مسكوكات المتحف العراقي**

مم أصـدر سـنة 640هــ/1243م، وآخر من وزن 10,884 غم وقطر 27,9مم أصدر سنة 643هـ/1245م.
أما وزن وقطر الدراهم الفضية فكان كالأتي : وزنه 2,851غم وقطر 21مم أصـدر في سنة 638هـ/ 1240م وأخر من وزن 2,852غم وقطر 21مم أصدر في سنة 639هـ/1241م وكلاهما يعودان لعهد المستنصر بالله وهناك دراهم من وزن 5,888غم وقطر 28مم أصدر سنة 644هـ/1246م أي في عهد الخليفة المستعصم بالله[1].

وقد ضربت النقود المذكورة في بغداد وكان يشار إليها بأسم (مدينة السلام) وكانت الكتابة المنقوشة عليها تتضمن ذكر أسم الخليفة القائم ثم عبارات الشهادة مثل (الأمام الناصر لدين الله ، لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، الناصر لدين الله أمير المؤمنين) على الوجه ، وكلمات: (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) على القفا ، وكانت هذه المسكوكات بسيطة في نقوشها ولكن الكتابات كثيرة فيها على الوجه والقفا والأطواق[2]. هذا وظل التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي وأجزاءهما أي (الفلس وهو عملة نحاسية صغيرة) حتى بعد الاحتلال المغولي للعراق ، إلا أن في سنة 682هـ/1283م أبطل التعامل بالفلوس النحاسية ، وأصدرت مكانها فلوس من فضة كل أثنى عشر فلسا منها بدرهم سميت (دناكش) ، وفي السنة التالية أعيد التعامل بالفلوس النحاسية من جديد[3]، ويبدو أن العملة كانت تؤخذ على أساس الوزن حينا والعدد حينا أخر والوزن والعدد في بعض الأحيان ، فقد أمر الصاحب علاء الدين الجويني ، صاحب ديوان العراق سنة 666هـ/1267م بضرب فلوس من النحاس تؤخذ كل أربعة وعشرين فلسا منها بدرهم وكل خمسة أرطال بدينار[4].
وفي سنة 684هـ/1285م ضرب دراهم جديدة صدر الأمر بالتعامل بها عددا مثل الدراهم الأبغانية[5] نسبة إلى السلطان (أبغابن هولاكو)[6]، وقد كانت النسبة بين

[1] خصباك،احوال العراق الاقتصادية،ص29
[2] م .ن، ص29 عن مجموعة مسكوكات المتحف العراقي
[3] الحوادث الجامعة،ص467
[4] م .ن، ص391
[5] الحوادث الجامعة ،481.
[6] أو أباقا بن هولاكو.

الدينار والدرهم غير مستقر بل تتذبذب تبعا لسعر الصرف ففي سنة 684هـ/1285م أبطلت الدراهم السائدة وضرب مكانها دراهم جديدة من نوعين الأول كل عشرة مثاقيل بدينار والأخر كل أثنى عشر مثقالا بدينار[1].

ويذكر أن في أواخر العهد الأيلخاني أن الدينار في العراق كان على نوعين: (العوال) وهو أثنى عشر درهما كل درهم قيراطان وحبتان وكل قيراط ثلاث حبات وكل حبة أربعة فلوس ، والنوع الثاني الدينار (المرسل) وكان يساوي عشرة دراهم وكانت به أكثر معاملات أهل بغداد وتجارها[2].

وفي سنة 698هـ/1298م أمر السلطان غازان بتوحيد العملة في كل الولايات التابعة للإمبراطورية الأيلخانية ومن ضمنها العراق حيث أن العملة لم تكن موحدة من ناحية الوزن والحجم والنقاوة ،فكان الناس يخسرون الكثير نتيجة لاضطراب العملة وكثرة الرخيص منها وكان التجار يتجافون مناطق العملة الرخيصة ويطلبون العملة الجيدة[3].

ولذلك عمل السلطان غازان على توحيد العملة في جميع أنحاء الإمبراطورية الأيلخانية وإصلاحها وضمان سلامتها من الغش[4] ، ومنها بغداد ففي سنة 698هـ أمر بضرب دراهم متساوية الوزن يتعامل بها الناس عددا وزن الواحد منها نصف مثقال ودراهم أخرى وزن الواحد منها ثلاثة مثاقيل والأخرى وزن الواحد منها مثقال واحد ويكون كل مثقال من الذهب يساوي أربعا وعشرين درهما من الدراهم الاعتيادية كما أنه أمر بضرب عملات أخرى من الذهب من وزن خمسة مثاقيل ومثقالان ومثقال ونصف وربع مثقال وأمر أن يعمل مثل هذا في جمع ممالك الإمبراطورية[5].

هذا وقد كان شكل العملة التي ضربت في العهد الايلخاني تختلف عن العملة في أواخر العهد العباسي فكان تصدر بأسم الخاقان رأس الإمبراطورية المغولية كلها ، فكانت النقود تحمل أسم الإمبراطور وتحته أسم هولاكو، ألا أن(أبغا) أبنه أبطل ذلك

[1] **الحوادث الجامعة ،ص481.**

[2] **القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، جـ4 ، ص420.**

[3] **الهمداني ، تاريخ مبارك غازاني ، داستان غازان ، بسعي واهتمام كارل يان ، لندن ، 1940م ، ص282**

[4] **الهمداني ، داستان غازان ، ص286،282**

[5] **الحوادث الجامعة،ص539.**

بعد مدة قصيرة من حكمه ووضع أسمه وحده على العملة ، وفعل مثل ذلك من جاء بعده[1].

كان وزن الدينار في عهد هولاكو يساوي 3,950غم أما قطره 27مم ضرب في سنة 658هـ/ 1259م . وفي عهد محمود غازان كان وزن الدينار 7,790غم وقطره 25مم أصدر سنة 703هـ/1303م[2].

أما الدراهم الفضية فكان وزنه في عهد هولاكو 2,185غم وقطر 22مم وفي عهد أرغون وزنه 2,525غم وقطر 22مم أصدر سنة 687هـ/1288م وآخر وزنه 2,210غم وقطر 23مم أصدر في عهد غازان وسنة ضربه مجهولة[3].

هذا وقد كان الدينار الأيلخاني متوسط الحجم أو صغير أصغر بصورة عامة من الدينار العباسي في عهوده الأخيرة ، وكانت نقود هولاكو أكبر حجما بصورة عامة . وأكثر انتظاما في دوائرها وأبسط في الكتابات المنقوشة عليها من نقود السلاطين الذين أعقبوه وأقرب من غيرها شبها بالنقود العباسية ، وتميزت النقود المضروبة في العهد الايلخاني بكثرة النقوش التي نجد من بينها صور حيوانات كالأرنب والقرد أو صور وجه إنسان ، أما النصوص المنقوشة عليها فأننا نجد المضروب منها في البلاد الإسلامية يتمثل في العبارات التقليدية مثل (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وما شاكلها ، كما نجد أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة منقوشة على الكثير منها باستثناء أكثر نقود السلطان أولجايتو محمد خدابنده (703-716هـ/1304-1316م) حيث نجد عليها أسماء الأئمة الشيعة الأثنى عشر[4].

2- مستوى أسعار السلع في أواخر العصر العباسي:

من الطبيعي أن تكون مستوى أسعار السلع عرضة للتغيير في كل مكان أو زمان نتيجة للظروف التي قد تطرأ على السوق أو على المجتمع بصورة عامة وهذا ما حدث بالنسبة للدولة العباسية في هذه الحقبة ، فهناك عدة أسباب قد تساهم في تغير

---

[1] **القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، جـ4،ص418**

[2] **خصباك ، أحوال العراق الاقتصادية ، ص32**

[3] **م.ن، ص32 . عن مجموعات مسكوكات المتحف العراقي**

[4] **خصباك ، احوال العراق الاقتصادية ،ص33.القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص300، 301**

أسعار السلع منها تلاعب التجار بالأسواق واحتكارهم لأنواع من السلع ، والسبب الأخر هو حدوث بعض الأزمات الطبيعية كالفيضانات أو قلة الأمطار وحدوث الجدب ، هذه الأمور قد تؤدي إلى قلة الحاصل ومن ثم زيادة سعرها نتيجة لعدم توفر السلعة . كما كان للعامل السياسي أثر كبير في تغيير الأسعار ، فعلى سبيل المثال عندما يسمع الناس بمرض الخليفة ويتوقعون وفاته فأنهم يتوقعون بعد ذلك حدوث اضطرابات سياسية ، هذا فضلا عن قانون العرض والطلب ، فأنها تتعرض للارتفاع أذا قلت السلع في الأسواق بسبب حجزها أو احتكارها ، أو عند تصديرها إلى خارج البلاد كما حدث في عهد الخليفة الظاهر بأمر الله[1].

وبالعكس فقد تنخفض أسعار السلع عند كثرة عرضها في الأسواق وهذا ما حدث في عهد الخليفة الناصر لدين الله حيث أمر بإطلاق ما في مخازن الدولة من الغلات وطرحها في الأسواق ، كما أمر أن يعطى الأجناد أرزاقهم من الحنطة والشعير فرخصت الأسعار[2].

وفيما يأتي نموذج لأسعار بعض السلع التي كانت سائدة في أواخر العصر العباسي

المادة	السعر	السنة
كر[3] الحنطة[4]	خمسة عشر دينارا	596هـ/1199م

---

[1] الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص10 . فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ،ص380

[2] أبن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، ص298

[3] الكر : هو من المكاييل في بغداد ويكون على نوعين ، الكر الوافي= (60) قفيزا =(2700 كغم) أما النوع الثاني فهو الكر المعدل =(609,375 كغم قمح). الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت 383هـ) ، مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، القاهرة ، د . ت ، ص12؛هنتس ،فالتر ، المكاييل والأوزان الاسلامية،ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، 1970، ص69.

[4] ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص18

كر الشعير [1]	ستة دنانير	596هـ/1199م
كر حنطة جيدة[2]	سبعة دنانير وعشرة قراريط	605هـ/1208م
كر شعير [3]	ثلاثة دنانير	605هـ/1208م
كر أرز [4]	ثمانية قراريط	605هـ/1208م
فواكه[5]	رخيصة	605هـ/1208م/خفض السعر هذه السنة
كر حنطة[6]	خمسة وخمسون دينارا وأربعة عشر قيراطا	640هـ/1242م
عشرة أرطال خبز حنطة[7]	درهم	640هـ(وفي السنة نفسها جعل كل أربعة عشر رطلاً بدرهم)

المادة	**السعر**	**السنة**
كر حنطة[8]	90 دينارا	643 هـ (كان غلاء في السعر , إلا انه لم يذكر السبب)

[1] م . ن , جـ9 , ص18
[2] م . ن , جـ9 , ص269
[3] م . ن , جـ9 , ص269
[4] م . ن , جـ9 , ص269
[5] م . ن , جـ9 , ص269
[6] الغساني , العسجد المسبوك , حـ 2 ،ص512
[7] م.ن حـ 2, ص512
[8] الغساني , العسجد المسبوك حـ2 , ص535

كر الشعير[1]	30ديناراً	643هـ
ثلاث مكاكي أرز[2]	دينار	643هـ
خمسون رطلا تمر[3]	دينار	643هـ
كر سمسم[4]	دينار	643هـ
ثلاثون رطلا ليمون[5]	درهم	643هـ
مواد لم تذكر[6]	غالية الثمن	644هـ
مواد لم تذكر[7]	غالية الثمن	645هـ لم يذكر سبب الغلاء
مواد لم تذكر[8]	غالية الثمن	653هـ/1255م (نتيجة حدوث فيضان)

3- مستوى دخل أفراد المجتمع البغدادي :

كان من الطبيعي أن يكون الخليفة و عائلته ومن ثم المماليك العسكر وبعض كبار رجال الدولة من المدنيين هم ذوي الدخول العالية في المجتمع البغدادي , ومن ثم يأتي بعدهم العلماء والمدرسين والموظفين وهؤلاء يمثلون ذوي الدخول المحدودة , أما العامة فلم يكونوا على مستوى واحد فالتجار والصناع يختلفون من حيث الثراء فيما بينهم لذلك نلاحظ هناك تفاوت ما بين ذوي الدخول العالية وذوي الدخول الواطئة أو

[1] م . ن ,حـ2، ص535
[2] م . ن ,حـ2، ص535
[3] م . ن , حـ2،ص535
[4] م . ن , حـ2،ص536
[5] م . ن ,حـ2، ص536
[6] م . ن , حـ2،ص549
[7] م . ن ,حـ2، ص549
[8] م . ن , ص حـ2، 608

المعدمين وأهل الكدية[1] . كان الخليفة العباسي وعائلته المتكونة من زوجاته وأولاده هم أصحاب الدخول العالية بالدرجة الأولى فقد كان لهم أقطاعات واسعة وأملاك كثيرة فعلى سبيا المثال أن الخليفة الناصر كان يهتم بجمع الأموال لدرجة انه ملئ بركة كبيرة من النقود , وكان يأمل أن تفيض فمات قبل أن يحقق أمنيته[2], في حين أن الخليفة المستنصر بالله عندما ورث هذا المال قال" ترى هل أعيش حتى أفنيها " وهذا ما فعله[3] وهناك عدة أمثلة حول كثرة أموال الخليفة منها في سنة 601هـ/ 1204م حدث حريق عظيم في دار الخلافة فكان قيمة ما احترق 603،000 دينار[4]. وكذلك في سنة 651هـ/1253م وقع حريق في دار الخلافة أيضا فكان ما استخرج بعد الحرق من الأواني والذهب والفضة ما يزيد قيمته على 200،000الف دينار[5] كما تتمتع زوجات الخلفاء بهذه الأموال واشتهرن بامتلاكهن الملابس الغالية الثمن , ويشمل ذلك الجواري أيضا , فقد ورد في حوادث سنة 649هـ أن سفينته غرقت في دجلة وكان على متنها إحدى عشر جارية من جواري دار الخلافة وكن خارجات للتنزه والفرجة , وكان عليهن من الحلي والجواهر ما يقارب قيمته 100،000 (مائة ألف) دينار, فغاص الغواصون وطرحت الشباك فوجد البعض وتلف الباقي أما الجواري فقد هلكن جميعا[6] . كما ذكر عن إحدى جواري الخليفة المستنصر بالله تدعى شاهان كانت ذات منزلة عاليه عنده فكان لها ديوان ووكلاء وكانت تقطع القرى وتملك العقارات , وذكران صاحب ديوانها عمل حسابا لما بذلته في شهر للزراكشة والصاغة والتجار البزازين والجوهريين , فكان مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ونيف وستين درهم , وقد توفيت سنة 651هـ/1253م [7].

هذا ويأتي بعد الخليفة وعائلته والأمراء والمماليك الذين تولوا الولايات والشحنكيات وقيادات الجيش حيث كانت دخولهم السنوية مرتفعة جدا , فعلى سبيل المثال بلغ دخل مجاهد الدين ايبك الدويدار المستنصري من أقطاعه وأملاكه أكثر من نصف مليون

---

1) **فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير , ص381**
2) **ابن الطقطقي , الفخري , ص234**
3) **م . ن , ص234**
4) **الذهبي , دول الإسلام , جـ2 , ص80**
5) **الغساني , المسجد المسبوك , ص599**
6) **م . ن ,جـ2 ، ص581**
7) **الغساني ، العسجد المسبوك ،حـ2 ص599**

دينار سنويا[1] , كما شاركهم الأمراء الصغار من ناحية ارتفاع دخولهم حيث كانت تبدأ بألف دينار وتصل إلى 5000دينار أو 6000 دينار سنويا[2] , لهذا لا نعجب أن وجدنا مظاهر الترف لدى هؤلاء الأمراء المماليك حيث كانوا يبذلون الأموال الكثيرة في مناسباتهم المختلفة من ذلك ما جاء عن الأمير علي بن ميران ألطاهري انه عقد على ابنة أستاذ الدار محي الدين يوسف بن عبد الرحمن الجوزي على صداق مبلغه ألف دينار [3].

أما كبار الموظفين وفي مقدمتهم الوزراء فلم تكن دخولهم بأقل من الأمراء والمماليك حيث شاركوهم من حيث دخولهم المرتفعة , فقد كان الوزير ابن القصاب مكروها من قبل الناس وان موته قد أفرحهم نتيجة استبداده وطمعه في أموال اليتامى والايامى , فقد كان لا يقنع بما عنده بل سعى إلى اغتصاب جميع الأموال التي تقع بين يديه[4] , وهذا يدل أن بعض الوزراء حاولوا استغلال مناصبهم للإثراء على حساب الرعية , وبعد الوزراء يأتي أستاذ الدار فقد ورد عن احدهم وهو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي المعروف بابن الصاحب انه بعد قتله بأمر من الخليفة وجد في بيته من العين ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار أي مليون دينار ونصف , فضلا عن الجواهر والقماش والأثاث والخيل والمماليك مثل ذلك . ولم ترد لنا معلومات عن كيفية هذا الثراء وإنما كل ما ورد عنه انه قتل بأمر الخليفة الناصر لاستبداده[5].

ومن هؤلاء الموظفين الكبار رئيس دار التشريفات عبد الوهاب بن نصر ابن الخياط المتوفى سنة 651هـ الذي عرف بكرمه وبذله للأموال بسخاء حيث ورد عنه انه أعطى رجلا فقيرا مبلغ (100) دينار , كما انه سدد دين رجل أخر من دون أن يعرفه وكان مبلغ دينه (50) دينارا, وذكر انه خلف بعد موته ثروة عظيمة من العين والثياب النفيسة والزركش ما يزيد على 20،000 (عشرين ألف دينار)[6].

---

(1) م . ن , ص633

(2) فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير , ص273

(3) الغساني , العسجد المسبوك جـ2 , ص582

(4) الراوندي , راحة الصدور , ص529

(5) الذهبي , دول الإسلام , جـ2 , ص68 , حوادث سنة 583هـ

(6) الغساني , العسجد المسبوك , حـ2، ص598

أما أصــحاب الدخول المحدودة وهم العلماء وأســاتذة المدارس والإداريون , فقد ورد عن أساتذة المدرسة المستنصرية أن دخل أستاذ الفقه منهم (12) ديناراً في الشهر أي (144) ديناراً في الســنة , وان أســتاذ دار القران ثلاثة دنانير في الشــهر أي (36) ديناراً في السنة , أما أستاذ دار الحديث كان دخله دينارين وعشرة قراريط[1] فيكون دخله السنوي حوالي 33 ديناراً[2], أما رواتب الإداريين في المدرســة المستنصــرية فقد كانت قليلة أيضــا فالوالي أو (المناظر)12 ديناراً في الشــهر والمشــرف 7 دنانير والكاتب مثله . أما بقية الموظفين مثل الفراشين والبوابين فلم تذكر رواتبهم بل قيل ان لهم جرايات , من الطعام المطبوخ والكسوة[3].

أما مؤدبو الخاصة كالخلفاء مثلا فلا يقاس على ما يحصلون عليه من هبات وأعطيات من ذلك إن مؤدب المستعصم بالله قبل أن يلي الخلافة وهو أبو المظفر علي بن محمد النيار كان قد دعى بعد ختمة المســتعصــم للقران لوليمة اقيميت بهذه المناســبة فخلع عليه قميص أطلس مفري(أي فيه فرو) فرفض لبسه تزهدا فأمر الخليفة أن يحمل إلى داره ما يرضيه من الملابس وان يعطى 30،000 (ثلاثون ألف) دينارٍ[4].

أما العامة من الصــــناع وأهل المهن والفلاحين والفقراء وأهل الكدية فهم من ذوي الدخول الواطئة , وليس لدينا معلومات حول مقدار دخلهم في هذه الحقبة فحســـب بل الحقب السابقة من التاريخ العباسي أيضا[5].

---

[1] القيراط : يســاوي وزنه خمســة حبات من الشــعير , وهذا هو الوزن الشــرعي , ينظر: العزاوي , عباس , تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية , طبع شركة التجارة للطباعة , 1958م , ص102

[2] معروف , تاريخ علماء المســتنصــرية , جــــ1 , ص57 , 81,82,116,229 ؛ فهد , تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير , ص306

[3] معروف , تاريخ علماء المستنصرية , جــــ1 , ص71 , ص73 , ص261 , فهد , تاريخ العراق في العهد العباسي الاخير , ص307

[4] الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك , ص290

[5] فهد , العامة ببغداد , الفصل الاول , وكتابه الاخر , تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير , ص387

الفصل الثالث

المبحث الثالث:

العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع البغدادي

كانت هناك بعض العادات والتقاليد توارثها المجتمع البغدادي منذ ســالف العصــور، تتعلق بحياتهم الاجتماعية ســـواء في أفراحهم أو أحزانهم ، وقد بقيت هذه العادات والتقاليد لدى عامة بغداد حتى يومنا هذا.

1- عاداتهم في الأفراح والمآتم:

كان من جملة العادات التي توارثها المجتمع البغدادي وخاصــة العامة أو فقراء العامة هو استعارة الحلي والملابس من الأقارب عند حدوث مناسبة مفرحة كالزواج ، حيث تقوم الأســرة أو احد أفرادها باســتعارة الفرش وأدوات الزينة ، بغية الظهور بمظهر لائق في حفلة الزفاف[1] ، وكان على الرجل المتزوج حديثا أن يحضــــر وليمة يدعو إليها الأصدقاء والأقارب[2].

ومن عادات البغداديين هو خروج الناس لاســـتقبال الحاج عند عودته من زيارته للحرمين وتهنئته على سلامة الوصول[3].

كما كان البغداديين يحتفلون بختمة الأحداث للقرآن الكريم ، فيرتدون أفضل ما عندهم من ملابس ويزينون دورهم ويضـــعون فيها مجامر الفضـــة . ويوقدون فيها النيران الكثيرة ، ويدعون بعض العلماء لحضور هذه الاحتفالات[4] ، كما يدعون أهل المحلة من نساء ورجال[5].

والى جانب الاحتفال بختمات الأحداث كانوا يحتفلون بسماع الأحداث للحديث النبوي الشـريف واحتفالهم بذلك كاحتفالهم بالختمات إذ يدعو والد الحدث أصـدقائه إلى وليمة يعملها لهذه الغاية[6].ومثل ما كانت هناك عادات وتقاليد في الأفراح هنالك عادات توارثها المجتمع البغدادي في المآتم ، ففي حالة وفاة شخص كانت هناك بعض الأمور التي يقوم بها أهل المتوفي مثل غســـل الميت ثم تكفينه ، وحمله إلى المقبرة ، وخلال ســير الجنازة من البيت إلى المقبرة يبادر الناس الذين تمر من أمامهم الجنازة بالســير خلفها لبعض الوقت ، أو حملها لمســـافة معينة مســـاعدة منهم لأهل المتوفي ، وهكذا يواصلون سيرهم حاملين الجنازة أو سائرين خلفها حتى يدخلوها القبر[7].

وكان في بعض الأحيان يؤتى بمنشـدين من أصـحاب الأذكار فيسيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهليل ، وترتيل الألحان[8].

---

[01] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 221 . فهد، العامة ببغداد ، ص 247.

[02] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 11 ، ص 302.

[03] ابن الجوزي ،تلبيس إبليس ، ص 140 ، 382 ؛الحوادث الجامعة ،ص219.

[04] م . ن ، ص 382.

[05] م . ن ، ص 110.

[06] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 11 ، ص 302 ، جـ 14 ، ص192 ؛الحوادث الجامعة،ص99،ص119

[07] ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص 478 . فهد، العامة ببغداد ، ص 249

[08] الشبيبي ، محمد رضا ، مؤرخ العراق ابن ألفوطي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1958 ، جـــ 2 ، ص 77

وكان من مظاهر العزاء أن يعقد مجلســـا لتقبل التعازي من الناس في مدة لا تقل عن ثلاثة أيام . وكذلك كانت من مظاهر الحزن هو إطلاق شـــعر الوجه والرأس ولبس السواد ، ومن عاداتهم أيضا هو أن لا يحلقوا شعرهم إلا بعد مرور أربعين يوماً على المتوفي ، على أن يتولى ذلك شخص تجله الأسرة[1].
أما إذا توفي الخليفة فان الحزن يلف بغداد جميعها ، فترى أســـواقها مغلقة وقد علقت الأقمشة السوداء على جدرانها ، ويجلس الوزير وكبار رجال الدولة للعزاء في صحن الســـلام بدار الخليفة ، ثم يتوافد الناس بعد ذلك إلى دار الخلافة ، ويشـــاركون رجال الحكومة في إظهار الحزن عليه وهم في ذلك يطبقون العرف الســـائد بين بعضـــهم البعض[2].

2- التصديق بالخرافات والأساطير:

من العادات المألوفة لدى المجتمع البغدادي هو التصـــديق بالخرافات والأوهام والثقة بروايات المخرفين والمشـعوذين في حدوث العجائب والخوارق ، ونسـبة لبعض ذلك إلى الجن ، وزعمهم إن لبعضـــهم اتصـــالا بالناس وتأثيرا في حدوث الأمراض، وما إلى ذلك من الأمور الأخرى.
هذا وقد كثر عدد المتهوســـين بأحاديث الجن من الرجال والنســـاء ، ومن الأمثلة الطريفة على ذلك هو ما ذكر في ســـنة 646هـــــ / 1247م ، وفيها حدث بأكثر أهل بغداد أمراض في حلوقهم وخوانيق ومات بذلك خلق كثير ، وذكرت امرأة : إنها رأت في المنـام امرأة من الجن تكنى " ام عنقود " ، قـالـت لهـا:" إن ابني مـات في هذه البئر"، وأشارت إلى بئر داخل سوق السلطان " ولم يعزيني فيه احد ، فلهذا أخنقكم".
فشـــاع ذلك في الناس فقصـــد البئر المذكور جماعة من العوام والنســـاء والصـــبيان ونصبوا عند البئر خيمة ، وأقاموا هناك العزاء وكان النساء ينحن ويقلن:

أيَ أمّ عُنْقُود [إلا] اعذرينا [قد] مات عُنقود وما درينـا
لما درينا كُنا قد جينـــا لا تَحردي منا فتخنقينـــا[3]

وما يناســـب ذلك من الهذيان ، وأكثرن من هذا وأمثاله ، والق الناس في البئر الثياب والحلي والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وأنواع الحلواء ، وأشـــعلوا عندها الشموع ، فلما أكثروا من ذلك أنكره عامة العقلاء والأكابر ، فأمر الخليفة المستعصم بالله بمنع الناس من ذلك ، فحضـــر الشـــحنة إلى هناك وقال : " إن الديوان قد أقام أم عنقود من العزاء " وأمر بسد البئر ، فتفرق الناس عنها[4].

---

01 **الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن ألفوطي ، ص 68**
02 **فهد ، العامة ببغداد ، ص 251**
03 **الحوادث الجامعة ، ص 260 ،261.**
04 **الحوادث الجامعة ، ص 260 ، 261.**

3- عاداتهم في الأحلام والرؤيا:

ومن عادات أهل بغداد هو تصديقهم للرؤيا والأحلام فقد ورد في سنة 671هـ /1272م" رأى رجل ببغداد في المنام إن بعض أولاد الحسن بن علي (عليه السلام) في موضع بقراح أبي الشحم ، فعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فوجدوا فيه قبراً ، فتبرع بعض الموسرين ، واخرج شيئا من ماله ، وشرع في عمارته ، وشاع ذلك ببغداد ، فحضر خلق كثير للزيارة ، ونذروا له نذورا صح أكثرها ، فاجتمع من ذلك شيء كثير فعمر بالآجص والجص ، وعمل عليه ضريح ، ورتب فيه بواب وفراش وإمام ومؤذن ، وسمي مشهد عبد الله الباهر"[1].

وجاء في أخبار سنة 677هـ /1278م " وفيها ، رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نورا متصلا بالسماء وفي صبيحتها ، قال بعضهم : انه راى قبرا فيه احد أولاد الحسن (عليه السلم) بمحلة الهروية[2] ، فانهال الناس لزيارته ، ثم شرعوا في عمارته ، وتوارت بعد ذلك أخبار العوام برؤية المنامات وكثرة " الظواهر " وتحدثوا بقيام الزمني والمرضى وفتح أعين الاضراء ، ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير " أهوية " العوام ، وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك ، فتقدم صاحب الديوان " علاء الدين الجويني " بنقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى بن جعفر(عليه السلام) ففلوا ذلك وسكن العوام"[3]. وخلاصة القول يتضح من ذلك إن تصديق هذه الأوهام والأحلام عند المجتمع البغدادي تعد من الأمور القديمة الموروثة عن الآباء والأجداد ، هذا من جهة، ويلاحظ من جهة أخرى هو تفاني البغداديين في ولاء أهل البيت(عليهم السلام) حتى ولو كان هذا الموضوع مشوب في بعض الأحيان بشيء من الجهل.

4- التفاؤل:

الفال : هو عبارة عن الاستراحة إلى قول أو عمل تسكن إليه النفس ، فهو حالة نفسية تتعلق بالمزاج [4] ، وكان من عادات الناس عند رؤيتها شيء أو سماعها لاسم شخص معين هو أن تتفاءل به خيرا و هذا الأمر كان يشمل كل فئات مجتمع بغداد ومن ضمنهم الخليفة نفسه ، فقد تفاءل الخليفة المستنصر بالله باسم حسن عرف به احد مماليكه ، فبوأه منزلة سامية ، حيث جاء في أخبار سنة 653هـ / 1255م عن إقبال ألشرابي ما يأتي " كان أولا لعز الدين نجاح الشرابي وانتقل الى زوجته بعد وفاته ، فلما افضت الخلافة الى الظاهر حملته إليه فقبله،فأبعده رشيق – من مماليك الظاهر – وأنفذه إلى ولده المستنصر ، فلما دخل عليه قال له ما اسمك ؟ قال " إقبال " فسر بذلك واستبشر ، وتفاءل به ، فلما أفضت الخلافة إليه قربه وقبض على رشيق وحبسه وجعل إقبال شرابياً ، ثم جعله " سرخيل " العسكر ، فلما أفضت الخلافة إلى

01 الحوادث الجامعة ، ص 408.

02 لم نقف على هذه المحلة.

03 م . ن ، ص 441.

04الشبيبي، مؤرخ العراق ابن الفوطي ،ص82.

المستعصم بالله زادت منزلته ، وقرب من قلبه ، فلما وصلت عساكر المغول سنة 635هـ خرج إلى لقائهم وظهر من حسن تدبيره ما أوجب الإنعام عليه"[1].

كما ورد في سنة 644هـ / 1246م فيما يخص التفاؤل " وفيها ، وقع الشروع في عمارة مسناة دار ، على شاطئ دجلة في بستان الصراة ، وتولى العمل أستاذ الدار محيي الدين يوسف ابن الجوزي ، فسأل في بعض الأيام " المشاهر " عن اسمه ، فقال : ((خالد)) – فاستبشر ابن الجوزي وقال:

نظرت إلى الخُلْد الشريف بِفكّرتي   فبشرني إن الخليفةَ خالـدُ
إذ الاسم مَعْناه الخُلُود حقيقــة   وأكَّدهُ اسم المُشَاهر خالدُ[2]

ومن خلال هذين النصين نستدل ان من عادات أهل بغداد هو التفاؤل بالألقاب والأسماء والأشخاص وهي عادة مازالت متوارثة حتى وقتنا هذا.

5- التبرك:

من عادات أهل بغداد هو التبرك بالأشخاص ممن يعتقدونهم أولياء الله فيقومون بزيارة ضريحه وتقديم النذور ومن هؤلاء الأشخاص أبو عبد الله محمد البلخي الزاهد شيخ صالح عابد ساكن بالجانب الغربي في مسجد مجاور لقبرالشيخ معروف الكرخي – رحمة الله عليه – كان ورعا كثير العبادة وكان الناس يقصدونه للزيارة والتبرك به ، وهو ينفر منهم ولا يخالط أحدا وأكثر وقته يكون في الخراب وفي المواضع المنقطعة مثل جامع براثا وغيره وكان إذا قصده إنسان ، بعد عنه ، فان تبعه رماه بالحجارة ، حتى يعود عنه فلما كبر وعجز عن المشي أقام بالمسجد المذكور حتى مات فيه في رابع من محرم سنة 597هـ /1199م.

وصلى عليه خلق كثير وتولى تجهيزه ضياء الدين أبو السعادات بن الناقد وكيل الجهة السعيدة والدة الإمام الناصر لدين الله ، ودفن بمقبرة الشيخ معروف الكرخي[3]. ومنهم أيضا أبو محمد عبد الملك بن مواهب بن مسلم المعروف بالخضري الوزان كان شيخا صالحا معتقدا فيه يتبرك به يقال انه لقي الخضر – عليه السلام – ولهذا سمي الخضري كان يسكن بمحلة باب البصرة توفي في سابع عشر شهر ربيع الأول من سنة 600هـ /1203م ودفن بباب حرب[4].

وكذلك أبو موسى المكي الزاهد الساكن في المقصورة المتصلة بجامع السلطان كان منقطعا في الموضع المذكور سنين كثيرة ، على قدم العبادة وعند جماعة من الفقراء وكان الناس يقصدونه للتبرك به لا سيما الأتراك ، انتكس من سطح المقصورة غرة صفر ليلا فوجد ميتا وتسامع الناس بموته فخرجوا للصلاة عليه ونودى له فاجتمع خلق كثير فصلى عليه ودفن محاذي حد الجامع الشمالي وكان ذلك سنة 602هـ /1205م[5].

---

01 **الحوادث الجامعة ، ص325.**
02 **م. ن ،ص252.**
03 **ابن الساعي ، الجامع المختصر، جـ9، ص55.**
04 **م . ن ، جـ 9 ، ص 128**
05 **م.ن ، جـ 9 ، ص 178**

6- عاداتهم في تشيع الأموات:

كان من عادات أهل بغداد في تشـيع الجنائز هو الإنشــاد وترتيل الألحان ، ورغم أن هذه العادة كانت غير مرغوب بها من العلماء ، حيث أوصـوا بالاقتصـار على التلاوة والتسـبيح والتمجيد ، إلا إنها بقيت شـائعة لدى المجتمع البغدادي حتى أواخر العصـر العباسي ، حيث جاء في أخبار سنة 646هـ /1248م عن وفاة جمال الدين أبو الحسن على بن يحيى ابن ألمخرمي المعروف بالمخرمي ، انه " أوصــى أن يدفن في تل قريب من مشـهد الإمام الحسـين (عليه السـلام) وان يكون تابوته مكشـوفا ليس عليه غطاء ولا ثوب ، ولا يقرا بين يديه قراء الألحان ، بل جماعة فقراء يقرأون تلاوة ، وجماعة يسبحون الله تعالى ، ويهللونه ويحمدونه ففعل ذلك كله"[1].

من ذلك نســتنتج إن أهالي بغداد اعتادوا ومنذ المائة الســابعة أو قبل ذلك على ترتيل الألحان والإنشاد بين يدي الجنائز ، وان لذلك قراء مخصوصين وان هنالك منشدين ، وأصـحاب أذكار يقومون بالتهاليل ، ومن الواضـح إن " ألمخرمي " في وصـيته كان يرفض أن يقرأوا الألحان أو الإنشـاد ، وهي تعد من الأمور المحضـورة ، لما في ذلك من صرف المشيعين عن عبرة الموت وجلاله والخروج على الخشوع والوقار ، وقد ادعى البعض انتفاع الميت بالإنشــاد أو التلحين بين يدي الجنازة . ولا أصــل لهذه الدعوة ، لأن ما ينفع الميت هو الصدقة ، والدعاء له ، والترحم عليه[2].

7- عاداتهم في التهاني والتعازي:

من عادات العراقيين عامة والبغداديين خاصــة هو تقديم التهاني والتعازي في مجالس خاصة بهذه المناسبات ، وهذه العادة كان شائعا أواخر العصر العباسي واستمر حتى العهد المغولي ،حيث عينوا لإيرادها شعراء مخصوصين سمو بـــ (شعراء الديوان) ، وذلك لافتقار الديوان ورجاله إلى هذا الضــرب من نشــر الدعوة، حيث كانت العادة الشائعة في بدايات العصر العباسي هو أن تفد الوفود على الخليفة ، وتنتظر على باب داره ، ثم يحيطون الخليفة علما بذلك فيأذن لمن يشـــاء أن يدخل عليه من الوافدين ، وكانت وفود الشعراء على أبوابهم غير قليلة ، فإذا أذن للشاعر ، وكانت عنده قصيدة انشــدها في مجلس الخليفة أو مجلس الوزير، فإذا أجاد الشــاعر ، ووقع شـعره موقع الاستحسـان من الخليفة أو الأمير أو الوزير خصصت له جوائز من ورق وعين وما إلى ذلك ، هذا فضلا عن الجوائز الأخرى[3].

واستمرت هذه العادة إلى أواخر العصـر العباسي إلا أنها أخذت منحنى أخر، فأصبح لديوان الخلافة شعراء لا شغل لهم إلا نظم الشعر في العزاء والهناء وقد عرفوا بأنهم " شــعراء الديوان " وهم من جملة موظفي الدولة الرسـميين لذلك جاء شــعره متكلفا غير مطبوع في كثير من الأحيان ، هذا وقد كان عدد شعراء الديوان كبير في العصر العباســي الأخير ، ينظمون أشــعارهم وينشــدوها في المواسـم والأعياد وفي الأفراح

---

01 الحوادث الجامعة ، ص 281

02 الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن ألفوطي ، ص 77 ، 78

03 الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن ألفوطي ، ص 78

والأتراح ، وفي شتى الوقائع والأحداث ، وكان ينشدونها في مجالس خاصة لا يشهدها الخليفة في اغلب الأحيان لان حجّاب الخلفاء في العصر العباسي المتأخر كانوا على جانب من الشدة ، وقلما ظهر خلفاء بني العباس المتأخرون للناس(1).

ومن الأمثلة على ذلك في تقديم التعازي هو ما ورد في أخبار سنة 643هـ /1245م عن وفاة ابنة الخليفة المستعصم بالله ، وتدعى عائشة ، حيث عقد لها العزاء في الرصافة ، وأنشد الشعراء المراثي ، كما بعث الوزير أبن العلقمي رسالة تعزية إلى الخليفة(2)، بالغ فيها بالتملق والثناء(3).

أما فيما يخص عاداتهم في تقديم التهاني ما جاء في أخبار سنة 630هـ /1232م عن فتح الأمير شرف الدين إقبال ألشرابي لمدينة أربل وانتصاره على المغول ،وابتهاج البغداديين بذلك حيث: "ضربت الطبول على باب النوبي ، وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان ، وأوردوا قصائد تتضمن الهناء"(4) ، كما جاء في أخبار سنة 631هـ/1233م مثل ذلك بمناسبة افتتاح المدرسة المستنصرية(5) ، ومثله في أخبار سنة 632هـ/1234م عند عقد زواج أبنه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بمجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير ، حيث أنشد جماعة من الشعراء ، ومنهم عبد الحميد بن أبي الحديد(6).

8- عادات أهل بغداد في يوم عاشوراء:

يعد يوم العاشر من محرم يوم حزن عام لدى العالم الإسلامي في كل مكان ولدى البغداديين بشكل خاص ، حيث جرت العادة بهذا اليوم أن تقرأ قصة مقتل الأمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في جملة من محافل بغداد بل مدن العراق عامة.

هذا ولم تخل العصور العباسية من طبقة " المنشدين " و " القراء " و " الذاكرين " وهم قوم انقطعوا لهذا العمل أي للقراءة والإنشاد في مواسم معينة من السنة وخصوصا المحرم ، والأمثلة غير قليلة في تاريخ المائة السابعة للهجرة ، عن طبقة القراء ومنهم منصور محمد بن المبارك الكرخي " المنشد " ، توفي سنة 598هـ /1201م كان " حافظاً للقرآن المجيد قرأه بالقراءات ، جيد الأداء طيب الصوت شجيه كان ينشد في المواسم والمشاهد المقدسة ، ويعظ في الأعزية "(7).

وكان من العادات المتعارف عليها عند حلول شهر محرم هو توزيع الصدقات ففي سنة 640هـ " في أوائل المحرم منها برز من الصدقات المستنصرية ستة آلاف دينار ، سلمت إلى ثلاثة نفر ، وهم عبد الرحمن بن الجوزي ، وعبد الله البادراني واحمد بن عبد العزيز فتولوا تفرقتها على أرباب الضرورات وذوي الحاجات(8).

---

01 م . ن ، ص 79
02 الحوادث الجامعة ، ص247
03 الشبيبي ، مؤرخ العراق أبن الفوطي ، ص79
04 الحوادث الجامعة، ص72
05 م . ن ، ص80 وما بعدها.
06 الحوادث الجامعة،ص100
07 ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص85
08الغساني , العسجد المسبوك , جـ 2 , ص506.

وفي أواخر العصر العباسي حدث في بعض الحقب منع قراءة المقتل والإنشاد في يوم عاشوراء وخصوصا في بغداد , وذلك في سنة 641هـ/ 1243 م حيث " تقدم الخليفة المستعصم بالله – إلى جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب يمنع الناس من قراءة المقتل في سائر المحال بجانبي بغداد ومشهد موسى بن جعفر (عليه السلام)[1] , وكان هذا الخليفة معروف بضعفه وضيق صدره وانه كان ألعوبة بيد جماعة من الحاشية والبطانة في دار الخلافة . وقد تكررت هذه الاجراءات في أيامه ، اذ ذكر إن في سنة 648هـ/ 1250م من " المحرم تقدم بمنع أهل الكرخ والمختارة من النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الأمام الحسين (عليه السلام) خوفا من تجاوز ذلك إلى ما يؤدي إلى وقوع الفتنة[2].
وكان من العادات التي يقوم بها أهالي بغداد في هذا اليوم هو لبس الملابس السوداء والضرب بالسلاسل والآلات الجارحة حتى إراقة الدماء . هذا فضلا عن توزيع الأطعمة على الفقراء , وغيرها من المظاهر الأخرى التي نألفها حتى يومنا هذا.

9- عاداتهم في دفن الموتى قرب الأضرحة الشريفة:

كان من عادات المسلمين هو حمل جنائزهم لدفنها مجاور أضرحة الأولياء والصالحين , والشهداء وذلك لنيل بركاتهم , وهذه كانت من عادات أهال بغداد الى يومنا هذا حيث اعتادوا نقل جنائزهم من مكانات نائية أو حتى بين مدينة وأخرى لتكون بجوار أضرحة الأولياء والصالحين.
وقد شاعت عادة نقل الأموات إلى المشاهد المعروفة في العراق وذلك في العصور العباسية المتأخرة , كما اهتم الخلفاء العباسيون بتعمير الأضرحة ومشاهد الأئمة بل حتى حكام المغول اهتموا بعمائر الأضرحة الشريفة , حيث عمد هولاكو بعد احتلاله بغداد إلى إعادة بناء جامع الخليفة ومشهد الأمام موسى بن جعفر (عليه السلام) من جراء الخراب الذي أصابه في الحرب[3].
كان الخليفة الناصر لدين الله يزور المشاهد فقد زار النجف مرارا ومثله كذلك المستنصر بالله حيث قصد الخليفة مشهد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في الثالث من رجب سنة 634هـ , فلما عاد ابرز ثلاثة ألاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين ابن الاقساسي نقيب الطالبين , وأمره أن يفرقها على المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب والحسين وموسى بن جعفر (عليهم أفضل الصلاة والسلام)[4].
وفي السابع عشر من رجب سنة 641هـ , قصد الخليفة المستعصم بالله زيارة مشهد موسى بن جعفر (عليه السلام) وكان يوما مطيرا ونزل عن مركوبه من باب سور

---

01 الحوادث الجامعة , ص212
02 الحوادث الجامعة , ص292
03 وقد تولى الاشراف على ذلك عماد الدين عمر القزويني . ينظر : ابن الفوطي , تلخيص مجمع الاداب , جـ1 , ق2 , ص801 , الشبيبي , مؤرخ العراق ابن الفوطي , جـ 2 , ص144 , القزاز , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , ص281
04 الحوادث الجامعة , ص124

المشـــهد , وانحدر في الرابع عشــر من شــعبان إلى زيارة ســلمان الفارســـي (رحمه الله)[1].
وفي نفس السـنة المذكورة أعلاه , خرجت والدة الخليفة المسـتعصـم بالله منحدرة في شـبارة الخليفة إلى ((درزيجان))[2] متوجهة إلى الحج وخرج الخليفة لأجل وداعها ثم توجه إلى الكوفة ودخل جامعها وقصد مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وزوره محمد بن كتيلة العلوي , فلما توجه الحاج ودع الخليفة والدته وعاد إلى بغداد[3].
هذا ومن جملة مظاهر العناية بهذه المشاهد هو تخصيص نقباء لها من وجوه العلويين وسادتهم وذلك بموجب عهود صادرة من دار الخلافة تسجل فيها واجبات النقابة[4].
وكان الكثير من الزعماء والأمراء والحكام يوصـــون إلى عوائلهم بنقلهم بعد موتهم إلى تلك القبور , والواقع أن المســـافات كانت نائية كثيرا بين الجهات المنقول منها واليها , فكان فريق من أعيان بغداد ينقلون موتاهم إلى المشـهدين الحسـيني والكاظمي (عليه السـلام) وكان آخرون ينقلون إلى المشـهد الغروي في النجف خصـوصـا من مات من الحكام في عصر العباسين والمغول[5].
وممن نقلت جنازته إلى مشـــهد موســـى الكاظم (عليه الســـلام) ابنه بدر الدين لؤلؤ صـــاحب الموصـــل وزوجه علاء الدين الطبرســـي ودفنت إلى جانب ولدها ســـنة 635هـ/1237م[6].
وفي ســـنة 688هـــــ/1289م توفي عز الدين أبو محمد علي بن محمد بن أبي البدر منصـور بن عفيجة البغدادي , الكاتب أمين الديوان , كان من كبار المتصـرفين ببغداد , ودفن تحت أقدام سلمان الفارسي[7].
وممن حمل إلى مشهد الإمام علي (عليه السلام) كمال الدين احمد بن محمد الاسدي القريشـــي النيلي الحاجب , قال ابن الفوطي عنه كان من بيت الرئاســـة والتقدم والتصرف اشتغل في صباه , وتأدب , وكتب خطا حسنا , كان حجاب المناطق , وله نســـب بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي , ولم يل شـــيا من الأعمال بعد الواقعة , كان جميل الصـحبة حسـن المجاورة , وكان يتشـبه بالمغول في أحوالهم وأفعالهم , ومولده في رجب سنة 631هـــ , وتوفي سنة 673هـــ , وحمل إلى مشهد الأمام علي (عليه السلام)[8].

---

[1] م . ن , ص213
[2] قريـة كبيرة كـانـت تحت بغداد على دجلـة بـالجـانـب الغربي , ينظر: يـاقوت الحموي , معجم البلـدان , جـ2,ص297.
[3] الحوادث الجامعة , ص215
[4] الشبيبي , مؤرخ العراق ابن الفوطي , جـ2 , ص92
[5] م . ن , ص92
[6] الحوادث الجامعة , ص130 , 131
[7] م . ن , ص498
[8] تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب , جـــ5 ,ص134 , الشـبيبي , مؤرخ العراق ابن الفوطي , جـــ2 , ص94

وفي سنة 647هـ/1249م نقل فخر الدولة الحسن بن عبد المطلب من مدفنه بالايوان الذي كان فيه على شاطئ دجلة حيث وقع حائطه إلى مشهد موسى بن جعفر (عليه السلام)[1].
ومن أخبار عناية الخلفاء بعمارة مشهد أولياء الصالحين ما جاء سنة 647هـ بقيام الخليفة المستعصم بالله بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر عليه السلام[2] وفي سنة 664هـ/ 1265م توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس , وحمل إلى مشهد جده الأمام علي (عليه السلام) , وكان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة[3] .
كما نقل جمال الدين المخرمي إلى مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) سنة 646هـ/1248م[4]. هذا وكان هناك عدد من المشاهد المعروفة في هذه الحقبة منها مشهد عون ومعين ببغداد[5], ومشهد عبيد الله الباهر[6] , ومشهد الرفاعي في أم عبيدة[7].

10- نثر الذهب والفضة:

من العادات المألوفة لدى المجتمع البغدادي هو نثر النقد والسكة المضروبة من الذهب والفضة . وهي من جملة العادات التي أتبعها بني العباس عند تقلد المناصب الكبرى ، أي في حفلات الأستخلاف والاستيزار ، أو في حفلات العرس والاعذار ، وحفلات التكريم والحفاوة بكبار الضيوف ، أو في حفلات أصلاح ذات البين ، وهذه العادة أو الرسم عرف في عصور الترف والحضارة العباسية ، ألا أنها لم تعرف لدى المغول بعد اجتياحهم بغداد[8].
وقد جرت العادة هو أن يقوم شخص بنثر النقود الذهبية أو الفضية أو كليهما على الحضور من طبق أو صينية أو آنية أخرى ، على شكل يدل على الجهة التي تقدمت أو أمرت بذلك ، هذا وأول مرة أستخدم فيها نثر الذهب والفضة هو في حفلة عرس زبيدة حفيدة أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد بن المهدي ، حيث يذكر أن المهدي أستعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها ، وكان ذلك سنة 165هـ[9].
وفي هذه الحقبة من موضوع بحثنا نثرت الدراهم والدنانير في خلافة الناصر لدين الله سنة585هـ/1189م فذكر أبن الأثير :" في هذه السنة في صفر خطب لولي العهد أبي نصر محمد أبن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وأرسل إلى البلاد في أقامة الخطبة ففعل ذلك"[10].

---

[1] الحوادث الجامعة , ص286
[2] م . ن , ص288
[3] الحوادث الجامعة , ص388
[4] م . ن , ص281
[5] ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص189 , ص256 , ويذكر ابن جبير "وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام مكتوب عليه : هذا قبر عون ومعين من اولاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام , الرحلة , ص226
[6] ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ9 , ص213
[7] م . ن , جـ9 , ص253
[8] الشبيبي ، مؤرخ العراق أبن الفوطي ، جـ2 ، ص97
[9] حول تفاصيل دعوة المهدي في عرس هارون الرشيد ينظر كتاب الديارات للشابشتي
[10] الكامل في التاريخ ،جـ9 ، ص204

وورد في كتاب الحوادث الجامعة وصـــف الاحتفال العســـكري الرائع الذي يعد من أعجب الاحتفالات التي أقيمت في خلافة المستنصر بالله ، حيث شهده رجال الديوان والزعماء وأعيان الدولة ، وذلك ابتهاجا بزواج " الدوادار الكبير مجاهد الدين"جاء فيه:" في رابع جمادي الأخر خلع الخليفة على مجاهد الدين الدوادار بين يديه وقدم له مركوب خاص بعدة كاملة ، وركب من باب الأتراك ، ورفع وراءه أربعة عشر سيفا ، إلى غير ذلك من الحراب والنشاب ورفع على رأسه علم من باب ((دار الضرب)) وخرج معه جماعة من خدم الخليفة , والحاجب أبو جعفر العلقمي , ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم , فلما اجتاز باب البدرية نثر عليه خادم من خدام الشرابي أربعة ألاف دينار , ولما اجتاز بدرب الدواب نثر عليه في عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر , ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين قلج ارسلان , وكان وراءه الأعلام والطبول , هذا فضـــلا عن الهدايا وبينها رقيق الترك والخدم والخيل وآلة الحرب[1].

وفي بيعة الخليفة المستعصم بالله سنة 640هـ ذكر منه نثر الذهب ما جاء نصه:" في يوم الجمعة 17 جمادي الأخر تقدم إلى كافة أرباب المناصـــب والولايات والأمراء الكبار بالركوب إلى جامع القصر , فحضروا دار الوزارة أولا ثم توجهوا إلى الجامع وخطب نقيب النقباء , ونثر عند ذكر اسم الخليفة ألف دينار , وألف درهم عليها اسمه , وتولى النثر بشير السنري , وصعد معه علم الدين ابو جعفر ابن العلقمي اخو أستاذ الدار , ونفذ إلى جامع المنصـور وجامع المهدي والرصـافة وجامع السـلطان وجامع فخر الدولة ابن المطلب , ونثر ذهبا ودراهم وكان مبلغ ما نفذ إلى كل موضـــع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم[2]

11- عادة رمي التراب:

من العادات التي كانت معروفة في بغداد قبل أكثر من سـبعمائة سـنة هي عادة رمي التراب , ومفادها إذا وقع اختلاس في بيئة بعيدة عن ألشـبهه أو التهمة أو في جهة لم يعد فيها ارتكاب جريمة , فإذا أريد تفادي الفضيحة من جراء التحقيق عمدت السلطة إلى الإيعاز برمي التراب , أي أن يرمي كل واحد من المشـــتبه بهم كومة من التراب يدس فيها المال المسروق فلا تعرف هوية السارق , وبذلك يتفادون الفضيحة , وهذه العادة من جملة العادات المعروفة ألان في بعض جهات العراق[3].

وقد ورد في أخبار سنة 645هـــ من كتاب الحوادث الجامعة ما قصد: "وفيها أنهى خان المدرسـة المسـتنصـرية انه شـاهد ختم الخزانة متغيرا والقفل بحالة فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين فشذ منها شئ ومن المال ثلثمائة دينار فانهي ذلك إلى الخليفة فأمر بإلزام الفقهاء والحاشـية برمي التراب ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلم يجدوا شـيا فتقدم بتقسـيط ذلك على البواب بالخزانة والفراشـين على قدر أحوالهم فاسـتوفى ذلك منهم ورتب عوضهم"[4].

---

01 **الحوادث الجامعة ، ص121, 122**

02 **الحوادث الجامعة , ص123**

03 **م . ن , ص193**

04 **الشبيبي، مؤرخ العراق ابن الفوطي , جـ2 , ص105**

وتعد هذه الطريقة غير مجدية للعثور على المال المسـروق , وهي إن دلت على شـئ فإنها تدل على ضـآلة الخبرة في المباحث الجنائية او ضـعفها في هذا العصـر , وقد يقال أن رمي التراب بقصـد الحصـول على المال المسـروق طريقة جميلة لتفادي الفضائح وفيها استجابة للشعور بالندم ووخز الضمير[1].

(1) **الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن الفوطي , جـ2 , ص106**

الفصل الرابع

المبحث الأول:

المظاهر الاجتماعية في مجتمع بغداد
الأعياد والمناسبات

زخرت الحياة العامة لمجتمع بغداد بأنواع شتى من مناسبات الأفراح والأحزان واللهو في هذه المدة كغيرها من المدن والأمصار الإسلامية وتأتي في مقدمة هذه المناسبات :

أ- الأعياد والمناسبات الدينية :

كان للعرب المسلمين في هذه المدينة أعيادهم الخاصة كغيرهم من الأديان الأخرى وهي مناسبات يحتفلون بها معبرين عن فرحتهم وابتهاجهم بالشكل الذي يليق بتلك المناسبات والأعياد ومن أهمها:

1- شهر رمضان :

تمتع شهر رمضان بفضائل كثيرة ، إذ فيه نزل القرآن الكريم ، ولهذا كانت له مكانة خاصة عن باقي أشهر السنة الأخرى ، وكان الاستعداد لهذا الشهر المبارك يجري على الصعيدين الرسمي والشعبي ، فكانت الحكومة تبادر عند حلوله إلى توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين[1] ، فقد جاء عن الخليفة الناصر انه انشأ دور ضيافة لفطور الفقراء في شهر رمضان في كل محال بغداد شرقيها وغربيها وأمر بإثبات فقراء كل محلة وان يجري على كل واحد منهم في كل يوم رطلان من الخبز وقدح طبيخ فيه نصف رطل لحم ضأن فاثبت في كل مقدار خمس مائة نفس زائدا وناقصا فعمت الفقراء والضعفاء هذه الصدقة وانتفعوا بها[2]، وفي خلافة المستنصر بالله ، فتحت دور الضيافة في شهر رمضان على جانبي مدينة السلام جريا على العادة في كل سنة ، وزيد فيها داران:احدهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشَّجَرة، والأخرى بخَربة ابن جَرْدَة[3]، للفقراء الهاشميين[4].

هذا وقد كان ديوان الطبق وهو مؤسسة معنية بإدارة دور الضيافة التابعة لدار الخلافة والمخصصة لتقديم الطعام إلى الفقراء في شهر رمضان وغيره ، وهي موزعة في محلات بغداد ، تزخر بشعراء الديوان الذين يوردون التهاني في المواسم والأعياد ، ومن بين هؤلاء الشعراء جعفر بن مكي بن سعيد مقدم شعراء الديوان الذي كان يورد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان قصيدة من نضمه على الطبق بدار الوزارة ، فمن شعره ابتداء قصيدة:

دُنياكَ فُرحةُ حَالم بمنـــامِ		والمرءُ نَصب حوادث الأيـامِ
لم يَدْر أن الدَّهْرَ مسرورٌ بـه		يَرْميه عن قوس الرَّدى بِسَهَامِ
هَوّن عليكَ فما الزمانُ بصاحبٍ		كَلاّ ولا الدُّنيا بدارِ مقـامِ

---

[1] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 229 الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 512
[2] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 229
[3] خرابة ابن جردة : محلة بشرقي بغداد تنسب إلى أبي نصر بن أبي عبد الله محمد بن احمد (ت 493هـ) ، ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 9 ، ص 113 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 8 ، ص30.
[4] الحوادث الجامعة ، ص 69

ما أحسن الأيام لولا غَدْرهــا لن تعدم الحسناء وَصْمة ذامِ[1]

وفي خلافة المستعصم بالله عندما رأى الناس هلال رمضان وشهد عند قاضي القضاة، وصام الناس ، فتحت دور الضيافة في جانبي بغداد ووضعت الأطعمة لأجل فطور الفقراء، وفرقت الوظيفة الرمضانية من الدقيق والغنم والذهب بجميع المدارس والأربطة والمشاهد وزوايا الفقراء بالمساجد، وعرضت التهاني بحلول شهر رمضان[2] وفي هذا الشهر المبارك تضيء المساجد بالمصابيح ، ويحيي أهل بغداد لياليه بالذهاب إلى المساجد لصلاة التراويح، ثم إذا قارب الشهر على الانتهاء أخرجت الأنعام من دار الخلافة إلى فقراء العامة، ويستعد الناس بعدها لاستقبال عيد الفطر[3].

2- عيد الفطر:

يرجع الاحتفال بهذا العيد إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[4] ويبدأ الاحتفال عادة بزكاة الفطر التي تسبق صلاة العيد بعدها يجتمع المسلمون في المسجد لأداء مراسيم الصلاة[5]، ثم ينصرفون إلى منازلهم ومن مظاهر الاحتفال بعيد الفطر عند المسلمين لبس الملابس الجديدة والتصدق على الفقراء والتزاور، وكان المسلمون ينتهزون فرصة العيد للترويح عن أنفسهم بالتسلية واللهو المباح والإقبال على تناول الأطعمة[6]، والخروج للمتنزهات ، وقد حرص الخلفاء العباسيين على الاحتفال بهذا العيد فكان الخليفة يخرج مبكرا في موكب مهيب وقد ارتدى أجمل ملابسه وبمعيته كبار رجال الدولة[7] كان أهل بغداد يقفون على جانبي الطريق عند مرور موكب الخليفة وهم ينادون" السلام على أمير المؤمنين ونور الإسلام " والخليفة يرد عليهم التحية ، ثم يدخل الجامع ويصلي صلاة العيد ، ثم يرتقى المنبر ويلقي في الناس خطبة العيد ، وبعد انتهاء الخطبة ينهض المصلون وهم يرتلون الدعاء للخليفة ، بعدها يخرج في موكبه قاصدا دار الخلافة[8].

هذا وقد جرت العادة أن يجري استعراض عسكري في بغداد في اليوم الأول من العيد وقد يبقى الاستعراض مستمرا طيلة أيام العيد[9] ، وفيه يظهر الجند وهم يرتدون الملابس الفاخرة وقد ركبوا أجود الخيل[10] ، ويبدو إن العامة كانوا يقفون على جانبي

---

[1] م ، ن،ص177.

[2] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 554

[3] الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، ص 25.فهد ، العامة ببغداد ، ص 191.

[4] البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256هـ) ، صحيح البخاري ، تحقيق قاسم الشماعي ، بيروت ، 1408هـ / 1987م ، جـ 2 ، ص 236 الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ) ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر ، المكتبة الإسلامية ، د . ت ، جـ 2 ، ص 410 وما بعدها

[5] كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) يصلون في العيدين قبل الخطبة ثم يخطبون، الترمذي، سنن الترمذي، جـ2، ص411

[6] الباشا ، حسن ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، 1975، ص 130

[7] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 554.

[8] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 554

[9] فهد ، العامة ببغداد ، ص 192

[10] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 422

الطريق أو جالسين في شرفات منازلهم يطلون على سير الجيش بينما يكون الخليفة وكبار رجال الدولة جالسين في مكان معد لهذه المناسبة [1].
ففي عيد الفطر سنة 645هـ" خرج العسكر ومقدمه مجاهد الدين أيبك الخاص ألمستنصري وكان ركوبه بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع وكان بين يديه مائة موكبية وهي الشموع الكبيرة ، وخمسون خمسية، في أثواب ذهب وفضة، وكان بين يديه من الجنب العربيات بالسروج الذهب مائتا فرس على يد مائتي مملوك إلى غير ذلك مما يطول شرحه ؛ وتبعه الأمير شجاع الدين الطبرسي الظاهري وبين يديه ما يقرب من ذلك ودونه موكب الأمير حسن بن كرم ، ثم عسكر شرف الدين إقبال ألشرابي وفيه من التجمل والكثرة عددا وعددا ما يزيد على الجميع ثم الأمراء الصغار، ثم موكب الخليفة وفيه المماليك الترك ومماليكهم ما يزيد على خمسة آلاف ثم موكب الديوان ، وصلوا صلاة العيد في المصلي ، ظاهر البلد ، قريب من غروب الشمس وعادوا إلى الديوان ، وفيه الوزير وسائر أرباب الدولة"[2].
هذا ويعم الفرح مدينة بغداد ، فتسطع الأنوار وتعلوا أصوات المسلمين في المساجد بالتكبير والتهليل وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات ، وتسطع في جوانبها أنوار القناديل ، وتلألأ الأنوار الخاطفة للأبصار في قصور الخلافة [3] ويستمر الاحتفال بالعيد ثلاثة أيام . وفي أثناء خلافة المستنصر بالله وبالتحديد سنة 623هـ /1226م أمر الخليفة بتوزيع المال على الفقهاء والصوفية والى القراء وأئمة المساجد [4]. كما كان الخليفة يوزع الخلع على وزراءه ومماليكه ففي سنة 637هـ /1239م في"عيد الفطر خلع الخليفة على وزيره أبي الأزهر احمد بن الناقد، وعلى مماليكه الحافين بسدته وعلى كافة الأمراء وسائر أرباب الدولة ، وعمت الخلع خلقا كثيرا وجما غفيرا يزيدون على ثلاثة عشر ألفا ما بين قمصان أطلس وأقبية وغزلي وعتابي وبقاير مغربي وقصب حريري وحياسي وشرابية شاهية وغيرها وزركش وأطلس ، ويخرج الموكب الشريف وسائر مواكب الأمراء إلى ظاهر السور كما جرت العادة عليه"[5].

3- موسم الحج:

يبدأ مع حلول شهر ذي القعدة حيث يستعد الحجاج لأداء مناسك الحج ويتوافد حجاج بين الله الحرام من واسط والبصرة والكوفة ومن المناطق التي تقع شرق العراق كفارس وخراسان وغيرها ويجتمعون في الجانب الغربي من بغداد ويضربون الخيام هناك وتستعد الحكومة لاستقبال الحجاج حيث توفر لهم اماكن خاصة لشرب الماء كما تقدم لهم الاطعمة وقد يصل احياناً عدد الحجاج المجتمعين ببغداد عدة الاف حاج[6].

---

[1] **حسن ، تاريخ الإسلام، جـ 3 ، ص 460**
[2] **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 422**
[3] **حسن، تاريخ الإسلام، جـ 3 ، ص 460**
[4] **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 422**
[5] **الغساني ، العسجد المسبوك، جـ 2 ، ص 491 ،492.**
[6] **فهد،العامة ببغداد، ص193.**

وكانت الحكومة تشـرف على تنظيم مواكب الحجاج في كل عام ، فتعين أميرا تختاره من الأشـــراف الطالبين ، يقوم برعاية شـــؤون الحجاج منذ خروجهم من بغداد حتى يصلوا مكة ، وتنتهي مهمته عند عودتهم إلى بغداد[1].

وكان يتم اختيار أمير الحاج ، في دار الخلافة بحضور الخليفة ، والأشراف والقضاة والفقهاء ، ويخلع عليه[2]. وقد بقيت إمارة الحج تســـند إلى الأشـــراف حتى القرن الخامس الهجري[3]. حيث إن اختيار أمير الحاج اسـند ومنذ القرن السـادس الهجري إلى أمراء الأتراك المماليك وظل الحل على ما هو عليه حتى ســقوط الخلافة العباسـية[4]. حيث انتدب بعض الأمراء الأتراك في مواسـم معينة من السـنة لإمارة الحج وقد تكرر انتدابهم لهذا العمل لســـنوات متتالية ، فقد تولى الأمير ملك الدين الإمارة على موكب الحج سنة 588هـــ / 1192م [5] ، والأمير قطب الدين سنجر الناصري تولى الإمارة على موكب الحج سنة 589هـ / 1193م [6] ، وشمس الدين أصبة سنة 593هـــ / 1196م [7] ، والأمير إيليا (أو أيليه) ابن عبد الله التركي أبو سعيد الناصري سنة 594هـــ / 1197م [8] ، والأمير مظفر الدين وجه السبع سنة 595هـ / 1198م [9] ، وقطب الدين سنجر الناصري سنة 596هـ / 1199م[10] ، والأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدي سنة 597هـ / 1200م [11] والأمير مظفر الدين سنقر وجه السبع 598هـــ / 1201م [12]، ومجير الدين طاشتكين المستنجدي سنة 599هـــ / 1202م ، 600هـــ / 1203م[13] . والأمير ألب قرا بن عبد الله التركي مملوك طاشتكين كان احد الأمراء في الأيام الناصرية وحج بالناس سنة نيابة عن طاشـتكين فعسـف بالحجاج وآذاهم فلما عاد إلى بغداد أمر الخليفة بتقييده بالحديد وضربه ضربا مبرحا لعدة أيام وقد توفي ، كان ذلك سنة 600هـــ / 1203م [14] ، والأمير مظفر الدين سنقر الناصري المعروف بوجه السبع سنة 601هـ / 1204م و 602هـ / 1205م[15] وتولى الحج مرة أخرى سنة 603هـ / 1206، إلا انه فارق الحجاج ومضـى إلى الشـام وترك مكانه احد مماليكه بسـبب خلاف حصـل مع خادم

---

[1] م. ن ،ص194.

[2] الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، ص 25

[3] فهد،العامة ببغداد ، ص 194 ، 195

[4] فهد،تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 260

[5] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 1 ، ص 419

[6] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 1 ، ص 422 ؛أبو شامة ، ذيل الروضتين،ص7 سنة 591هـ / 1194م

[7] سبط أبن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 456.

[8] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، جـ 8 ، ق 2 ، ص 456؛ ابن الدبيثي ،التاريخ المذيل به ، ص 127

[9] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، جـ 8 ، ق 2 ، ص 460.

[10] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 23

[11] م . ن ، جـ 9 ، ص 54.

[12] سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 510

[13] م . ن ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 513

[14] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص 129

[15] م . ن، جـ 9 ، ص 153 ،177.

للوزير ناصر بن مهدي الذي كان حاجا معهم ، فلما فارق الحجاج بكى معظمهم عليه وضاقت صدورهم لأنه كان خيرا حسن السيرة [1].
وتولى الأمير مجاهد الدين ياقوت الرومي الناصـــري الإمارة على موكب الحج للسنوات التالية 603هــ / 1206م ، 604هــ / 1207م ، 605هــ / 1208م ، 606هــ / 1209م [2] ، ومن ثم أسندت إمارة الحج إلى ولده الأمير محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه سنة 607هــ / 1210م ، وكان صبيا فجعل معه ابن أبي فراس الحلي مدبرا لأمر الحج [3] ، وكذلك تولى امارة الحج سنة 608هــ/ 1211م نيابة عن أبيه أيضا ، وكان معه الحاج ابن أبي فراس وقد قيل إن موكب الحاج قد نهب من قبل أمير مكة وأتباعه ، وان أمير الحاج لم يكن يدري ما يصنع لقلة تجربته[4].
وتولى الأمير حسام الدين بن أبي فراس نيابة عن محمد بن ياقوت إمارة موكب الحج سنة 609هــ / 1212م ، وقد حمل هدايا ومال كثير لأمير مكة قتادة ، فسكت عنهم [5] ، كما تولى الأمير حسام الدين إمارة الحج للسنوات التالية:610هــ / 1213م ، 611هـ / 1214م ، 612هـ / 1215م ، 613هـ / 1216م ، 614هـ / 1217م [6] ، ثم تولى الأمير آقباش الناصـري موكب الحج لسـنوات 615هــ / 1218م ، 616هـ / 1219م ، 617هـ / 1220م ، وقد قتل هذا الأمير في السنة الثالثة في فتنة حدثت في مكة [7] . بعدها تولى الأمير حسـام الدين ابن أبي فراس موكب الحج لسـنة 618هــ / 1221م ، 619هــ / 1222م[8]. واستمر في توليه على إمارة مواكب الحج إلى سنة 623هــ / 1226م ، حيث قيل انه ترك الحاج وذهب إلى مصر سنة 621هــ ، ولم يعد إلى العراق حتى سنة 629هــ / 1231م [9] وتولى إمارة موكب الحاج الأمير شمس الدين قيران سنة 624هــ / 1226م [10] وفي السنوات التالية تولى الإمارة على موكب الحج الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري 627هــ / 1229م ، 628هــ / 1230م ، 629هــ / 1231م ، 630هــ / 1232م [11] ، وتولى الأمير شمس الدين قيران الظاهري سنة 631هــ / 1233م [12] ، والأمير حسام الدين ابن أبي فراس 632هــ / 1234م [13] . وتولاه أيضا سنة 633هــ /

---

(1) **ابن الساعي ، الجامع ، جـ 9 ، ص 192 ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 2،ص528، 529.**
(2) **ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ 9 ، ص207، 243 ، 270 ، 289.**
(3) **سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ن جـــ 8 ، ق 2 ، ص 546. الغساني ، العسجد المسبوك ، جـــ 2 ، ص 335**
(4) **سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـــ 8 ، ق 2 ، ص 556 ؛الغساني ، العسجد المسبوك ، جـــ 2 ، ص 338**
(5) **سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، جـ 8 ، ق 2 ،ص 561**
(6) **م . ن ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 564 ، 569، 572 ، 586 ،593.**
(7) **م . ن ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 593 ، 606 ، 610**
(8) **سبط ابن الجوزي ،مرأة الزمان، جـ 8 ، ق 2 ، ص 621 ، 624**
(9) **م ، ن ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 625 ، 633 ، 635 ، 639**
(10) **م . ن ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 644**
(11) **الحوادث الجامعة ، ص 21، 34 ، 46 ، 59 ، 78.**
(12) **م . ن ، ص 87.**
(13) **م . ن ، ص 101، 102.**

1235م [1] ، و 634هـ / 1236م وكان قد جلب معه في رجوعه الأعراب (الاجاودة) الذين تعرضوا لموكب الحج في سنة 632هـ / 1234م [2] .

ثم انقطع الحج سنة 634هـ / 1236م إلى غاية سنة 640هـ / 1242م بسبب الاهتمام بأمر المغول والاستعداد لهم ، حيث أفتى الفقهاء بضرورة تقديم الجهاد على الحج ، فأبطل الحج في السنة المذكورة ، وأمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية للاستعداد للجهاد [3].

وفي خلافة المستعصم بالله أمر الخليفة بالاهتمام بأمور الحج ، فتقدم إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك ابن ألمخرمي أن يهتم بأمور الحج وإعادته على أجمل قواعده ، وأمره أن يمضي إلى الآبار التي على طريق مكة فيقوم بإصلاحها وتنقيتها ، وندب معه جماعة من الرجال والأجناد وعزل الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر عن إمارة الحج ، ورتب عوضه الأمير سيف الدين كيكلدي الناصري، وكان ذلك سنة 640هـ / 1242م [4] .

وفي سنة 641هـ / 1243م تولى الأمير مجاهد الدين أيبك ألمستنصري الدويدار الصغير إمارة الحج ، وكانت معه أم الخليفة المستعصم بالله [5] .

ويبدو إن الحج انقطع من سنة 641هـ وحتى سنة 650هـ / 1252م بسبب الانشغال بأمر المغول ، وقد تولى الأمير قطب الدين سنجر البكلكي إمارة موكب الحج منذ سنة 650هـ وحتى سنة 652هـ / 1254م [6] .

وفي سنة 653هـ / 1255م تولى الأمير فلك الدين محمد ابن علاء الدين الطيبرسي الدويدار الكبير إمارة موكب الحج [7] .

هذا وقد كان واجبات أمير الحج هو الأشراف على الحجاج وحمايتهم وصيانة الأمن بينهم وتصدرهم عند القيام بشعائر الحج في مكة وعرفات وغيرها من الأماكن المقدسة [8] .

ويبدوا إن قوافل الحجاج كان كثيرا ما تتعرض لغزو الأعراب ، فكانت الحكومة تسعى من اجل الحفاظ على سلامة الحجاج ، فتعطي الأموال للأعراب لقاء التزامهم جانب الهدوء وعدم التعرض لهم ، أو قد تلجأ إلى قتالهم في بعض الأحيان[9].

وعند عودة الحجاج من بيت الله الحرم يتهيأ العامة لاستقبالهم ويحتفلون بقدومهم[10] ، وتقدم الخلع لأمير الحج [11] .

---

(1) م . ن ، ص 117
(2) م . ن ، ص 119، 120.
(3) م . ن ، ص 128
(4) الحوادث الجامعة، ص 202
(5) الحوادث الجامعة ، ص 215
(6) م . ن ، ص 314
(7) م . ن ، ص 328
(8) فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 270
(9) الحوادث الجامعة ، ص 21 ، 87 ، 202
(10) فهد ، العامة ببغداد ، ص 197
(11) الحوادث الجامعة ، ص 220؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 527.

وقد استمر الحج إلى ما بعد الاحتلال المغولي لبغداد ، إلا إن المصادر لم تشر إلى من تولى إمارة موكب الحج ، فقد اهتم بعض سلاطينهم بأمور الحج ومنهم" احمد تكودار " الذي اعتنق الدين الإســـلامي ، فقد اهتم بأمور الحج ، ونظم مواكبه وخصـــص الأموال للإنفاق عليه وتامين طريقه ، وجمع أموال الوقوف المخصـــصـــة للحرمين الشريفين وأرسلها للديار المقدسة [1] .
واستمرت مواكب الحج طيلة العهد الايلخاني فيذكر صاحب الحوادث الجامعة مواكب الحج للسنوات التالية 665هـ ، 666هـ ، 669هـ ، 678هـ ، 686هـ ، 687هـ ، 688هـ ، 689هـ [2].

4- عيد الأضحى(النحر):
يحتفل المسـلمون في شـهر ذي الحجة وبالتحديد اليوم العاشـر منه بعيد الأضـحى[3] وهو من الأعياد الدينية التي احتفل بها منذ عهد الرسـول(صـلى الله عليه وسـلم)[4]، حيث يخرج الناس مبكرين إلى المســاجد لأداء فريضـــة صـــلاة العيد ، ثم يخرجون بعدها لينشــغلوا بنحر الأضــاحي تقربا إلى الله تعالى[5] وتوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين ، هذه ولم يكن نحر الأضــاحي مقصــورا على العامة فقط فقد شــاركوا الخلفاء أيضا بذبح الأضاحي على أبواب الخلافة [6] .
هذا ومن صور الاحتفال بهذه المناسبة هو تحضير الملابس الجديدة وصنع الحلوى[7] ، بصورها المختلفة .
وهناك أعياد أخرى احتفل بها المســلمون عامة وأهل بغداد خاصـــة ومنها الاحتفال بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاحتفال بيوم الإسراء والمعراج وبليلة القدر وبمولد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه الســلام) ، والاحتفال بمولد الحســن والحسين(عليهما السلام) ، ومولد والدتهما السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

5- أعياد أخرى :
هذا والى جانب الأعياد والمناســبات الدينية ، احتفل أهل بغداد بعيد المهرجان والنوروز والسذق ، وتعد من الأعياد الفارسية القديمة ، فكان عيد المهرجان يبدأ في السادس والعشرين من تشرين الأول ، وبينه وبين النوروز مائة وسبعة وستون يوما ، كان حلوله إيذانا ببدء الانقلاب الشـتوي ، وكان مدته عند الفرس سـتة أيام يسـمى

---

(1) **فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص 286**
(2) **راجع الصفحات 394 ، 403 ، 448 ، 490 ، 498 ، 500**
(3) **البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت 440هـــ) ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، باعتناء س . ادوارد سخاو ، لايبزك ، 1923م ، ص 33 ، ص 334 النويري ، نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 177 ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 2 ، ص 406**
(4) **البخاري ، صحيح البخاري ، جـ 2 ، ص 436 ، الترمذي ، سنن الترمذي ، جـ 2 ، ص 410**
(5) **الباشا ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص130 ، 131**
(6) **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 571**
(7) **عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ،ص269.**

اليوم السادس منه بالمهرجان الأكبر[1] ، وعند حلوله يبدأ الناس بتغير فرشهم وملابسهم استعدادا لاستقبال الشتاء[2].
أما عيد النوروز ومعناه اليوم الجديد [3] ، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار ، وكانت مدته عند الفرس ستة أيام يسمى اليوم السادس منها بالنوروز الأكبر[4] ، ولم يكن هذا العيد مقتصرا على بغداد وحدها بل كان يحتفل به في أقطار إسلامية [5] أخرى ، وكانت من مظاهره إيقاد النيران وإشعال الشموع، وتبادل الهدايا والتهاني [6]. أما عيد السذق أو (السدق) وهو من الأعياد الفارسية التي انتقلت إلى المسلمين ، حيث كانت تشعل النيران والشموع في ليلته [7] ، وكان يستعمل لذلك أنواع مختلفة من الدهان [8].

ب – أعياد أهل الذمة:
كان للنصارى في بغداد أعياد خاصة بهم يحتفلون بها في أوقات معلومة من السنة، فكانوا يستعدون لها فيرتدون أبهى حليهم ويتزينون بفاخر ثيابهم ، ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني وعلى ألبستهم الكنسية شارات الصليب وبين صفوفهم الإعلام ، ويرتلون الأناشيد على نغم واحد متفق الألحان[9] ، فكانت أعياد الصوم الكبير[10] تقسم حسب آحاده، ففي الأحد الأول يكون الاحتفال بدير العاصية ويقع هذا الدير في شرق بغداد بباب الشماسية على بعد ميل من دير سمالوا [11] والأحد الثاني بدير الزريقية[12] ، والأحد الثالث بدير الزندورد ويقع في الجانب الشرقي من بغداد ، وقد استمر وجود هذا الدير حتى العهود المتأخرة من فترة الخلافة العباسية[13] ، والأحد الرابع بدير درمالس ويقع بباب الشماسية [14] وعيده يكون أفضل الأعياد إذ يجتمع فيه نصارى بغداد ، فضلا عن العامة ممن يرغب باللهو والتنزه ومشاهدة

---

[1] النويري ،نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 178 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 2 ، ص 408 ؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص 200
[2] النويري ، نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 178 . القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 2 ،ص 411
[3] م . ن ، جـ 1 ، ص 178 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص 408
[4] م . ن
[5] متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، جـ 2 ، ص 287 ، 291
[6] فهد ، العامة ببغداد ، ص 201
[7] البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص 216
[8] النويري ، نهاية الأرب ، جـ1 ، ص 181 ، 182 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ 2 ، ص 412
[9] بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد ، ص 97
[10] كانت مدة الصوم الكبير ثمانية وأربعين يوما أولها يوم الاثنين وفطرهم يوم الأحد التاسع والأربعين من أول صومهم ويسمونه السعانين أو (الشعانين) ومن شروطه وقوع الفصح بين الشعانين والفطر وهو الأسبوع الأخير من الصوم – البيروني : الآثار الباقية ، ص 303 وعند انتهاء الصوم الكبير يكون قد هل عيد القيامة أو العيد الكبير . بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد ، ص 102
[11] الشابشتي ، الديارات ، ص3 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص347
[12] الشابشتي ، الديارات ، ص3. وقد أشار كوركيس عواد محقق الكتاب إلى أن أمر هذا الدير مجهول لديه ، هامش ص 3
[13] بابو اسحق ، أحوال نصارى بغداد ، ص 133
[14] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص342؛ العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ 1 ، ص 275

عيدهم [1] ، وقد بقي هذا الدير عامرا في عهد ياقوت الحموي (626هـ / 1228م) [2] ، إلا انه اندثر في عهد ابن عبد الحـــق (ت 739هـ / 1338م) [3] .
وكان نصـــارى بغداد يحتفلون بصـــوم العذارى بدير العذارى الذي يقع بقطيعة النصارى على نهر الدجاج في الجانب الغربي من بغداد [4] ، وكان الاحتفال به يكون قبل حلول الصــوم الكبير ويكون الصــوم فيه لمدة ثلاثة أيام ، وبعد الانتهاء يجتمعون فيه ويقومون بشعائرهم الدينية [5].
ومن الاحتفالات الأخرى لدى النصــارى هو عيد الفصــح الذي كان يقام بدير سـمالو الذي يقع بالجانب الشرقي من بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي ، كان هذا الدير محاطا بالبسـاتين والمزارع ويعد من المتنزهات المشـهورة في بغداد فإذا ما حل العيد ازدحم الناس فيه سواء كانوا من النصارى أو من المسلمين [6] .
ومن أعيادهم أيضـا (عيد الصـليب) الذي كان يقام بدير قنّى ويقع هذا الدير على بعد سـتة عشـر فرسـخا[7] من بغداد في الجانب الشـرقي منها ، وكان يحل هذا العيد في اليوم الرابع عشـر من أيلول من كل سـنة وكان يذهب إليه النصـارى وعامة بغداد من المسلمين للتنزه والفرجة [8] .
هذا ومن جملة احتفالات النصـارى هو حفل تنصـيب الجاثليق ، وكان هذا الاحتفال قد ظهر بصــورة واضــحة في العهد الايلخاني ، حيث لم تكن هناك مواكب أو احتفالات رســمية ولا خلع ولا أقامات ، ولا تظاهرات خلال العصـــر العباســـي ، إلا إن بعد انحلال الدولة العباســية ، وظهور الدولة الايلخانية عني بعض ســلاطين المغول باسـتقبال وفود النصـارى ورؤسـائهم فأفاضـوا عليهم بالخلع والهدايا السـنية[9]، ومن أمثلة مراسـيم تنصـيب الجاثليق في العهد الايلخاني، نجد أن اختياره كان يتم بترشـيح من زعماء النصـارى ، والمقصـود هنا هم نصـارى بغداد ، ثم ينظمون بذلك محضـرا مذيلا بتواقيعهم وخطوطهم ، ويحمل المرشـــح هذا الترشـيح إلى الايلخان الذي يخلع عليه ويشـرفه " بالخلعة السـنية والفرمان[10] والبائزة[11] والجتر[12]"، ويطلق له من الأقامات الشيء الكثير ، ثم يوفد معه من يتولى تمثيله في احتفال التنصيب ، وقد مثل اباقا (السـلطان الايلخاني) في حفل تنصـيب الجاثليق (دنحا)[13] الذي كان أول من

1) الشابشتي ، الديارات ، ص 3
2) معجم البلدان ، جـ 2 ، ص342.
3) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـ 1 ، ص 429
4) الشابشتي ، الديارات ، ص 70 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص352.
5) م . ن ، ص 70 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص352.
6) م . ن ، ص9 ؛ م . ن ، جـ 2 ، ص353.
7) الفرسـخ : ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع ، فالفرسـخ اثنا عشـر ألف ذراع . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 1 ، ص39.
8) الشابشتي ، الديارات ، ص 171 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،جــ 2 ، ص357 ،جــ 4 ، ص178 ؛ العمري مسالك الأبصار ، جـ 1 ، ص 256.
9) الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن ألفوطي ، جـ 2 ، ص 170
10) الفرمان : ويسمى ايضا باليرليغ وهو عبارة عن منشور أو عهد أمان
11) البائزة : وهي عبارة عن لوح من الذهب مرسوم عليه رأس أسد وتعطى لمن هو في منزلة كبيرة
12) الجتر: وهو العلم ، أو المظلة ويسمح برفعها على رأس ذوي المنزلة الكبيرة في الدولة
13) يسميه صاحب ، الحوادث الجامعة ، ماردنحا ، ص386

نصب في عهد الايلخاني بعد وفاة الجاثليق المخضرم (ميخا)[1] و (مليخا) سنة 663هـ/1265م الذي كان قد نصب بأمر من الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة 654هـ / 1256م وقد أناب (اباقا) عنه ثلاثة من كبار أمراء المغول ، بينما أناب عنه في حفل تنصيب الجاثليق (يابلاها الثاني)[2] أميرا من أمراء الأسرة ،وكان يتوجه المرشح بعد ذلك الى بغداد حيث يتجهز الموكب منها وينحدر الى مكان الأحتفال الذي كان يقام عادة في دير المدائن[3].

وبعد وفاة الجاثليق (دنحا) ، وقع الاختيار على (يابلاها) وأجمعت كلمة النصارى في بغداد عليه ، فنظموا بذلك محضرا مذيلا بتواقيعهم ، وتوجه به (يابلاها) إلى – الاردو- حيث مقر السلطان الايلخاني" اباقا خان" ، وقد رحب به الأخير وخلع عليه خلعة سنية مثمنة ، وبعدها رجع إلى مقره في بغداد وأنحدر إلى دير المدائن ، ووصف هذا اليوم بأنه كان يوما مشهودا لدى النصارى فدخل البيعة ويحف به عدد كبير من المطارنة والأساقفة الذين جاءوا من أقاصي بلاد الترك وفارس والروم ومن بلاد الجزيرة والموصل وفلسطين ومصر . هذا ولم يشهد تاريخ النصرانية في ظل الإسلام حفلة أو تظاهرة كالتي حدثت في دير المدائن ، حيث الأزياء ، ومظاهر الفرح ، ونثر الذهب والفضة خلال الأحتفال ، ثم بعد ذلك انحدر الجاثليق بعد الانتهاء منه إلى دير ماري في " السليح"[4] الذي كان قريب من مكان الأحتفال وبعد ذلك أصعد الى بغداد[5].

جـ - الأعياد الرسمية:

وتشمل هذه الأعياد تولية الخليفة أو أذا عوفي من مرض ، أو عند عودته من سفر أو اذا ولد له ولد أو اذا كان عائدا من حرب ، أو عند أفتتاح مدينة ما ، كما حدث سنة 630هـ/ 1232م عندما دخل الجيش العباسي مدينة أربل عنوة بعد وفاة صاحبها مظفر الدين أبي سعيد كوكبري ، حيث كتب قائد العسكر شرف الدين أبو الفضائل أقبال الشرابي على جناح طائر الى الخليفة يخبره بفتح المدينة ، فحصل بذلك الأستبشار ، وضربت الطبول ، وأفرج عن جميع المعتقليين في الحبوس ، وحضر الشعراء في الديوان ، وأدوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر[6] .

وكذلك من الأعياد الرسمية الأخرى هو الأحتفال بأفتتاح المدرسة المستنصرية سنة 631هـ/1233م، فقد حضر الخليفة – المستنصر بالله – وحضر نصير الدين أبن الناقد ، وسائر الولاة والحجاب، والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط

---

[1] اما (ميخا) فسماه (مرمكيخا).الحوادث الجامعة ،ص342.

[2] هذا الجاثليق هو من الترك من بلاد الخطا ، ورد من بلده في خدمة الخان الأعظم ، وكان سبب مجيئه الى العراق هو لأجل زيارة بيت المقدس . ينظر. الشبيبي ، مؤرخ العراق أبن الفوطي ،جـ2 ، ص175

[3] المدائن: وهي المدينة الفارسية القديمة – طيسفون – أو طاق كسرى ، وكانت عاصمة للفرس الساسانيين أيام أستيلائهم على العراق قبل الأسلام ، وآثارها تبعد الأن عن جنوب بغداد بحوالى عشرين كيلو متر ، وكان فيها دير يعرف بدير قنا تقام فيه هذه الاحتفالات ينظر،العمري ، مسالك الابصار ، جـ 1 ، ص256.

[4] موضع قريب من دير قنا السالف الذكر جنوب طاق كسرى

[5] الشبيبي ، مؤرخ العراق أبن الفوطي ، ص177 ،178 . القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص313

[6] الحوادث الجامعة , ص70 , 71 , 72

والصـــوفية ، والوعاظ، والقراء، والشـــعراء، وجماعة من أعيان التجار الغرباء الى المدرسـة ، وخلع على المتوليين للعمارة والصـناع والحاشـية ، وعلى المعنيين للخدمة بخزانة الكتب ، ثم مد سـماط في صـحن المدرسـة ، فكان عليه من الأشـربة والحلواء وانواع الاطعمة ما يجاوز حد الكثرة، هذا وقد أفيضت الخلع على الحاضرين[1].

هذا فضـــلا عن الاحتفالات الأخرى مثل الاحتفال بختمة القران الكريم , فكانوا من مظاهره العامة يلبسون أحسن ثيابهم ويزينون دورهم ويضعون فيها مجامر الفضة , ويوقـدون فيهـا النيران الكثيرة , ويـدعون بعض العلمـاء لحضـــور امثـال هـذه الاحتفالات , كما يدعون اهل المحلة من نساء ورجال , ففي سنة 632هـــ/1234م ختم الامير ابو احمد عبد الله ولد الخليفة المســتنصـــر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل ابي المظفر علي بن النيار واحضـــر له خلعة: قميص اطلس وبقيار قصــــب مغربي, فامتنع من لبســـه تورعا لما ورد من ذلك من النص الدال على التحريم , واحضـــر له قميص مصـــمت غزلي وبقيار قصـــب بحرير, وانعم عليه بالفي دينار وفرس عربي وخلع على ولد صـغير واعطي مئتي دينار ونقد الى داره ما حمله اثنان واربعون حمالا , ثم عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشـرة الالاف دينار ثم خلع على وكيلـه العـدل عبـد الوهـاب بن المطهر وعلى ولـده وعلى جميع الخـدم والحاشية[2].

وفي سـنة 634هـــ (ختم الامير ابو القاسـم عبد العزيز ولد الخليفة المسـتنصـر بالله القران المجيد على مؤدبه العدل ابي المظفر علي بن النيار وجرت الحال في الدعوة والخلع كالعادة)[3] .

ومن المناسـبات الاخرى التي يحتفل فيها عامة بغداد هو شـفاء الخليفة من مرض ما ففي سـنة 642هـــ/1244م مرض الخليفة المسـتعصـم بالله ومن شـدت مرضـه لم يسـتطع اسـتقبال والدته عند قدومها من الحج فانزعج الناس من ذلك الا انه بعد فترة استعاد الخليفة عافيته وظهر للناس راكبا في دجلة وزين البلد بالتعليق والمغاني فرحا بعافيته ونظم الشعراء في ذلك اشعارا كثيرة ابتهاجا بهذا اليوم[4].

د ـ الاحتفالات والمناسبات الأسرية:

عرفت الأسرة البغدادية العديد من الاحتفالات او المناسبات التي تقيمها احتفالا بزواج او ولادة طفل او ختان او مأتم ولا تخلو اسرة من ذلك سواء كانت من الاسر الحاكمة او من عامة المجتمع البغدادي الا انها اختلفت في ابعادها من حيث البذخ والترف والولائم الا انها متفقة من حيث تقاليدها المعروفة .

ومن هذه المناسبات:ـ

---

[1] **الحوادث الجامعة, ص82**

[2] **م. ن, ص99**

[3] **م . ن , ص119**

[4] **الحوادث الجامعة,ص221**

1- حفلة الزواج: من المناسبات السعيدة التي تحتفل بها الاسر البغدادية والتي تحرص عليها عند بلوغ ابنائها مبلغ الرجال هو تزويجهم , وفق ما اوصى به الدين الاسلامي وجرت العادة بان تختار الام الزوجة الصالحة لابنها وهو قد لا يراها الا ليلة زفافه[1] , وتعينها الخاطبة على اختيار الفتاة حيث كانت تتظاهر ببيع العطور والبخور وغيرها من اللوازم التي تحتاجها المراة وبذلك يتاح لها دخول البيوت والاطلاع على اسرار الفتاة , فتستطيع ان تاتي للعريس بالعروس التي تتفق مع رغباته وميوله.والغالب ان الفتاة لم يكن لها أي راي في اختيار شريك حياتها بل ظل الراي الاول والاخير لوالدها وربما شاركته في ذلك الام[2] .

وكان من الضروري ان يسعى اهل الفتاة المخطوبة الى معرفة اخلاق الخاطب المتقدم لابنتهم من خلال الاستفسار عن سلوكه وقدرته المالية ومنزلته الاجتماعية من منطقته او معارفه[3], وما ان تحصل القناعة عند اهل الفتاة يتفق الطرفان على تحضير مستلزمات الزواج وتكاليفه ونفقاته من المهر وغيره وتقرا سورة الفاتحة ايذانا بموافقة الطرفين , واعلان الخطوبة فاذا انتهت مرحلة الخطوبة جاء دور عقد القران , فتكتب خطبة صداق تتراوح بين الطول والقصر حسب مكانة صاحب العقد وربما فضل كثيرون عقد الانكحة في المساجد طلبا للبركة , فيجتمعون ومعهم المباخر المفضضة التي يحرقون فيها البخور , وبعد كتابة العقد ينصرفون في حفل كبير[4].

كانت العروس تجهز قبل العرس , وقد يتولى ابوها تجهيزها فينفق في سبيل ذلك الاموال كان يصوغ لها ((دستا من الفضة))[5] ويبدو ان ذلك كان يحدث بالنسبة للعوائل الغنية فقط كهدية من الوالد الى ابنته في مثل هذه المناسبة[6], حيث كان جهاز العروس يختلف من اسرة الى اخرى حسب مكانة اصحاب العرس ومدى ثرائهم , ففي افراح الخلفاء والسلاطين والامراء كان جهاز العروس يحمل احيانا بقوافل الدواب والجمال ومئات الحمالين وقد افاضت المصادر فيما يفعله الخلفاء في زواجهم , اما اذا كان اصحاب الفرح من عامة الناس فانه يحتفل بنقل الجهاز في حفل يشترك فيه الاقارب والمعارف[7].

وفي ليلة الزفاف تقام وليمة كبيرة للاهل والاصدقاء تسمى وليمة العرس , والاخرى للرجال تقام في بيت العريس , وربما تقدم الوليمتان في بيت واحد وبعد الطعام – أي في المساء – يخرج العريس قاصدا بيت العروس في موكب كبير يحف به الأهل والاصدقاء , وبوصول العريس الى منزل عروسه يبدأ حفل الزفاف الذي تحيه عدة جوق من المغاني , فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف وزغاريد النساء , وكثيرا ما

---

(1) **ابن الجوزي , ذم الهوى , ص632**
(2) **عاشور , دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص273**
(3) **ابن الجوزي , تلبيس ابليس , ص114**
(4) **عاشور , دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص273**
(5) **ابن الجوزي , تلبيس ابليس , ص382**
(6) **فهد , العامة ببغداد , ص256**
(7) **عاشور , دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص273**

يتباهى المدعوون والمدعوات بالمبالغة في تقديم النقوط الى المغاني , فضـــلا عن الهدايا من الشمع والخزاف والسكر والتحف الفاخرة الى اصحاب العرس[1].

ومن امثلة زيجات هذه الحقبة هو زواج ابنة بدر الدين لؤلؤ صـــاحب الموصـــل من الامير مجاهد الدين ايبك المســـتنصـــري المعروف بالدويدار الصـــغير , حيث ذكر صـــاحب الحوادث كيف تم عقد الزواج , بحضـــور قاضـــي القضـــاة ابو المعالي عبد الرحمن بن مقبل ونائباه عبد الرحمن بن عبد الســـلام بن اللمغاني وعبد الرحمن بن يحيى التكريتي , وحضـــر مجاهد الدين الدويدار ومعه جماعة كبيرة من خدم الخليفة واصحاب الشرابي وحاشية البدرية , وجلس على يمين نصير الدين نائب الوزارة , وخطب الخطيب ابو طالب الحســـين بن المهتدي بالله خطبة النكاح , وتولى العقد القاضـــي ابن اللمغاني , وكان وكيل بدر الدين لؤلؤ رسوله امين الدين لؤلؤ والصداق مبلغه عشـــرون الف دينار , وكتب كتاب الصـــداق في ثوب اطلس ابيض , وعملت دعوة عظيمة , ثم نهض مجاهد الدين وخلع نصـــير الدين على من باشـــر العقد من القضاة والشهود والوكلاء[2] .

2- ولادة الطفل:

يحتفل اهل بغداد بولادة الطفل الجديد باســـاليب مختلفة تتناســـب ومقدرتهم المالية ومنزلتهم الاجتماعية , وتبدا بعد ولادة الطفل مباشـــرة فان كان ذكرا صـــلوا على نبينا محمد (عليه واله الصـــلاة والســـلام) وان كانت فتاة ترضـــوا على الســـيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وتزينه بالملابس المعدة حتى يقدم بعد ذلك الى احد اقربائه من المشهود لهم بالصلاح فيؤذن في اذنيه الاذان الشرعي ثم يسمى من قبل ذويه .

---

(1) م . ن , ص274

(2) الحوادث الجامعة , ص99 , حوادث سنة 632هـ

وهذه العادة لا خلاف عليها الى يومنا هذا فهي من الامور التي بقيت الاسرة البغدادية ملتزمة بها الى وقتنا الحاضر .

وكانت هناك رسـوم خاصـة يتبعونها بعد مجئ المولود فكانوا يذبحون للمولود الذكر (عقيقة) شاتين وللانثى شاه واحدة وربما ذبحوا شاه لكل منهما[1] , ثم يضعون في فم الطفل بعض الحلوى كالتمر مثلا اذ يعتبرون ذلك سنة نبوية[2] .

بعد ذلك تقبل النساء على ام المولود وهن يزغردن ويرفعن اصواتهن بذلك مع ضرب الـدفوف والرقص واللعـب واللهو في حين تـدوي المزامير والابواق على ابواب المنازل " لتعمل ما في وسعها من الهرج والشهرة " ويتضاعف الفرح خصوصا اذا كان المولود ذكرا ففي هذه الحالة يتعين على والده ان يقيم((وليمة ذكر)) يدعو اليها الاهل والاصـدقاء , ويفرط في عمل الوان الطعام الفاخر وتسـتمر هذه الافراح عادة سـبعة ايام لا تنقطع خلالها وفود المهنئين والمهنئات , وعندما تحل الليلة السـابعة – وهي ليلة الاسـبوع – يقام احتفال كبير فترتدي ام المولود الثياب الجديدة وتطوف بأنحاء الدار في موكب كبير تحيط به الشـموع من كل جانب , والقابلة امامها تحمل المولود وامام القابلة امراة اخرى معها طبق به شئ من مخلوط الملح وبعض الحبوب تنشره يمينا ويسارا , هذا فضلا عن احراق نوع من البخور لمنع الحسد والجان[3] .

واذا رزق الخليفة او احد الامراء بمولود فان الاحتفال يعم بغداد فتعلق الزينة في الشوارع والاسواق ويخرج الناس للفرجة والمشاركة في هذا الاحتفال.

---

[1] **الغزالي , احياء علوم الدين , جـ 2 , ص56**

[2] **م. ن , جـ 2 , ص57**

[3] **عاشور , دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية , ص274**

3- حفلة الختان:

الختان تقليد سـنه الدين الاسـلامي بصـفته من مظاهر النظافة والطهارة والوقاية الصحية فيما أشارت اليه المرويات من الحديث والسنة ، والعادة أن المسلم يفضل أن يختن ولده بمعية الأطفال الأخرين ونفقاتها تختلف من شخص الى اخر[1] .

ومن العادة ايضـا أن يتم الختان في سن مبكرة وقد يكون بعد الولادة بأيام أذ تقام حفلة بالمناسبة يحضرها الأقارب والأصحاب وتقدم الأسمطة الزاخرة بكل انواع الطعام[2] ، وكان لا بد للمدعوين في هذه المناسبة من تقديم النقوط لأهل الطفل " وفي الطشت الذي يطهر فيه الولد " فأذا كان الختان خاصـا بأحد أبناء الخليفة ، نادى المنادي بذلك في الطرقات ، حتى يحضـر كل من يشـاء أبنه ليختن مجانا بعد أبن الخليفة ، وبذلك يعم الفرح في المدينة ومن أمثلة حفلات الختان لأولاد الخلفاء ، ومن يتفضـل الخليفة بأكرامهم فيختون من أولاد الأمراء والمماليك ما حدث سنة 644هـ / 1246م حيث ختن أبنا الخليفة المسـتعصـم وهما الأمير أبي العباس أحمد ، وأبي الفضـائل عبد الرحمن ، والأمير علي بن أبي القاسم عبد العزيز بن المستنصر بالله ومعهم من أبناء الأمراء غازي بن الأمير أيبك الخاص الدويدار الصـغير وغازي بن الأمير أصـلان تكين الناصري واحمد بن الأمير محمد بن أيبك الأنباري الناصري ، وشرف بمباشرة الختان الحكيم مسعود بن القس ساعور المارستان وأخوه أبو الحسين ،وقد خلع بهذه المناسبة على الأستاذ أقبال الشرابي وقلد سيفين ، ثم على الاستاذ كافور الظاهري ، ثم على جميع الخدم وعدتهم أربعمائة ، ثم على الفراشـين والبوابين ، وحاشـية دار التشريفات والنواب ثم على الطبيب ،وقرب للأميرين فرسين ونثر عليهما ذهب مبلغه ألف دينار التقطه الحاضـرون ، ثم نثر اقبال الشـرابي الف دينار ، وثيابا قيمتها خمسـمائة دينار ثم حضـر باب البدرية خلق كثير من المغنين وغيرهم ، فأنعم عليهم بعشرة ألاف درهم[3].

4- المآتم والأحزان

كان لأهل بغداد مراسيم خاصـة في المآتم والأحزان ، طغت عليها التعاليم الاسـلامية فمن الرسـوم التي كانت متبعة عند وفاة شـخص هو الأعلان عن وفاته، فأن كان من الخلفاء والأمراء أو العلماء وأرباب الوظائف الكبرى والتجار فأنه قد يعلن عن ذلك

---

[1] **الطبرسي ، رضي الدين أبي نصر بن الفضل(ت القرن6هـ) ، مكارم الأخلاق ، مؤسسة النعمان بيروت ، د . ت ، ص238, 239.**

Ali mozahery , lavie Qutidien nedes Musulmanna
Moyen Age , 1901 , Pairs , P.55 – 50

[2] **الغزولي ، مطالع البدور في منازل السرور ، ص107**

[3] **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2 ،ص544**

في مأذن المدينة ، بينما ينشــر أخبار وفاة العامة بين الناس بالصــلة أو المعارف فيما بينهم ،بعدها تبدأ عملية غســـل المتوفي ، كما أمرت الشـــريعة الاســـلامية بذلك ويحضرها أهله وأصدقائه ، وتثبت طبيعة وفاته بشكل سليم أثناء عملية الغسل أمام الحاضــرين ثم يكفن بنسيج شـرعي[1] ، ليس فيه بهرج ولا خروج عن كفن السـلف الصــالح ، ثم تشيع الجنازة الى أحد الجوامع حيث تقام صلاة الجنازة عليه ، بعد ذلك تحمل الجنازة الى المقبرة ، وقد يبادر الناس الذين تمر بهم الجنازة الى الســـير خلفها بعض الوقت أو حملها لمســـافة معينة مســـاعدة منهم لأهل الجنازة ، هذا وقد تخرج نائحة تنوح خلف الجنازة[2]

أو قد يؤتى بمنشـــدين من أصـــحاب الأذكار فيســـيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهليل ، وترتيل الألحان[3] . وبعد أن يصـــل المشـــيعون بالجنازة الى المقبرة يؤم جماعة بقراءة ســـورة ياســـين ثم تبارك ثم الأخلاص ثم المعوذتين ثم الفاتحة وأوائل ســـورة البقرة طيلة مراسـيم الدفن وبعدها يوارونها التراب ، هذا وقد أعتاد أهل بغداد أن يدفنوا موتاهم خارج أســوارها ، وداخل أســوارها ايضــا[4] ، كما أن البعض كان يدفن موتاه قرب مشاهد الأئمة الصالحين(عليهم السلام).

وبعد مراســيم الدفن ، كان الناس يحضــرون لأهل المتوفي لتقديم التعازي، ويطيبون خاطرهم ويصـــبروهم على بلواهم ، ثم تعقد بعد ذلك مجالس المأتم التي تقرأ فيها القرآن، هذا وقد كان هناك نوعان من المجالس نوع خاص للرجال والأخر للنســـاء ، وفي مجالس النســـاء قد يؤتى بقراء عميان أو بقارئات من النســـاء، هذا وبعد مرور شـــهر على الوفاة يعقد أهل المتوفي مجلســـا للوعظ ، ويكون لباســـهم خلال هذه الحقبة(الدون من الثياب) ويبقون على ذلك مدة شـــهر وربما الى ســـتة أشـــهر وكان ملابس العزاء عادة سوداء اللون، سواء كان المحزون رجلا أو أمرأة.

اما في حالة وفاة الخليفة أو شخص قريبا منه ، فأن الحزن يشمل المدينة بأكملها فترى أسواقها مغلقة وقد علقت الأقمشة السوداء (المسوح) على جدرانها ، ويجلس الوزير وكبار رجال الدولة للعزاء في صحن السلام بدار الخليفة ثم يتوافد الناس بعد ذلك الى دار الخلافة لتقديم التعازي [5] ففي ســنة 599هـــــ /1202م توفيت زمرد خاتون ، وحزن عليها ابنها الخليفة الناصـر لدين الله حزنا شـديدا،وفعل في حقها مالم يفعله احد ،وصــلى هو عليها في صــحن الســلام ،ومشــى بين يدي تابوتها الى دجلة من ناحية قصــر التاج ،وامر الخليفة ان يمشـي الناس من دجلة الى تربتها المجاورة لقبر الشـيخ معروف الكرخي, على الرغم من بعد المســافة , وعمل العزاء شــهرا كاملا وانشـدت المراثي وختمت الختمات والزم ارباب الدولة بضـــرورة لبس ثياب العزاء البيضـــاء

1) أطلق على المؤسسات الجنائزية الخاصة بتغسيل الموتى وتجهيزهم للدفن ، بمغاسل الموتى وهي مؤسسة خيرية تقوم بتغسيل الأموات من الفقراء ، وتجهيزهم للدفن . عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص284 ،285.

2) فهد ، العامة ببغداد ، ص249

3) الحوادث الجامعة ، ص281

4) فهد ، العامة ببغداد ، ص250

5) فهد , العامة بغداد , ص250 , ص251

سـنة كاملة وهذا امر لم يعمل مثله لاحد[1], وامر الخليفة ان يتصـدق بجميع ما خلفته من ذهب وفضـة وجواهر وثياب على جواريها وذوي الحاجة , ومماليكها فقسم بينهم وحمل ما في خزائنها من الاشـربة والعقاقير الى المارسـتان العضـدي وكان يسـاوي الوفا , وحزن عليها اهل بغداد حزنا عظيما لانها كانت محسنة الى الناس[2].

وفي سنة 612هـــ/1216م توفي ولد الخليفة ابو الحسن علي الذي كان يلقب بالملك المعظم وكان احب ولدي الخليفة الناصر اليه لدرجة انه قدمه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر ابي نصـر الذي لقب بالظاهر بامر الله , حيث تشـير النصـوص الى ان الخليفة حزن على ولي عهده حزنا شـديدا وشـارك في تشـيعه الى مثواه الاخير حيث دفن على مقربة من قبر الشـيخ معروف الكرخي , وارسـل الى اصـحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه برهه من الزمن[3] , هذا وقد شـارك اهل بغداد الخليفة في فاجعته هذه اذا اقيمت المناحات ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النواح[4].

---

[1] **ابن الاثير , الكامل في التاريخ , جـ 9 , ص261 ؛ ابن الساعي , الجامع المختصر , جـ 9 , ص102 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , جـ6 , ص182 ؛ الكازوني , مختصر التاريخ , هامش ص242**

[2] **سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان , جـ8 , ق2 , ص513**

[3] **ابن الاثير, الكامل في التاريخ , جـ9 , ص310 . ابن الفرات , تاريخ , مج5 , جـ1,ص169,170**

[4] **ابن الاثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص310 . ابن واصل مفرج الكروب , جـ 3 , ص229.**

الفصل الرابع

المبحث الثاني:

ثانيا : وسائل التسلية

تعددت وسائل التسلية في بغداد وتنوعت كلا حسب هواياته ومواهبه ومنها ما كان يخص الخلفاء والأمراء ، في حين اختصت بعض الألعاب ووسائل التسلية بالعامة من الناس ومن هذه الوسائل.

أ- الألعاب الرياضية:

1- الفروسية

اهتم العرب قبل الإسلام بالخيل وتربيتها ومعالجة أمراضها وأنسابها حتى إن البعض منهم ألف بأنسابها وصفاتها الكتب والمصنفات[1]، وارتبط بالخيل وتربيتها نظام الفروسية الذي عرفه العرب قبل الإسلام[2]، بصفته نوع من أنواع الرياضة فضلا عن خصوصيته في المهارة والتسلية.

وفي ظل الإسلام تبوء الفارس مكانة متقدمة ضمن أسلحة الجهاد والدفاع التي شرعها الإسلام فكان للفارس ثلاث حصص في الغنائم بينما كان للراجل واحدة وهذه مسألة تبين لنا أهمية سلاح الخيل والفروسية في الإسلام وروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه كان يسمح بممارسة رياضة سباق الخيل[3] ، وهي حالة تعبر عن الرغبة في التمرين على ركوب الخيل وتنشيط الخيول في الوقت نفسه.

هذا وقد استمر الخلفاء والأمراء على هذا النهج في المدن الإسلامية ومنها بغداد، حيث تعد لعبة سباق الخيل في هذه المدينة من الألعاب القديمة ، التي كان يحضرها الخلفاء بأنفسهم ومن بين الخلفاء الذين كانوا لديهم ولع في ركوب الخيل والصيد في البر والبحر والرماية[4] الناصر لدين الله ، فكان يحب الظهور للناس والتقرب إليهم قبل أن تعتل صحته[5] ، فقد كان سباق الخيل من أحب ألوان التسلية عند الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، هذا وقد أباح الفقهاء هذه الرياضة على ألا تكون وسيلة للحصول على المال ، لما فيها من أعداد الجند لركوب الخيل عند نشوب الحرب ، وقد بلغ من شغف الناس بالسباق إن كان السابق يستولي في بعض الأحيان على الحصان المسبوق[6].

هذا وقد كانت الفروسية مطمح أنظار الشباب لما فيها من ألوان الشجاعة ، ولهذا كان عامة بغداد يمارسونها ويتخذون لها أزياء خاصة ، كذلك تظهر براعتهم في استعمال السلاح كالضرب بالسيف أو الرمي بالقسي والنبال ، وهذا يساهم في تدريبهم لمواجهة

---

(1) الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ 1 ، ص 305.

(2) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ 6 ، ص 14 ، 15.

(3) ذكر إن احد الأنصار طلب من الرسول(صلى الله عليه وسلم) السباق فأجابه الرسول(صلى الله عليه وسلم) ووجه أسامة بن زيد ليتسابق معه . ينظر؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة ، تحقيق طه محمد الزيني ، 1389هـ / 1969م ، جـ1،ص415؛ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، جـ 2 ، ص 30

(4) ابن دحية ، النبراس في تاريخ بني العباس ، ص 165؛ ابن المعمار ، الفتوة ، ص 125

(5) فوزي ، فاروق عمر ، الخليفة الداهية الناصر لدين الله العباسي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989 ، ص 18

(6) متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ 2 ، ص 215 . حسن ، تاريخ الإسلام ، جـ 4 ، ص 614

التحديات والمصاعب عند نشوب الحروب ، وفي الوقت نفسه تستخدم هذه الأسلحة كوسيلة للتسلية عند خروجهم للصيد وكانت هذه الأسلحة تختلف من حيث النوع حسب الحيوانات التي يريدون صيدها ، فعندما كانوا يخرجون لصيد الطيور فإنهم يحملون معهم قسي البندق ، التي برع أهل بغداد في صناعتها[1].

2- اللعب بالبندق

أما البندق فهي لعبة تتكون من عدة كرات تختلف في صناعتها كان تكون من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها من المواد وترمى في الهواء ويحاول المتسابقون صيد الطيور بقوس البندق[2]، ولقد أصبح ذلك من رسوم دار الخلافة ببغداد ، حيث كان إذا جلس الخليفة جلوسا عاما ، حمل خادم بيده قوس بندق ليرمي به كل غراب أو طير يقع قريبا من الموضع الذي يجلس فيه الخليفة ويحدث أصواتا[3]، وقد حظيت هذه اللعبة باهتمام الخلفاء والأمراء في العصور اللاحقة حيث روى عن الخليفة الناصر لدين الله اهتمامه بهذه اللعبة[4] ، بمعية اهتمامه باللعب الأخرى التي تتصل بنظام الفتوة التي خول من صاحبها بتنظيم المنتسبين إليها ، من خلال اهتمامهم بشؤونها وألعابها المختلفة ، وقد أرسل إلى ملوك الأطراف بوجوب انتساب الذين يمارسون لعبة البندق إلى الخليفة بصفتها احد اللعب التي تدخل ضمن نظام الفتوة ، حيث يقف على رأسه الخليفة الناصر[5]، وكان ممن حضر عند الخليفة في رمي البندق جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي المتوفى سنة 649هـ /1251م[6] هذا وقد استمر الاهتمام بهذه اللعبة حتى بعد خلافة الناصر لدين الله حيث ورد في سنة 634هـ /1236م انه وصل بشر خادم الأمير ركن الدين إسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ونفران من رماة البندق ومعهم طائر قد صرعه ركن الدين وانتسب في ذلك إلى شرف الدين إقبال ألشرابي ، فقبله وخلع عليهم[7].

3- الصيد:

كان الصيد شائعا لدى أهل البادية خاصة فهو ليس للنزهة والراحة فحسب وإنما وسيلة من وسائل الارتزاق من جهة ومن جهة أخرى فهو أسلوب من أساليب التمرين والمهارة ، ولعل أهل البادية كانوا بحاجة إلى ذلك بسبب طبيعة حياتهم الصعبة ثم أصبح الأمر في ظل الدولة العربية وحضارتها نوعا من الرياضة الممتعة ، بل كان الخروج إلى الصيد عند الخلفاء والأمراء وذوي الشأن يتخصص بالتسلية والتدريب والمهارة .

---

(1) فهد ، العامة ببغداد ، ص 244
(2) طلس ، محمد اسعد ، الحياة الاجتماعية عند العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة 1951، ص 278 ، 279 ؛ النقيب ، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، هامش رقم (65) ، ص 105
(3) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص 82 ، 91
(4) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص 322 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 342
(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 361 ؛ القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ 2 ، ص 60
(6) الحوادث الجامعة ، ص 300
(7) م . ن ، ص 125

وقد عرف الخليفة الناصر لدين الله بولعه بالصيد ، فكان كثير ما يُرى راكبا زورقا في نهر دجلة يصيد ، وفي أحيانا أخرى يتصيد في البرية ، فقد كان صيادا ماهرا أتقن الرماية اتقانا عاليا ، وانه تمكن إن يصطاد أنواعا وأعدادا كثيرة من الطيور[1].
هذا وقد اختلفت الأسلحة التي تستخدم في الصيد حسب نوعية الحيوانات التي يرغبون اصطيادها فكانت النبال تستخدم لصيد الأسود ، وقسي البندق في صيد الطيور[2] وغيرها من الأسلحة الأخرى.
أما مواضع التي كان يرتادوها لصيد الطيور فهي الشماسية شمال بغداد من الجانب الشرقي منها قرب دير سمالو ، حيث كانت هناك أجمة قصب تلتجئ إليها أنواع الطيور[3].
وقد عرف عن شباب محلات بغداد ولعهم في صيد السباع فكانوا يخرجون بين المحلات لمطاردتها ، وعند اصطيادها ، كانوا يتبجحون ويظهرون فروسيتهم وشجاعتهم أمام بقية المحلات ، هذا وقد تصل أحيانا إلى درجة التحدي بين أبناء المحلات ، ومن ثم منعهم من المرور في محلاتهم ، مما يؤدي إلى وقوع فتنة بين أبناء المحلات كما حدث سنة 601هـ / 1204م بين أهل محلة باب الازج وأهل المأمونية وسببها إن أهل باب الازج قتلوا سبعا وأرادوا أن يطوفوا به ، فمنعهم أهل المأمونية فوقعت بينهما فتنة أدت إلى قتل جماعة منهم [4] ، وتكرر نفس الحدث سنة 614هـ / 1243م ذهب ضحيتها قتلى من الجانبين [5].
أما اتخاذ الصيد كوسيلة للترفيه فقد عرف عن الخليفة المستعصم بالله خروجه المتكرر للصيد ففي سنة 641هـ/1243م خرج الخليفة مع أمراءه وخواصه ومماليكه والخدم لصيد الغزلان وحمير الوحش ، فيذكر أن عدد ما صاده يزيد على ثلاثة آلاف رأس ، فرقها على أرباب الدولة والحاشية ، وكانت مناطق صيده هي في ناحية الانبار[6]، وتكرر خروجه مرة أخرى سنة 643هـ /1245م[7].

4- رياضة السعي (العدو):
هذا ومن وسائل اللهو والتسلية التي ظهرت في مجتمع بغداد هي رياضة السعي والعدو ، فقد ذكر عن احد المشهورين بهذه الرياضة وهو بركة بن محمود الساعي ، وهو من أهل الحربية من محلات بغداد الغربية ، يُذكر انه سعى من واسط إلى بغداد في يوم وليلة ، ومن تكريت إلى بغداد في يوم واحد ، وحصل له بسبب ذلك مالٌ كثير

---

(1) **إن جملة ما اصطاده الخليفة الناصر لدين الله من الطيور وأنواعها بلغ عدده ما يقارب (1445) طائرا وهي (445 كركياً و 734 إوزة و 21- لقلقاً وهو غير اللقلق و 10 عقبان و 28 مرزماً و 21 بجعا و 114 غرنوقا و 4 تموم وعنازان و66 شبيطرا أو سبيطراً وهو اللقلق) وهذه عشرة أصناف من أربعة عشر صنفا هي أصناف طير الفتوة أي الطير الجليل ويسمى طير الواجب أيضا . ينظر : جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص 73 ، 74**
(2) **فهد ، العامة ببغداد ، ص 245**
(3) **ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 67**
(4) **ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 268**
(5) **م . ن ، جـ 9 ، ص 318**
(6) **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص 518**
(7) **م . ن ، جـ 2 ، ص 536**

وجاه عريض ، واتصـل بخدمة الخليفة الناصـر لدين الله ، وجعله أخيرا مقدما لرجال الغَرَبة ، فكان على ذلك إلى أن توفي سنة 628هـ /1230 م [1].

وفي سنة 642هـــ /1244 م يذكر انه" في هذه الأيام أغري الناس بعدو السعاة في سائر محال بغداد"[2].

وفي سنة 646هـ /1248م" سعى علي ابن الاربلي من دقوقا إلى بغداد ، فوصل بعد العصـر وفضـل على معتوق الموصـلي المعروف بالكُوَيزْ نصـف سـاعة ودار حول الكشك شوطا ، وخرج الى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله وأولاده ، وجلسوا في الكُشك إلى حين وصوله ، وكان هذا المذكور مختصا بخدمة الأمير مُبارك ولد الخليفة ، فأمر له بفرس من مراكبه وخِلْعة وذَهَب ، ودارَ من الغد في البلد بالطبول والبوُقات ، فحصل له شيء كثير "[3].

5- اللعب بالحيوانات

والمقصود بالحيوانات (الحمام – الديكة) فالنوع الأول كان يربى لشكله الجميل وقوة طيرانه , وقد اعتنى به الهواة طوال الحكم العباسـي وحتى وقتنا الحالي فكانت تربيته في البيوت هواية محببة للكثير من الناس تملأ عليهم وقت فراغهم , وكان لها سـوق ببغداد يقع في الجانب الشـرقي منها[4] , يتردد عليه الناس وخصـوصـا الهواة لشـراء الطيور منها أو بيعها فيه .

ولم تكن هذه الهواية مقصـورة على العامة فقط فقد شـاركهم فيها بقية الناس على اختلاف مسـتوياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصـادية بل حتى الخلفاء اهتموا بهذه الطيور ومنهم الخليفة الناصـر[5]، هذا وقد برز هناك من اهتم بأنواع الطيور والحمام وأنسابها ومنهم الكاتب احمد بن أبي السعود الرصافي , الذي كان يخدم ولي العهد أبا نصـر محمد ابن الخليفة الناصـر لدين الله , حيث كان يكتب له انساب الطيور والحمام توفي سنة 627هـ/1229م[6] .

كما حظيت بعض أنواع الطيور بإعجاب الخلفاء فاسـتخدموها للمراسـلة لا سـيما (الزاجل) فضلا عن التمتع بها , فاقتنوا الجيد منها وحسنوا أجيالها[7] .

وقد اهتم بعض الهواة بتدريب الطيور على الطيران حيث يقومون باتخاذ الأبراج فوق السطوح , ويقومون بتربية مجموعة من الطيور ويدربوها تدريجيا على الطيران فكانوا يقضـون في ذلك وقت طويل تحت أشـعة الشـمس دون مبالاة لحرارتها وهم فرحين بمراقبتها وهي تطير في الجو[8] , وأشهر هذه الأنواع هو المعروف بـ(الهدى

[1] **الحوادث الجامعة ، ص 46 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص 24**

[2] **الحوادث الجامعة ، ص 234**

[3] **الحوادث الجامعة، ص 278**

[4] **ابن الجوزي , مناقب بغداد , ص26 ؛ فهد , العامة ببغداد ,ص237**

[5] **ابن الاثير , الكامل في التاريخ , جـ9 , ص361 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص342**

[6] **الحوادث الجامعة , ص37**

[7] **يذكر ان الخليفة الناصر لدين الله ربي الطيور المناسيب والذي بلغ في اعتنائه بها انه منع ان يربي احد هذه الطيور الا بعد ان ياخذ من طيوره (أي من نسـلها) ينظر : ابن الاثير, الكامل في التاريخ , جـــ9 , ص361 حوادث سنة 622 وكذلك ذكر عن الخليفة المستعصم بالله انه كان صاحب شغف بالطيور ينظر ابن العبري , تاريخ مختصر الدول , ص254 , حوادث سنة,640 هـ**

[8] **فهد ، العامة ببغداد ، ص240**

أو الهداء) وقد يسمى (المناسيب)[1] , أو(الزاجل أو الزاجر)[2] ، الذي استعمل في البريد من قبل الحكومة وذلك لشدة سرعته وقوته في الطيران[3] .
والى جانب ولع أهل بغداد بالطيور ، فأنهم اهتموا باقتناء أنواع أخرى من الحيوانات من أجل مهارشتها والتفرج عليها مثل الديكة والسمان[4] ، والأكباش والقبج[5] ، فكانوا أذا أرادوا مهارشتها جاءوا باثنين من كل نوع وجعلوا الواحد مقابل الأخر فتبدأ هذه الحيوانات بالمهارشة ، فيجد الهواة عند ذلك متعة وقضاء للوقت[6].

ب- المجالس الاجتماعية:

1- مجالس الوعظ

كانت مجالس الوعظ من الوظائف الدينية الأكثر تأثيرا في المجتمع ، فهي خير أداة للتوجيه والإرشاد ، وتتطلب أولا معرفة فقهية لا بأس بها تمكن الواعظ من شرح المسائل الشرعية والإجابة على ما يتعلق بها من الأسئلة ، وذلك بأسلوب بسيط لا يخلوا من البلاغة وبإلقاء حسن ، لمخاطبة القلوب وتحريك المشاعر[7]، وعلى الواعظ أن يكون واسع الأفق قوي التفكير عميق الإدراك ، وعلى اطلاع واسع بالمسائل الدينية والفلسفية ، ودراية بعلوم وآداب وفنون عديدة ، بما يتعلق بشؤون الحياة ، فكلما وسعت قاعدة معلوماته أدى وظيفته بفعالية وتأثير أكبر في مستمعيه[8].
وقد كانت موضوعاته التي يتداولونها في هذه المجالس تركز على جانب التنظيم الاجتماعي ووحدة المجتمع وتماسكه والإصلاح الخلقي والتربية النفسية لأفرادها ومحاولة إزالة ما يخالف الشرع ومحاربة البدع والمنكرات والمفاسد التي تظهر في المجتمع[9] فضلا عن أبراز قضاياهم الفكرية وهي قضية الله ووجوده وحلوله ووحدانيته وقدرته ، ولذا فهم يخلطون وعظهم بألفاظ معماة ورمزية صوفية .

---

(1) أبن الأثير ، الكامل ، جـ9 ، ص181
(2) أبن سيده ، المخصص ، جـ10 ، ص170
(3) الجاحظ ، الحيوان ،جـ1 ،ص97
(4) السمان أو السماني : طائر من فصيلة الدجاج ، ويعد من القواطع . ويقال أنه هو السلوى المذكور في القرأن والذي كان ينزل على بني أسرائيل في التيه كان من عاداته أن يسكت طوال الليل زمن الشتاء فأذا أقبل الربيع اخذ يصيح مع أبتلاج الصبح هذا ونوعية لحمه بين الدجاج والجمل ينظر:القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص250 ؛ الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى(ت808هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ، 1958 ،جـ2 ، ص26.
(5) القبج :- طائر يسكن الجبال كان من عادته أنه اذا أجتمع ذكران على أنثى تهارشا فأذا أنهزم أحدهما تبع الآخر الأنثى : القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص255
(6) فهد ، المجتمع العراقي في العصر العباسي ، جـ 5 ، ص107.
(7) عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص265؛ فهد ، العامة ببغداد ، ص223 ، حسن ، تاريخ الاسلام ،حـ4 ، ص652؛الراوي ، عبد اللطيف عبد الرحمن ، المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق ، د . ت ، ص240 ،421
(8) أشار أبن الجوزي لذلك بقوله :" والواعظ يسأل عن كل علم . فينبغي أن يكون كاملا".القصاص والمذكرين ، تحقيق أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1406هـ/1986م ، ص22
(9) العلواني ، جهاد عبد حسين ، أثر الوعظ والواعظ في بغداد في القرن السادس الهجري في الحياة السياسية والاجتماعية ، رسالة ماجستير على الألة الطابعة ، غير منشورة مقدمة الى كلية الأداب / جامعة بغداد ، 1414هـ/1993م ، ص61 ، 62

ولهذا كان الواعظ من شيوخ الصوفية يجمع عدة مؤهلات في آن واحد ، فهو مقرئ ومحدث وفقيه ولغوي ونحوي وقد يكون احدهم فضلا عن ذلك أديب وشاعر.
ومن الوعاظ من كان شيخ رباط أو مقيما بالرباط مثل أبي المظفر عبد الصمد بن أبي عبد الله الحسين بن أبي الوفا عبد الغفار الكلاميني المعروف بالبديع الزنجاني المتوفي سنة 581هـ/1185م ، وكان يحدث ويعظ برباطه[1].
ووصفت المصادر شيخ رباط الخلاطية أبا محمد عبد الوهاب بن محيي الدين عبد القادر الكيلاني المتوفي سنة 593هـ/1196م وكان يعظ برباطه بأنه كان " ذا لسان فصيح في الوعظ ، وأيراد مليح مع عذوبة الفاظ وحدة خاطر ، وكان ظريفا لطيفا مليح النادرة ذا فرح ودعابة وكياسة ، وكانت له مروءة وسخاوة "[2] ، وكان يعظ في رباطه ايضا أبو حفص عمر بن ابراهيم بن عثمان التركستاني الواسطي المتوفي سنة 602هـ/1205م وكان شيخ رباط الزوزني[3] ،وأبو المظفر أبن البل الدوري المتوفي سنة 611هـ/1214م الذي كان يعظ في رباطه[4] وأبو النجيب عبد القاهر السهروردي كان يعظ في مدرسته ورباطه[5] ، وأبن أخيه شهاب الدين السهروردي الذي وعظ بعدة ربط.
ولم يكن الوعظ مقصورا على الرجال بل شاركت فيه النساء الواعظات اللواتي عرفن بمجالسهن مثل الشيخة خاصة أبنة أبي المعمر المبارك بن احمد بن عبد العزيز الأنصاري البغدادي الواعظة ،كان لها رباط بباب الأزج أنشأته لنفسها تتكلم فيه بالوعظ ،توفيت سنة 585هـ/1189م[6] ، وكذلك صفية ابنة ابي الفرج عبد الرحمن ، شيخة واعظة ، وأديبة فاضلة ، توفيت ببغداد سنة 620هـ/1223م[7]. وعائشة ابنة الشيخ أبي المظفر محمد بن علي بن نصر بن البل البغدادي الدوري. الشيخة الصالحة ، الواعظة الكاتبة ، سمعت من أبيها وأجاز لها ، وكانت أمرأة صالحة تعظ الناس الصالحات، توفيت سنة 641هـ/1243م ببغداد[8].
ويبدو أن حضور هذه المجالس كانت حرة يحضرها من يشاء من الناس دون قيد أو شرط الى درجة أن بعض هذه المجالس التي كانت تلقى قبولا لدى الناس كان يضيق بها المكان ، فكانت تقدر المصادر عدد حضور هذه المجالس بآلاف الأشخاص ، فقد كان عامة الناس يحضرون مجالس الوعظ رجالا ونساءا ، حتى ان الخلفاء العباسيون يشهدون هذه المجالس في بعض الاحيان وكان الوعاظ من سكان الربط يعقدون مجالسهم في اماكن مختلفة فمنها ما كان يعقد في الربط ومنها في المدارس والاسواق والاعزية ومنهم من كان يعظ في اكثر من مكان , اما اوقات الوعظ فلم تشر المصادر

---

(1) **ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م4 ، ص148.**
(2) **أبن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ،جـ1 ، ص389**
(3) **أبن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، جـ2 ، ص249 ؛ أبن النجار ، التاريخ المجدد ، جـ2 ، ص510 ، 511**
(4) **أبن الدبيثي ، ذيل تاريخ مدينة السلام ، جـ2 ، ص146 ، 147 ؛ أبو شامة ، تراجم رجال القرنيين ، ص88**
(5) **الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ4 ، ص181 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ12 ، ص254**
(6) **المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، م1 ، ص120**
(7) **المنذري , التكملة لوفيات النقلة , م 3 , ص110؛السيوطي، نزهة الجلساء , ص66**
(8) **الذهبي , العبر في خبر من غبر , جـ5 , ص168 ؛ اليافعي , مرآة الجنان , جـ4 , ص104؛ ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , جـ5 , ص211 ؛ كحالة سير اعلام النساء , م3 , ص188**

اليها الا انها عموما كانت تعقد في ايام الصوم من رمضان وفي ايام الجمع بعد تادية الصلاة[1] .
وكان الناس يتاثرون بوعظ هؤلاء الصوفية فقد تاب في مجلس شهاب الدين عمر السهروردي عدد من العصاة , وتخرج على يديه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة , وانتفع به خلق كثير , وقصده المريدون من كل الاقطار [2].
كما أصبحت له مكانة مرموقة عند الخلفاء , فأرسل من قبل الديوان إلى جهات عديدة فكان له الجاه والحرمة عند الملوك والأشراف ما لم يكن لغيره من الناس[3], تولى مشيخة عدة ربط منها رباط الزوزني ورباط البسطامي ورباط المامونية[4], وبنى له الخليفة الناصر لدين الله رباطا على نهر عيسى هو رباط المرزبانية, وبنى إلى جنب الرباط دارا واسعة مع حمام وبستان سكنه الشيخ عمر السهروردي مع أهله[5].
وكان زاهدا في الدنيا فقد حصل على أموال جزيلة لكنه لم يدخر شيا منها اذ كان يفرقها على الفقراء والمحتاجين[6], فعندما توفي سنة 632هـ/1234م ولم يكن له كفن[7].

2- مجالس القصص:

و هي من المجالس الاجتماعية التي كان يحضرها أفراد المجتمع ، و القاص هو الرجل الذي يجلس في الطرقات[8] ، و في المقابر[9] ، و في الجوامع[10] ، و في الأسواق[11] ، يذكر للناس شيئا من الآيات و الأحاديث و أخبار السلف[12] ، و يقص عليهم الحكايات[13].
ومجالس القصص هذه كانت تراثا شعبيا عربيا أصيلا ورثه العرب عن جاهليتهم ، وكانت مادة قصصهم أيام العرب وأخبار الأمم المجاورة [14] ، لذلك رأينا القران يستعمل كلمة القصص في مواضيع كثيرة [15].
واستمرت طبقة القصاص، ومجالسهم في صدر الإسلام ، حيث كانت سيرة الرسول (صلى الله عليه و سلم) مادة طيبة للقصاص ، كذلك دار محورها حول تفسير

---

[1] العلواني , اثر الوعظ والوعاظ في بغداد , ص34
[2] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , جـ6 , ص284 ؛ ابن النجار , التاريخ المجدد , جـ2,ص751 , 752
[3] ابن النجار, التاريخ المجدد , جـ2 , ص751 ؛ السبكي , طبقات الشافعية , جـ5 , ص144
[4] ابن النجار, التاريخ المجدد , جـ2 , ص751 ؛ الحوادث الجامعة , ص74
[5] الحوادث الجامعة , ص74
[6] ابن كثير , البداية والنهاية , جـ13 , ص149
[7] الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص468
[8] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـــ 3 ، ص 123 ؛ ألسبكي، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي البخاري وابو زيد شلبي ومحمد ابو العيون،مطبعة دار الكتب ، القاهرة ،1367هـ / 1948م،ص113.
[9] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 112
[10] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 10 حوادث 413 هـ
[11] الخطيب البغدادي، تاريخ، جـ 3 ، ص 123
[12] ألسبكي ، معيد النعم و مبيد النقم ، ص 113
[13] المسعودي ، مروج الذهب ، جـ 8 ، ص 161
[14] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 120.
[15] عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1378 هـــ ، ص 546

الشريعة الإسلامية ، حتى منتصف القرن الثاني الهجري[1]، و كان من بين القصاص ، بعض القضـــاة [2]، و خطباء على جانب كبير من الثقافة ، و أدباء من أصـــحاب البلاغة و الفصاحة [3].

إلا إن طبقة القصاص سرعان ما تغيرت حتى أصبح غايتها من سرد القصص الكسب المادي فقط ، حتى أن من تولى سردها كان اقل معرفة و ثقافة من سابقه ، وخصوصا في الأمور الدينية ، وهذا ما ظهر جليا في القرنين الثالث و الرابع الهجريين ، حيث انخفض المســتوى العلمي لطبقة القصــاص ، فكانت قصــص ذات طابع خرافي ولا يخلو من الأســـاطير ،التي أدت بالتالي إلى التفاف العامة حولهم[4] ، وازداد عدد المسـتمعين إليهم رجالا و نسـاء ، و كان القاص يقوم برفع صـوته بالدعاء ، ويمد يده لأخذ المال من العامة [5] ، ولهذا ضـعفت مكانته بين الناس ، هذا فضــلا عن ســرده البدع ورواية الأخبار الكاذبة التي ليسـت لها علاقة بالدين [6] ، ومنهم من كان ينشــد شـــعرا غزليا ، أو ينوح على الموتى ، و يصـــف ما يجري لهم من البلاء[7]، أو قد يشــرح بعض العبارات دون أن يكون ملما باللغة العربية و قواعدها[8]، أو يثير الخلافات المذهبية في نفوس العامة.

هذا وقد لعب بعض الوراقين ، دورا كبيرا في تصنيف القصص، و تهيئتها للقصاص فصيغت القصص الخيالية ، وقرئت على العامة ، و استمرت هذه الطبقة في انحرافها عن الهدف الأســاســي لرواية القصــص الدينية خاص في القرن الرابع الهجري[9] ، فكانت هذه القصــص تتضــمن حكايات تحمل الناس على ارتكاب المعاصـــي ، أو قد تدفعهم إلى القتال أو النزاع ، مما أدى في نهاية الأمر أن يصـــدر الخلفاء أمر بمنع القصـــاص من الجلوس في المســاجد، والطرقات لرواية القصــص، كما وقف بعض الكتاب و العلماء ضد هؤلاء القصاص وانتقدوهم فقد وصفهم المقدسي (كان حياً في بـداية القرن الرابع الهجري) فقـال عنهم" إنهم يروون الأعـاجيـب، والترهـات، والأباطيل"[10].

كذلك المؤرخ ابن الجوزي (597 هـــــ / 1200 م) الذي كان يرد عليهم و يفند أقوالهم ويفضح أكاذيبهم[11].

---

[1] الجاحظ ، البيان و التبيين ، جـ 1 ، ص 367 ، 368

[2] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ 2 ، ص 116

[3] الجاحظ ، البيان و التبيين ، جـ 1 ، ص 367

[4] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 3 ، ص123

[5] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص 122

[6] المكي ، أبو طالب محمد بن علي (ت 386هـ-)، قوت القلوب ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، 1351 هـ- / 1932 م ، جـ 1 ، ص149

[7] الغزالي ، أحياء علوم الدين ، جـ 2 ، ص 331

[8] ابن الجوزي ، أخبار الظراف ، ص90

[9] القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص 331

[10] مطهر بن طاهر ، البدء و التاريخ ،باعتناء كليمان هوار ، مطبعة برطندة ، شالون ، 1899 -1919 م ،جـ 1، ص 1899

[11] و قد صرح بذلك في عدة مواضع من كتبه ، (تلبيس إبليس) و(أخبار الحمقى).

هذا وبقيت مجالس القصص مراقبة من قبل الحكومة و تراقب القصاص طيلة القرن الخامس وحتى هذه الحقبة، ويبدو أن غاية الناس من حضور هذه المجالس هو قضاء الوقت وملئ الفراغ والتلذذ بسماع القصص.

3- مجالس الأحاديث:

وهي أما خاصة بين الأصدقاء والأقران وأهل المهنة الواحدة و تكون مادة حديثهم أما عن أمور عامة تعم جميع الناس أو خاصة تعود إلى مهنهم فيتكلمون في همومها ومشاكلها فكان العامة يتكلمون عن صنائعهم فالحائك عن الثياب التي قطعها ونوعيتها ، وشكلها وما سيقوم به غدا ، وألحجام عن الذين حجمهم ومقدار ما كسب منهم ثم يصف من كان بخيلا من زبائنه، ومن كان كريما، والمكاري يتكلم عن الكراء ومثلهم الخياط والدلال ، وحتى التجار الذين يكثرون من رحلاتهم التجارية إلى البلاد المختلفة ، كانوا يتحدثون عن أخبار رحلاتهم وما يصادفوه أثناء الرحلة ، وكذلك بالنسبة لذوي المهن الأخرى كالعطارين والصرافين والبزازين وغيرهم[1].

وكذلك لفئات المجتمع الأخرى كالأدباء والعلماء كانت لهم همومهم ومشاكلهم ومن ثم أحاديثهم الخاصة التي ملأت بطون الكتب من مذكرات ومفاخرات ومناظرات دونها الأدباء وأوردها المؤرخون في التراجم وغيرها .

أما مجالس الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة التي يحضرها العلماء والأدباء فهي شبيهة بمجالس الأدباء و العلماء من حيث المناظرات وسماع الروايات والأخبار الغريبة والشاذة وإنشاد الشعر[2] .

هذا فضلا عن قصص الخدم التي كانت موضوعا مستمرا للقصاص وأصحاب النوادر والمضاحك في الطرق، وكان تقليد أصواتهم وحركاتهم مما يجذب الناس إليهم. وعموما كانت هذه المجالس محط أنظار المجتمع وخصوصا العامة كونها تتعلق بحياتهم اليومية.

4- مجالس الخمر و المجون:

تصور هذه المجالس جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ، حيث إن المجون ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع العربي منذ قديم الزمان ، فجاء الإسلام و حاربها ، وأضعفها وكاد أن يقضي عليها ، ويستأصلها من المجتمع ، لكن هذه الظاهرة التي خنقت زمانا سرعان ما بدأت تظهر مرة أخرى في العصر الأموي ، ثم ازدادت في العصر العباسي الأول لأسباب كثيرة منها ضعف سلطان الدين على النفوس ، وتسرب بعض العادات و التقاليد الغريبة و منها المجون إلى المجتمع الإسلامي ، وذلك نتيجة لاختلاط أجناس عديدة في هذا المجتمع ، فقد كان عادة شرب الخمر تتسع و تشيع في أوساط المجتمع في العصر العباسي الأول بسبب تأثير الفرس ، واستثمر ذلك حتى بعد مجيء البويهيون ومن بعدهم السلاجقة[3].

---

(1) **فهد ، المجتمع العراقي في العهد العباسي ، جـ 5 ، ص 102.**
(2) **م . ن ، ص 102**
(3) **ألعبود ،الشعر العربي في العراق ، ص 213**

في حين بدأت هذه المجالس تقل نسبيا في هذه الحقبة موضوع دراستنا و يبدو إن ذلك راجعا إلى صعوبة العيش ، وازدياد نفوذ الدين، وضعف المؤثرات الفارسية في المجتمع، وقلة الحروب التي تلقي في أحضان المجتمع الجواري والغلمان، فضلا عن إن السلطة كانت تراقب أخلاق المجتمع وتحرص على استقامته واعتداله ، ولكن رغم ذلك كله لم يقض على ظاهرة المجون في المجتمع ، وليس بمقدوره أن يقضي عليها ، وإنما استطاع إلى حد ما أن يحد من طغيانها وشيوعها[1].
وهكذا كانوا يقبلون على شرب الخمرة واللهو بالمجون وكانت تعقد المجالس لذلك وكانوا يختارون أجمل الأماكن وأحلاها لذلك . فقصدوا ضفاف الأنهار، والبساتين والرياض ، وغالبا ما يكون ذلك في فصل الربيع حيث تتفتح الزهور وتتعطر النسائم بشذاها فتنتعش النفوس ويزداد ميلها إلى الإنس واللهو ، وقد وصف لنا المؤرخ ابن الكازروني بأسلوب مليء بالسجع المتكلف ، كيف كانوا يقبلون على اقتناص لذاتهم و متعتهم في فصل الربيع فقال:
(.... وأما زمان الربيع ، وأيام الوشي البديع ، فأنهم كانوا يصطحبون ويتجمعون وينثالون ، فينزلون الجواري في رهط من الجواري ، و يدخلون نهر عيسى، ويباكرون إلى قصده تغليسا فيجتمعون في المحول إذ عليه في الحسن المعول، فيخترقون أشجاره ويقطفون ثماره ونواره ، ويفترشون رياضه وأزهاره وينزلون غيطانه وأنهاره ، ثم تعزف الفتيان ، وتصطخب العيدان وتصفق الغدران، وترقص الأغصان، وتميل الأفنان، وكلما دسع[2] الرواق طاب الشوق،وكلما بكى السحاب طاب الحباب ، وكلما طرب العود زمجرت الرعود،وقد انتظموا في سلك الراحة واجتمعوا للاستراحة كذلك أياما لا يطعمون مناما ، إلا إنهم انتهكوا المحارم، وارتكبوا المآثم، وأصروا على الفجور وشرب الخمور)[3].
وكانت الأديرة من الأماكن التي يرتادها شراب الخمرة ، و يقضون فيها أوقات جميلة بين كؤوس مترعة بخمر النصارى ، و من هذه الأديرة دير ثعالب الذي يقع في الجانب الغربي من بغداد وكانوا أهل بغداد يقصدونه و يتنزهون فيه و لا يكاد يخلوا من قاصد وطارق[4].
ومن أنواع المجون التي عرفها المجتمع في هذا العصر أيضا عادة التغزل بالمذكر ، وقد كانت هذه العادة شائعة في العصر العباسي الأول نتيجة لاختلاط عناصر عديدة في المجتمع كانت تتعاطى هذه العادة ، ولكثرة الحروب التي تعد مصدرا مهما لإلقاء الغلمان والجواري في أحضان المجتمع [5] ، و قد وصف سبط بن ألتعاويذي في قصيدة مجلسا من مجالس اللهو والمجون ذاكرا لنوع من الغزل البعيد عن الذوق والاحتشام لأحد صبيان النصارى وكان قد رآه في دير الثعالب قائلا:

وغزالٍ علقتـــهُ يوم ديرِ الثعالـــبِ
من ظباءِ الصريم يخــ طر في زي راهــب

---

[1] م . ن ،ص**215.**
[2] **دسع : امتلأ ، ابن منظور ، لسان العرب ،جـ 8 ، ص 84**
[3] **مقامه في قواعد بغداد ، ص 27 ، 28**
[4] **الشابشتي ، الديارات ، ص 24 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص337.**
[5] **ألعبود ، الشعر العربي في العراق ، ص 223**

كالقضيب الرطيب يــو هيه حملُ الذوائـــبِ
شدّ زنّاره فحلـــــ لَ عقودَ المذاهـــبِ
ما رمى طرفه بسهـــ ـمٍ هوى غير صائب[1]

وخلاصـــة القول إن مجالس الخمر والمجون كانت تمثل جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية التي سادت في هذا العصر ، فهناك من شرب الخمرة ، وجاهر بشربها، ووصـــف مجالســـها ، وما كان يدور فيها من لهو وغناء وفجور ، وهناك من تغزل بالغلمان ولم يحتشـــم، إلا إن هذه الظاهرة لم تكن طاغية على المجتمع، ولم يكن بمقدورها أن تطغي عليه و ذلك لأســـباب كثيرة أهمها ازدياد تأثير الدين في نفوس الناس، وضعف التأثير الفارسي في المجتمع ، و قلة الحروب التي تمد المجتمع بسيل من الرقيق، وصعوبة العيش لان المجون يشيع عادة في أوساط الترف والنعيم ، كما كان لموقف السلطة الحاكمة التي غلب عليها الاتجاه الديني اثر في ذلك ، فخفت حدة موجة المجون في هذا العصر[2].

(1) ابو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله (ت 583هـ) ديوان سبط ابن التعاويذي، تحقيق ،د. س ، مارجليوث، مطبعة المقتطف، مصر، 1903م، ص52 ، 53.
(2) ألعبود ، الشعر العربي في العراق ، ص 227

الفصل الرابع

المبحث الثالث:
المؤسسات الاجتماعية
1- المساجد:

للمســـاجد أهمية كبيرة في حياة المســـلمين، فهو المكان الذي يؤدون فيه عباداتهم ويتلقون فيه تعاليم دينهم وفيه يتقاضون ويتعلمون ويجتمعون ويتشاورون في أمورهم وهو بحق قلب المدينة المسلمة لا في موقعه فحسـب بل وقفه ومهمته[1] أذ إنها تسـهم في قسط كبير في ممارسة العبادات ونشر الثقافة الدينية.
إذا تعد المساجد من أهم المؤسسات العلمية التي احتلت مكانة أساسية في نشر العلم والتعلم إلى جانب كونها مركزا سـياسـيا لإقامة الشـعائر الدينية فقد كان لها دورها الرئيسـي في نشـر الثقافة العربية الإسـلامية ، كما وقد ألحقت بها المدارس وخزائن الكتب ، وقد اهتمت بتدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشـــريف والفقه والأدب والعلوم الإنسانية وغيرها من العلوم الأخرى.
هذا وقد قامت المســاجد ببغداد ، في القرن الســابع للهجرة بدور اجتماعي كبير، ذلك إنها كانت مركزا لالتقاء مختلف طبقات المســلمين ، ومكانا لعبادتهم واجتماعاتهم، والتـآلف فيمـا بينهم وملأ للمعوزين والفقراء , ودور ضـــيـافـة وفنـادق لكثير من المســافرين بخاصـــة طلبة العلم والفقهاء والفقراء[2]، هذا فضـــلا عن إنها كانت دور ثقافة وتعليم ، وهذه ظاهرة قديمة ترتبط بصدر الإسلام.
وقد اســـتمرت على هذا في مختلف البلدان الإســـلامية ، حتى بعد نشـــوء المدارس وانتشـــارها ، ومن تلك البلدان كانت مدينة بغداد التي يعد المســـجد فيها احد أماكن التعليم الرئيسية بها ، فعندما زار الرحالة ابن جبير بغداد سنة 580هـــ كان بها احد عشر مسجدا جامعا (تقام فيها صلاة الجمعة) عدا المساجد الأخرى التي تزدحم بها محال بغداد الشـــرقية والغربية[3]،واســـتمر الحال على ذلك إلى نهاية القرن الســـابع الهجري وما بعده . لمطابقة وصف الرحالة ابن بطوطة لمساجدها[4] ـــ وقد زارها سنة 727هـــ - لوصف ابن جبير المذكور . وقد ضم المسجد إلى جانب أمامه ، عددا من الصـبيان يتلقون القرآن الكريم ومحدثا ، وقارئا للحديث الشـريف ، وخزانة كتب، وفرشـــا وقناديل ، وخير مثال لذلك ما أورده صـــاحب الحوادث الجامعة عن احد المساجد المستجدة في بغداد 626هـــ /1228م، فهو يصف لنا حال المساجد في ذلك العصر ، بقول:" وفي شعبان تكامل بناء المسجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي.... ونقل إليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضـــة والشـــموع وغير ذلك ، وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبد الصمد بن احمد بن أبي الجيش، واثبت فيه ثلاثون صـبيا يتلقون القرآن عليه ، ورتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب أيضـا فيه الشـــيخ حســـن بن الزبيدي محدثا يقرا عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس

---

[1] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح البخاري ، القاهرة ، 1959م ، جـ 4 ، ص 31
[2] خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، ص 233
[3] الرحلة، ص 176
[4] الرحلة، ص 223-224

ورتب أيضـــا قارئ للحديث وجعل في المســـجد خزانة لكتب ، وحمل إليه كتب كثيرة"[1].

وعقد في عدد من مساجد بغداد حلقات الدرس والعلم ، فلقد كان لأبي بكر عبيد الله بن علي بن نصر المعروف بابن المارستانية ت 599هـ /1202م حلقة"بجامع القصر[2] الشـــريف يقرئ فيها الحديث في كل جمعة"[3] وقد لقي هذا المســـجد اهتماما بالغ من قبل الخلفاء العباسيين حيث أمر الخليفة المستنصر بالله بعمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة، وفتحت المزملة التي عُملت بالجامع المذكور وفي العهد الايلخاني حظي جامع القصر باهتمام من لدن حكام العراق، ففي سنة 678هـــ ، تمت عمارة منارة جامع الخليفة[4].ومن جوامع بغداد (جامع ابن المطلب)[5] الذي يقع[6] في الجانب الغربي من بغداد عند قصر عيسى[7] وكان يعرف قبل تعميره بمسجد ابن مأمون[8] قال عنه الأيوبي:"وعمر جامعا كبيرا في الجانب الغربي من مدينة السلام وغرم عليه حدود من ثلاثين ألف دينار وأوقف عليه وقوفا كبيرة " [9] .

[1] ص 20

[2]جامع القصر :انشأ هذا الجامع الخليفة المكتفي بالله في بداية حكمه سنة (289 – 295هـــ / 902 – 908م) وهو ثالث الجوامع ببغداد بعد جامع المنصور في المدينة المدورة وجامع المهدي في الرصافة ثم تلاه بالإصلاح والتوسع الخلفاء من بعده لاتصاله بدار الخلافة العباسية من جهة ، ووقوعه في قلب بغداد الشرقية من جهة أخرى . ينظر:ابن الجوزي ، المنتظم،جـ6،ص33؛جواد وسوسه ،دليل خارطة بغداد،ص124، 125.

[3] ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـــ 9 ، ص 112 ، 114 . آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص 208.

[4] الحوادث الجامعة ، ص 132

[5] هو الحســـن بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب أبو المظفر فخر الدولة ابن الوزير أبي المعالي (ت 578هـــ / 1182م) ينسب فخر الدولة ابن المطلب إلى عائلة متقدمة في المال الجاه فأبوه اشغل منصب الوزارة وأخوه أستاذية الدار ، ومع هذا فقد تصوف منذ الصبا وبنى له مدرسة ووقف عليها الأوقاف عرفت بدار الذهب ينظر:ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـــ 9 ، ص160 ؛ ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ بغداد ، جـــ 2 ، ص 168 ، الذهبي ، المختصر المحتاج إليه ، جـــ 2، ص 26 والحاشية رقم (19) من نفس الصفحة ، تحقيق مصطفى جواد مطابع دار الزمان، بغداد، 1963م وينظر أيضا الحوادث الجامعة، ص 101

[6] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 263 ؛ ونسبة موقعه ابن الاثير بقصر المأمون ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص141.

[7] قصر عيسى : محله كبيرة ذات سوق وكان فيها قصر منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس وهو أول قصر بناه الهاشميون ببغداد على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه في دجلة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 4 ، ص 371

[8] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـــ 10 ، ص 270 ، د. مصطفى جواد ، حاشية رقم (2) من المختصر المحتاج إليه ، جـ 1 ، ص223

[9] مضمار الحقائق ، ص 130

ويبدو إن ظروف حياة التصوف[1] التي عرف بها فخر الدولة ابن المطلب من جهة ، وإعادة [2] أمواله المصـــادرة إليه من جهة أخرى دفعت به إلى كثرة الأوقاف على وجوه البر ، ومنها أوقافه الكثيرة على الجامع ، والراجح إن هذه الأوقاف الكثيرة التي تمتع بها هذا الجامع كانت تنفق في شـــؤون العامة وحاجات الســـاكنين فيه من أهل الفقراء وأهل الفاقة[3] ، أما المبالغ الكبيرة التي صـرفت في بنائه ، فقد أهلته أن يكون احد الجوامع التي أقيمت [4] فيها صلاة الجمعة.

ومن مساجد بغداد (مسجد الحظائر)[5] الذي انشاته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566هـ ـ 575هـ / 1170 - 1180م) وأم الخليفة الناصر لدين الله ويقع هذا المسجد في موقع نزه شرقي بغداد ، مطل على شاطئ دجلة ، عند مشرعة عرفت ، عصر ذلك بمشرعة المزملات وكانت السيدة زمرد تقوم بالإشراف على شؤون مؤسستها بنفسها ، فقد اختارت الشيخ عمر بن يوسف بن محمد بن نيروز البغدادي (611-541هـ / 1145-1214م) ليكون إماما فيه[6] ، وكان هذا " شيخا صالحا كثير العبادة " [7] على ما وصفه معاصروه.

وقد وجدت في هذا المسجد ، خزانة كتب قديمة تضـم نوادر المخطوطات . وصـفت بأنها " تشـــتمل على مخطوطات قديمة العهد والكثير منها تلف بتداول الأيدي عليها، كما إن غالب كتب مدارس بغداد جرى عليها ما جرى على هذه بل إن منها ما لم يبق لها عين ولا اثر ولله الأمر[8]، هذا فضـــلا عن مســـاجد أخرى كانت تقيم فيها حلقات الدرس والعلم، مثل (مسـجد الظفرية)[9] الذي عقد فيه المبارك ابن الدهان الواسـطي المعروف بالوجيه النحوي ت 612هـــ /1215م حلقة درس عليه فيها موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة 629هـ[10].

---

[1] ابن الأثير ،الكامل، جـ 9، ص160.

[2] قال ابن الجوزي في أحداث سنة (566هـــ) : " قدم فخر الدولة ابن المطلب إلى بغداد وكان مقيما بمشهد الإمام علي (عليه السلام) وردت إليه املاكه"ينظر:المنتظم ، جـ 10 ، ص233.

[3] الحوادث الجامعة ، ص 101 حوادث سنة 632هـ

[4] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ9، ص141حوادث سنة (572هـ)

[5] (الحظائر):جمع حظيرة ، والحظيرة جماعة القوم ، ابن منظور ، لســان العرب ، جــــ 5 ، ص 275 مادة حضر.

[6] رؤوف ، تاريخ الخدمات النسوية العامة في بغداد ، ص 211.

[7] ابن ألفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، جـ 4 ، ص 817

[8] الألوسي ، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، تهذيب محمد بهجت الاثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، 1346هـ ، ص 42

[9] الظفرية:محلة وصــفها ياقوت (معجم البلدان جــــ 4 ، ص 61) بقوله : محلة شـرقي بغداد كبيرة والى جـانبيهـا محلـة أخرى كبيرة يقـال لهـا قراح ظفر ، وهي في قبلي بـاب أبرز ، والظفريـة في غربيـة أظنهمـا منسـوبتين إلى ظفر احد خدم دار الخلافة ، والى هذه المحلة نسـب الباب المجاور لها من أبواب بغداد الشـرقية وهو الذي عرف فيما بعد بالباب الوســطاني ، وهو قائم إلى اليوم . ينظر:الحوادث الجامعة،ص103 هامش رقم(2).

[10] ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 684

وقد ذكر ابن ألفوطي اســتيطان احد علماء الدين المدعو عز الدين يونس بن يحيى ألخالدي النيلي الخطيب العالم المتوفي ســنة 693هـــ /1293م ببغداد ، وســكناه بالمسجد المجاور لدار القرآن بالمستنصرية [1] ، ما يؤكد استمرار المساجد في بغداد للأداء وظيفتها العلمية إلى نهاية القرن السابع الهجري إلى جانب وظائفها الدينية.

2- الدور:

وهي من المنشــآت المدنية التي لها علاقة وثيقة بحياة المجتمع ، والتي أســهمت في تكوينها عوامل عديدة في مقدمتها البيئية الطبيعية والفنون المعمارية والتقاليد الاجتماعية فضلا عن المستوى ألمعاشي للأسرة ومكانتها الاجتماعية ومقدار ثرائها ، إذ ينعكس هذا على محتويات البيت وبنائه .

وعلى العموم فقد امتازت دور العامة بالبســاطة ســواء في مظهرها الخارجي او الداخلي ، فقد كانت الدار تبنى في الغالب من طابق واحد إلا القليل الذي يبنى من طابقين ، وشكل البيوت من الخارج متلاصقة عالية الجدران ، فقد حرص الناس عند بناء بيوتهم ، عدم تمكين أي فرد من رؤية شــيء من داخل الدار ، ويظهر الباب في جبهة الدار ، وقد يكون واطئا مع مســتوى ارض الشــارع او مرتفعا قليلا لذلك تبنى أماه دكة أو (مصــطبة) ، كما يوجد في الباب حلقة من النحاس تدور على لولب ليطرق بها الباب عند الاستفتاح ويجذب منها عند القفل ويكون للبيت شباك أو روشن (بالكون) يطل على الطريق[2] .

أما شكل البيوت من الداخل فأول ما يبدو منه بعد الباب الخارجي دهليز يوصله بداخل الدار (أي بصحنه) وكان الدهليز في بيوت الأغنياء يعتنى به فيصبح منزل الضيف ، وقد يوضع في نهاية الدهليز باب أخر يغلق دون الصحن ، أما الصحن فهو وسط الدار وحوله غرف الدار مشــرفة عليه ، أما عدد الغرف فلم يكن ثابتا تبعا لحالة مالك الدار المالية ، وكانت البيوت تحوي مرافق صــحية كالحمام والكنيف وقد يكون بها بئر أيضــا أو ســرداب يســتخدم في الصــيف للنوم ظهرا لبرودته ، وكان اســتعمال السرداب صيفا والخيش[3] من الأمور المألوفة لدى الناس ببغداد ، كما قد تحوي الدار تنورا[4].

وقد كانت سطوح المنازل من الأمور المهمة لسكان بغداد وخاصــة بالصــيف حيث اعتاد البغداديون النوم فوقه ليلا حتى إذا ما تغير الجو وشــعر الناس بالبرد نزلوا إلى الغرف ، هذا وكلما كان السطح أكثر ارتفاعا كان ذلك أفضــل ، حيث يكون عرضــة للهواء الطلق[5].

---

[1] تلخيص مجمع الآداب ، جـ 4 ، ق 1 ، ص 393

[2] فهد ، العامة ببغداد ، ص 168

[3] الخيش:ثياب في نسجها تخلخل وخيوطها غلاظ من الكتان ، آدي شير ، ص 59 وهي وسيلة من وسائل التبريد التي اعتاد أهل بغداد على استعمالها وخاصة الموسرين منهم ، ولما كان الخيش يعمل بشكل مراوح في البيوت لذلك يمكن ذكرها ضمن الأثاث، ينظر: فهد ، العامة ببغداد،ص173.

[4] فهد ، العامة ببغداد ، ص 170

[5] م . ن ، ص 171

أما فيما يخص تزيين الدار بالفراش والأثاث فكان أمرا يتوقف على الحالة المالية للشخص وعلى ذوقه ، فقد يفرش احدهم بارية أو حصيرا ، وقد يكون غنيا فيفرشها بالبسط المختلفة الأنواع وبالوسائد ، ويرخي أنواع الستور ورفيع المطارح المحشوة بالريش ، والمنقوشة بخيوط الذهب ، ومن جملة أثاث البيت الأدوات المستعملة في المطبخ كالصواني والغضائر والأدوات المستعملة لغسل الأيدي كالطسوت والأباريق فضلا عن المناديل لتنشيف الأيدي ، وأقداح الشراب أو الطاسات ، وكذلك هناك أدوات دق الابازير (البهارات وما شابهها) وآلات البخور ، والحباب لتبريد الماء ، والكيزان ثم لا بد من مكنسة ومقدحة ، كما إن دور الأغنياء كانت لا تخلو من قماقم الذهب والفضة التي تستعمل في حفظ ماء الورد ، أما إضاءة البيت فتتم بواسطة القناديل أو السرج أو الشموع[1] .

أما الفقراء من العامة فكانوا يطمحون إن يمتلكوا دور خاص بهم إلا إن ظروفهم المعاشية كانت لا تسمح بذلك فلهذا كانوا يلجئون إلى المساجد أو أحيانا يعمدون إلى بناء أكواخا لهم.

أما بيوت الأغنياء فكانت مقسمة إلى ثلاث أقسام ، كل قسم منها لشيء معين فقسم للاستقبال وقسم للحرم ، وقسم للخدم ، وقد حرص الأغنياء وكبار رجال الدولة على أن يجعلوا في دورهم مستراحات خاصة يفتحونها متى أرادوا الدخول فيها ، ويقفلونها عند الخروج منها ، لكي لا يستخدمها احد غيرهم من خدمهم أو أتباعهم ، وقد كانت بيوت الأغنياء أكثر زينة وأثاث من غيرهم ، فقد استخدموا أنواع الفرش والستور المغربية والمذهبة وغيرها في تزيين منازلهم [2] .

وقد اهتم خلفاء بني العباس بتشييد الدور واتخاذها كمتنزه لهم فجاء في حوادث سنة 580هـ إن الخليفة الناصر لدين الله أمر بشراء بستان تاج الدين ابن رئيس الرؤساء وكان ملاصقا للبيمارستان العضدي (في الجانب الغربي) من أولاده بثلاثمائة دينار ثم أمر الخليفة بهدم ما كان في البستان من بناء ، وأن يبنى بالموضع دار حسنة فعمرت وعمر البستان المحيط بها ، فاتخذه الخليفة متنزها يخرج إليه ، وذلك لان هذا الموضع كان يطل على دجلة [3].

وفي سنة 651هـ أمر الخليفة المستعصم بالله بتشييد دار المحول الذي بلغت تكاليفه ما يزيد على مائتي ألف دينار[4].

4- الحمامات:

وهي من المنشآت المدنية التي وجدت لخدمة العامة من سكان مدينة بغداد وكثر إنشاؤها لحاجات وظيفية تتصل بالمبادئ الإسلامية في النظافة والتطهير ، وقد روى عن بغداد إنها كانت كثيرة الحمامات العامة والخاصة ، فيما ذكرت بعض هذه

---

[1] م . ن ، ص 172 ، 173 ، 174 ، 175

[2] فهد ، العامة ببغداد ، ص 169 ، 172

[3] الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص 173

[4] الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ 2 ، ص594

الروايات أرقاما مبالغا بها[1] عن عدد هذه الحمامات التي بلغت الآلاف[2]، حتى منتصــف القرن الرابع الهجري ثم تناقص[3] عددها تدريجيا حتى وصـــل في رواية أخرى إلى مئة وسـبعين حماما في سـنة 420هـــ / 1029م[4] ، وقيل مئة ونيف وخمسين حماما في عهد أبي الحسين الصابيء المتوفي سنة 448هـ / 1056م [5] ، ويبدو إن عدد الحمامات في بغداد قد زاد فيما بعد ، فقد ذكر الرحالة ابن جبير في أثناء زيارته لبغداد انه يوجد في جانبها الغربي[6] الذي حل به الخراب سـبع عشـرة محلة يتوفر في كل منها حمامان أو ثلاثة حمامات بينما تعذر عليه إحصـائها في جانبي بغداد ، فيما ذكر له احد أشـياخ البلد " إنها بين الشـرقية والغربية نحو الألفي حمام" [7] ، ويبدو إن عدد الحمامات العامة في بغداد قد زاد في خلافة المستنصر بالله مع بقية مظاهر العمارة الأخرى ، فقد ذكر في أحداث سنة637هـــ / 1239م انه" عمر التركمان بظاهر بغداد مما يلي سوق السلطان[8] مساكن ودكاكين واصطبلات وحمامات وغير ذلك وكانت تزيد على ألف موضع"[9].
ولعل من بين هذه المواضـع عدد لا يسـتهان به من الحمامات مما يزيد في مجموعها مرة أخرى ، هذا وقد كان المحتسب[10] هو عين الدولة في الأشراف على الحمامات من جهتين[11] ، الأولى فيما يخص نظافة الحمام وشموله على الأسس الصحية ، أما الجهة الثانية فهي تحلى العاملين فيه والداخلين إليه بالالتزام بأخلاق العامة ففي الجانب الصحي للحمام أشارت كتب الحسبة[12] إلى المواصفات التي يشترط توفرها

[1] ابن الفقيه الهمداني، ابو بكر احمد بن محمد (ت بحدود 340هـــ) ،بغداد مدينة السلام ، تحقيق صالح احمد العلي ،دار الطليعة للطباعة والنشر باريس(1977)،ص91.

[2] اليعقوبي ، البلدان ، ص25؛ الصـابيء ، رسـوم دار الخلافة ، ص 20، 21 ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 1 ، ص 118، 119.

[3] يظهر إن أسـباب انخفاض عدد حمامات بغداد يعود إلى تعرضـها إلى فترات من الخراب حيث اندثر عدد من الأبنية ومنها الحمامات سنة (332هـــ) بسبب غزارة الأمطار . ابن الأثير ، الكامل ، جـــ 7 ، ص 216؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 11 ، ص 208 ، هذا فضلا عما لحقها من حوادث الفيضانات.

[4] ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص 24 ؛ العلي ، مقدمة كتاب بغداد مدينة السلام ، ص 24

[5] رسوم دار الخلافة ، ص 20

[6] الرحلة ، ص 225 ؛ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 226

[7] ابن جبير ، الرحلة ، ص 229

[8] يقع سـوق السـلطان إلى جنوب باب السـلطان احد أبواب سـور بغداد المعروفة ويؤدي هذا إلى سـوق الثلاثاء .جواد ،سوسه، دليل خارطة بغداد ، ص 160

[9] الحوادث الجامعة، ص 159

[10] وهو المسـؤول عن الأسـواق والآداب وينصـبه الإمام أو نائبه. أما الحسـبة فهي : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله . ينظر : الماوردي ، الأحكام السـلطانية ، ص 240 ، أبو يعلى ، الأحكام السلطانية . ص 284

[11] فهد ، العامة ببغداد ، ص183.

[12] الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 86 ، 88 ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص 154 ، 158 ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص70،68.

في الحمام الشــعبي من حيث ســعته ونظافة أفنيته وأدواته والعاملين فيه ، هذا فضــلا عن تعطيره بأنواع العطور المختلفة.
أما الجانب الأخلاقي الواجب توفره بالحمام ، فهو الاحتشام وستر العورة بالاتزار لما روى عن الرســول (صــلى الله عليه وســلم) في لعن الناظر والمنظور ، وكذلك منع الرجل من دخول حمامات النساء ، وهذا ما ذكرته كتب الحسبة[1].
هذا وقد امتازت الحمامات ببناء عمراني جميل يتمثل بالقباب التي تســمح بدخول الضــوء والحفظ على الحرارة داخل الحمام وتكاثف الأبخرة به ، فقد ذكرت كتب الحســبة مميزات الحمام الجيد" خير الحمام ما قدم بناؤه واتســع هواؤه وعذب ماؤه، وقدر الوقاد وقوده بقدر مزاج من أراد وروده ، واعلم إن الفعل الطبيعي للحمام هو التسخين بهوائه والترطيب بمائه"[2].
وفي مجال الجانب الصــحي للحمام ، فقد شـكلت مســألة تصــريف المياه الملوثة التي كانت تخرج من الحمامات مشكلة صحية لما خلفته من أضــرار للســاكنين والعاملين بالقرب من الحمامات ، لان هذه المياه الملوثة كانت تصــرف إلى الأنهار مما يجعلها ملوثة فكانت الحمامات في مدينة بغداد تصــرف مياها الملوثة إلى نهر دجلة عبر قنوات خاصــة لذلك ، فزادت شــكوى الناس من ذلك وتعرضــهم للأمراض وهذا ما جعل الخليفة المقتدي (467 – 487هـ / 1075 – 1095م) يصدر أمره في بداية خلافته يمنع بموجبه تصــريف مياه الحمامات القذرة إلى نهر دجلة ، ألزم أصــحابها بحفر آبار خاصة لهم لهذا الغرض[3] .
وقد أكد الفقهاء على ضرورة احترام حقوق الجار وعدم الإخلال بها والتعدي عليها[4] ، منطلقين من قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا ضرر ولا ضرار"[5].
ومع ذلك فإننا نجد من المواقف الرسـمية ما يتبين منها تردد الدولة في دفع الأضــرار المترتبة على النـاس من مجـاري الحمـامـات ، حيث ذكر " إن بعض الأتراك عمر حماما وجعل مجراه تجوز على دار بعض الجيران فتأذى الجار بتلك المجراة ، فشـكا

---

[1] الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 88 ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 70 . المجيلدي ، احمد بن سـعيد (ت 1094هــــ / 1683م) التيسـير في أحكام التعسـير ، تحقيق موسـى الفيال ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1970م ، ص 73 ؛ ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضـارة الإسـلامية في العصـور الوســطى، ص 106 ، أبو الأجفان ، محمد ، الحياة الاجتماعية من خلال بعض كتب الحســبة، مطبعة وزارة المعارف ، بغداد ، د . ت ، ص 24 ، ص 25 .السـامرائي، حسـام، المؤسـسـات الإدارية في الدولة العباسـية ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ، 1391هـ - 1971م ، ص323.
[2] الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 86 ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة،ص67.
[3] ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 294 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ 12 ، ص 111
[4] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 285 ؛ أبي يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص 203 ، 204
[5] ابن ماجة،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت 275هـ / 888م) ، سنن ابن ماجة، الرياض،1404هـ، حديث رقم2331.

ذلك إلى الوزير فزجره ولم يأخذ بيده"[1] . ولعل إهمال الوزير ابن العطار[2] (ت 575هـــ / 1180م) لهذا الأمر لا يمثل موقف الدولة من هذه المشـــكلة ، بل هو تصرف شخصي للوزير الذي عرف بسوء تعامله مع الناس.

وفيما يخص عمل المحتسـب في الجانب الصـحي ايضـا , فانه يامر صـاحب الحمام بنظافته بغسـله بالماء الطاهر وذلك مرتين في اليوم الواحد[3] , فضـلا عن غسـلهم لخزانة الماء من الاوسـاخ المجتمعة في مجاريها وتنظيفها من الرواسـب الراكدة في اسـفلها مرة في كل شـهر , لانها ان تركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها بطعمه ورائحته[4].

كما كما يجب على المحتسب امر القيم على الحمام بان لا يسد الانابيب بشعر المشاطة بل يسـدها بالليف والخرق الطاهرة , ومن شـروط الصـحة الاخرى التي تدخل في صـميم عمل المحتسـب امر صـاحب الحمام بان يمنع الاجذم والابرص واصـحاب العاهات الظاهرة من دخول الحمام العام وقاية لمنع نقل الامراض , وان يمنع من كانت صنعته نقل السماد والجيف والازبال ان لا يغتسل بالحمام الا بعد ان ينظف من اثار صنعته من الاوساخ[5].

ويمكننا ان نتبين حسـن العمارة ورونقها في حمامات بغداد من خلال ما اشـار به ابن جبير في زيارته سنة (580هـــ) بقوله عن الحمامات " اكثرها مطلية بالقار مسطحة به , فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل"[6].

ويمكن ان نلمس الجانب الصـحي والاخلاقي المجتمعين في حمامات بغداد من خلال ما اورده الرحالة ابن بطوطة[7] حيث قال في وصفها:"حمامات بغداد كثيرة وهي من ابدع الحمامات واكثرها مطلية بالقار مسـطحة به فيخيل لرائيه انه رخام اسـود وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشـة بالقار مطلى نصـف حائطها مما يلي الارض به والنصـف الاعلى مطلي بالجص الابيض الناصـع فالضـدان بها مجتمعان متقابل حسنهما , وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان احدهما يجري بالماء الحار والاخر بالماء البارد فيدخل الانسـان الخلوة منهما منفردا لا يشـاركه احد الا ان اراد ذلك , وفي زاوية كل خلوة ايضـا حوض اخر للاغتسـال فيه ايضـا انبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطي ثلاثا من الفوط , احدهما يتزر

---

(1) **ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص 258**

(2) **الوزير هو ظهير الدين أبو بكر منصـور بن نصـر المعروف بابن العطار (ت 575هــــ) وزير الخليفتين المستضيء والناصر . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـــ 9 ، ص149. ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص 257 ، 258**

(3) **الشيزري , نهاية الرتبة في طلب الحسبة , ص87 ؛ ابن بسام , نهاية الرتبة في طلب الحسبة, ص68**

(4) **م . ن , ص87 ؛ م . ن , ص69**

(5) **ابن بسام , , نهاية الرتبة في طلب الحسبة , ص70**

(6) **الرحلة , ص229**

(7) **زار ابن بطوطة بغداد في العهد الايلخاني سنة (727هـ/1327م)**

بها عند دخوله والاخرى يتزر بها عند خروجه والاخرى ينشف بها الماء عن جسده , ولم أر هذا الاتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك"[1].
خلاصـــة القول انه اذا كانت حمامات بغداد بهذا الوصـــف اعلاه من حيث العمارة والتنظيم وطرق الوقـايـة وهي في العهـد الايلخـاني الـذي يعتبر من عهود التـدهور الحضاري فكيف بحال حماماتها في اوقات الازدهار الحضاري[2].

4- المدارس

تمثل المدارس اهم المراكز الثقافية والعلمية في العصـــر العباســـي , فقد لعبت هذه المؤسـســة دورا كبيرا في رفد الحركة العلمية في بغداد وتنشـيط الحركة الثقافية فيها وقد توالت تاســيس المدارس ببغداد , اذ وجد فيها الرحالة ابن جبير عند زيارته لها سـنة 580هـــ نحو ثلاثين مدرسـة في جانبها الشـرقي لها اوقاف عظيمة وعقارات محبسة تصرف على مدرسيها وطلابها[3] , وجعل احد المؤرخين عددها عند احتلال المغول بغداد (656هـ) ثمانية وثلاثين مدرسة[4] , ولم تكن كلها في مستوى واحد اذ كان بعضـها يشـابه المسـجد الصـغير.والبعض الاخر يصـح اطلاق عليه الجامعة , كالمدرسة المستنصرية[5].

ان التعليم في المدارس لم يكن الا امتداد لحركة التعليم في المســاجد , فقد اهتمت المدارس بتدريس القران الكريم والفقه والحديث النبوي الشـــريف والادب واللغة, وكان هذا اسـتجابة لروح العصـر , حيث كان الاهتمام كبير بتدريس العلوم الدينية ثم اخذت المدارس تتوسع يوما بعد يوم فادخلت مواضيع جديدة في مناهجها مثل دراسة الطب , وعلوم الرياضـيات والكمياء والفلسـفة وغيرها[6] وكان لكل موضـوع يدرس

---

(1) **ابن بطوطة , الرحلة , ص224**

(2) **عبد الرحيم , الخدمات العامة في بغداد , ص310**

(3) **الرحلة , ص177**

(4) **الاب انستاس الكرملي ، معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الاول , مجلة المشرق,المجلد 4 , لسنة 1908 ص204**

(5) **ال ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، ص215**

(6) **معروف، تاريخ علماء المستنصرية ، جـ2 ، ص152**

في المدرسة شيخ مختص بتدريسه فكان هناك استاذ للغة واستاذ للتفسير واخر للحديث وهكذا بالنسبة لبقية المواضيع.

وسوف نستعرض اهم المدارس التي برزت في القرن السابع الهجري , فضلا عن بعض المدارس التي أسست قبل القرن المذكور الا انها استمرت حتى بعد الغزو

المغولي لبغداد , ومن بين هذه المدارس:

1- المدرسة النظامية[1] التي اصبحت فيما بعد نموذجا يحتذى به في سائر المدارس[2] ، تقع هذه المدرسة على شاطيء دجلة الشرقي ، وهي موقوفة على أصحاب المذهب الشافعي ، عين فيها مدرس وواعظ ومقريء يقرأ القرآن الكريم ونحوي يدرس العربية ، ولحقت بها خزانة للكتب ، ضمت شتى صنوف المؤلفات والتي كانت تتوارد اليها بطرق عديدة منها الوقف[3] ، فوصلت مجلداتها الى أرقام كبيرة بلغت الألاف[4] . وهذا العدد الكبير من الكتب اجتمع من وقف نظام الملك (408-486هـ)، ووقف الخليفة الناصر لدين الله الذي بنى سنة 589هـ/1193م دار الكتب في المدرسة النظامية ونقل اليها عشرة آلاف مجلد

---

(1) **هي المدرسة التي طبقت شهرتها الأفاق ، وأعظم مدارس بغداد في القرن الخامس الهجري ، منسوبة الى مؤسسها الوزير السلجوقي نظام الملك ، وزير ألب أرسلان وأبنه ملك شاه ، شرع ببنائها في ذي الحجة سنة 459هـ وتم أفتتاحها للدراسة يوم السبت عاشر ذي العقدة من سنة 456هـ وكانت تقع في موضع قريب من دجلة ، وقد استمر التدريس فيها حتى اوائل القرن التاسع للهجرة ، وكانت مخصصة لمذهب الأمام الشافعي. ينظر:أبن الأثير ، الكامل ، جـ10 ، ص204 ،210 ، أبن خلكان وفيات الأعيان ، جـ1 ، ص395 – 398 .الحوادث الجامعة, ، ص17 هامش رقم (1) ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ4 ، ص309 ، 328 .آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق ، ص27.**

(2) the Encyclopedia of Islam , (London: 1965).P 354.

(3) **كوركيس ، عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف ، 1948 ، ص146.**

(4) **أبن الجوزي ، صيد الخاطر ، تحقيق ، ناجي الطنطاوي ، دمشق ، دار الفكر ، 1380هـ/ 1960م ،جـ3 ، ص607 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ13 ، ص6**

منها الخطوط المنسوبة[1] وقد اشتهرت المدرسة بخزانة الكتب التي عرفت بـ (دار الكتب العتيقة)[2] وممن وقف كتبه على خزانة هذه المدرسة المؤرخ أبن النجار[3]، الذي وقف خزانتين من الكتب تساوي ما قيمته الف دينار[4].

وقد كان لهذه الخزانة النفيسة ، خزانة ومشرفون يتولون أمرها والنظر في شؤونها ولهم من مغلات وقوف المدرسة قسط لقاء عملهم هذا[5] ، ومنهم أبو جعفر عمر بن أبي بكر بن عبيد الله الدباس ،الذي كان مشرفا على دار الكتب بالمدرسة النظامية[6]

وقد استمر التدريس في المدرسة النظامية منذ تاسيسها وحتى طيلة العصر المغولي فقد ورد ذكر من تولى التدريس فيها تلك الحقبة , ومنهم شهاب الدين محمود بن احمد الزنجاني الذي كان مدرسا بالنظامية سنة 626هـ الا انه عزل في نفس السنة المذكورة ورتب عوضه عماد الدين ابو محمد بن يحيى السلامي المعروف بابن الحبير[7], كما رتب القاضي ابو محمد عبد الله البادرائي مدرسا بالمدرسة النظامية , كما امر في الوقت نفسه على خزانه الكتب بخزانة الخليفة , وكان ذلك سنة 639هـ/1241م[8].

وخلال العهد المغولي تولى شمس الدين محمد بن الكبشي التدريس بالمدرسة وحضر درسه الحكام والعلماء سنة 665هـ/1266 م[9].

وذكر في حوادث سنة 671هـ/ 1272 م " وفيها جلس خواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين ابن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة بالمدرسة النظامية والقى دروسا وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه , وكافة ارباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته وانشد الشعراء بعد فراغه"[10].

---

[1] أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ،جـ9 ، ص299 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ6 ، ص132 . آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق؛ص27

[2] ابن الساعي، الجامع المختصر ، جـ9،ص160.

[3] محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي ، صنف التاريخ الذي ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادي ، وكان أمام ثقة حجة مقرنا مجودا . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات، جـ2 ، ص522 ، 523.

[4] الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ2 ، ص523 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ،حـ13 ، ص169

[5] أبن الجوزي ، صيد الخاطر ،جـ3 ، ص66

[6] أبن الساعي ، الجامع المختصر ،جـ9 ، ص160

[7] الحوادث الجامعة , ص17

[8] م . ن , ص177

[9] م . ن , ص389 , ال ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص220

[10] الحوادث الجامعة , ص410

وهذا يدل على ان المدرسة كانت مستمرة في هذه الحقبة واسهمت بشكل او باخر في حركة التعليم والثقافة في بغداد من خلال مدرسيها وحلقات التدريس فيها.

2- المدرسة المستنصرية[1]

تعد المدرسة المستنصرية من اشهر المدارس الاسلامية في بغداد على الاطلاق وقد اثبت الباحثون بانها لم تكن مدرسة كغيرها من المدارس باقتصارها على حقل من حقول المعرفة بل كانت تضم عددا من الكليات والمدارس المختلفة المعنية بدراسة علوم القران والسنة النبوية والمذاهب الفقهية الاربعة, وعلوم اللغة والحساب وقسمة الفرائض والتركات وعلوم الطب وغيرها من المعارف , فكانت بحق اول جامعة اسلامية شاملة[2] .

وتميزت المدرسة المستنصرية التي استغرق بنائها ست سنوات عن غيرها من المعاهد التعليمية الاسلامية بعمارتها وزخرفتها وعلومها واوقافها وعدد فقهائها وقال فيها سبط ابن الجوزي " ليس في الدنيا مثل هذه المدرسة ولا بني مثلها في سالف الاعوام "[3], واشار ابن العبري الى ذلك فقال " المستنصرية التي لم يعمر في الدنيا مثلها فعمرت على اعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفتها وكثرة فقهائها ووقوفها "[4].

اما خزانة الكتب فيها فكانت تعتبر من اهم ملحقات المدرسة العلمية التي حفلت بعدد كبير من انواع المصنفات وامهات الاسفار , وليس هذا بغريب فيما عرف به الخليفة المستنصر بالله من اهتمامه بتأسيس خزانة كتبه الخاصة المتنوعة المعارف والموارد , قال الاربلي يصف ذلك: " أنشأ خزانة الكتب بشريف حضرته ومقدس سترته جمع فيها من انواع العلوم على اختلافها وتباينها وائتلافها بالاصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة "[5].

ويبدو ان خزانة المستنصرية التي انشاها الخليفة المستنصر بالله كانت من السعة والتنوع والكثرة حتى انها تفوقت عن باقي خزائن الكتب التي سبقتها وقد اشار الى ذلك احد المؤرخين وهو ابن عنبه الذي ذكر ان المستنصر " اودع خزانته في المستنصرية ثمانين الف مجلد "[6].

---

(1) **معروف , تاريخ علماء المستنصرية-جزئين- وخزانة المستنصرية, مجلة الاقلام , جـ4 , السنةالثانية 1965م : امين , المدرسة المستنصرية . محمد جاسم المشهداني واسامة النقشبندي , المستنصرية في التاريخ ؛ المدرسة المستنصرية جواد ، مصطفى , مجلة سومر,مجلد 14 , بغداد , 1959.**

G.lf strange , Baghdad during the Abbasid caliphate , London –1924.p338..

(2) **مهدي الرحيم . الخدمات العامة في بغداد , ص189**

(3) **مراة الزمان, جـ8 ., ق2 , ص739**

(4) **تاريخ مختصر الدول , ص243**

(5) **خلاصة الذهب المسبوك , ص286**

(6) **جمال الدين احمد بن علي الحسني(ت 828هـ) عمده الطالب في انساب ال ابي طالب , المطبعة الحيدرية، النجف ، 1961،ص206.**

وفضلا عن جهود الخليفة المستنصر الخاص في رفد المكتبة بانواع المصنفات فقد ساهم اهل العلم ايضا في ذلك ومنهم ابي محمد الطبسي[1] الذي ذكره ابن الفوطي فقال:" اقتنى كتبا نفيسة اكثرها بخطه ووقفها على خزانة كتب المستنصرية , وشرط فيها الذي شرطه الامام المستنصر واستفاد الناس بها"[2].
وقد لاقت خزانة المستنصرية اهتمام بالغ من قبل الخليفة المستعصم بالله حيث اتضح اهتمامه من مصاحبته للشيخ على ابن النيار[3] في تفقدها واعتبارها (جرد موجوداتها) وانكاره لعدم ترتيبها من قبل القائمين عليها ومعاقبتهم على ذلك, وفي رواية اخرى لـ صاحب الحوادث الجامعة في سنة 645هـ/1247م يقول فيها: " انهى خازن المدرسة المستنصرية انه شاهد ختم الخزانة متغيرا والقفل بحاله فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين , فشذ منها شئ ومن المال ثلثمائة دينار فانهى ذلك الى الخليفة فامر بألزام الفقهاء والحاشية برمي التراب ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلم يجدوا شيأ فتقدم بتقسيط ذلك على البواب بالخزانة والفراشين على قدر احوالهم فاستُوفِىَ ذلك منهم ورتب عوضهم"[4]. ومن خلال هذا النص نستدل على تتبع الخليفة المستعصم لشؤون دار الكتب المستنصرية , وعزمه في المحافظة عليها وتطوير جهازها الاداري وصيانة محتوياتها هذا وقد تواصلت الدراسة في المدرسة المستنصرية حتى بعد الغزو المغولي لبغداد حيث ذكر ابن الفوطي في ثنايا حديثه عن تعين احد المدرسين فيها فيقول:" ولما فتحت المستنصرية بعد الواقعة سنة سبع وخمسين عين عليه مدرسا بها"[5] , ويذكر عن مدرس اخر انه " بعد الواقعة لما فتحت المدارس درس بالمستنصرية كعادته"[6].
ونستنتج من هذه النصوص ان الدراسة في مدارس بغداد لم تعطل الا فترة يسيرة لاتتعدى سنة واحدة بالنسبة للمدرسة المستنصرية[7] , ويؤيد ذلك ما ورد في الحوادث الجامعة من قيام عماد الدين القزويني نائب الامير المغولي في العراق بفتح المدارس والربط وتسجيل الفقهاء والصوفيه وصرف الرواتب والاخباز عليهم[8] , بعد واقعة بغداد مما يدل على استئناف الدراسة في المدارس وعودتها الى ما كانت عليه قبل الغزو المغولي المذكور , وقد ذكر نفس المصدر انه في سنة 659هـ/1261م رتب

---

[1] هو فخر الدين ابو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الطبسي نزيل بغداد المدرس الفقيه , قدم الى بغداد واستوطنها ورتب فقيها بالمدرسة المستنصرية ثم معيد بها . ابن الفوطي , تلخيص مجمع الاداب , جـ4 , ق3 , ص149

[2] تلخيص مجمع الاداب , جـ4,ق3 , ص149

[3] هو صدر الدين ابو المظفر علي بن محمد النيار (ت656هـ/1258م) , ابن الطقطقي . الفخري في الاداب السلطانية , ص267, الحوادث الجامعة , ص 358 ؛ الغساني , العسجد المسبوك , جـ2 , ص637 , معروف ، تاريخ علماء المستنصرية , جـ1 , ص59

[4] الحوادث الجامعة ، ص258

[5] تلخيص مجمع الاداب , جـ4 , ق2 , ص801

[6] م . ن , جـ4 , ق2 , ص802

[7] ال ياسين , الحياة الفكرية في العراق , ص111

[8] ص 362

الشـيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية , وحضر درسه الصاحب علاء الدين والاكابر والعلماء وخلع عليه[1] , وهذا يدل على اهتمام حكام العراق تلك الحقبة بحضـور مجالس العلم واستمرار المؤسسات العلمية في بغداد رغم الغزو المغولي لها وقد اكد الرحالة ابن بطوطة عند زيارته بغداد سنة 727هـ حيث وصف المدرسة المستنصرية وامتدحها, هذا فضلا عن وصفه للمدرسة النظامية أيضا[2].

3- المدرسة البشيرية:

وهي من مدارس بغداد التي استمر فيها التدريس حتى بعد الغزو المغولي ، ويرجع تأسيس هذه المدرسة الى جارية الخليفة المستعصم بالله المعروفة بباب بشير وهي عتاقة الخليفة وزوجته وأم ولده الأمير أبي نصر وكان لها خادم أسمه بشير فنسبت اليه وكانت ذات بر ومعروف وقفت المدرسة البشيرية ووقفت دارا للقرآن ورباطا للنساء وأوقفت على الجميع وقوفا[3] ، توفيت سنة 652هـ/1254م يوم الأحد سابع شهر شوال[4]. وقد أنشأت هذه المدرسة بالجانب الغربي من بغداد ، اتجاه قطفتا وبظاهر محلة شارع أبن رزق الله ، وكان الشروع ببنائها سنة 649هـ/1251م[5] ، اما افتتاحها فكان سنة 653هـ/1253م[6]. أي بعد ثمانية أشهر من وفاة منشئتها باب بشير . وقد جعلتها وقفا على المذهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقوفا كثيرة قبل فراغها[7] ، وقد اثبت ذلك الوقت بكتابته في السجل[8] الخاص بالوقف على ذلك قاضي القضاة سراج الدين عمر أبن بركة النهر قلي (ت 655هـ)[9] ومن حضر مجلسه من العدول وغيرهم.

هذا وقد كان افتتاح المدرسة مناسبة مفرحة حضرها الخليفة وابناؤه وخواصه من المماليك وغيرهم ، وقد عملت فيها دعوة عظيمة بهذه المناسبة[10].

وكان لهذه المدرسة دار كتب كبيرة احتوت على انفس المصنفات ، فقد قال عنها الغساني " ونقل اليها من الكتب ما حمل على ست وثلاثين صندوقا بالخطوط المنسوبة والنسخ المضبوطة "[11].

---

[1] **م . ن , ص376**

[2] **رحلة ابن بطوطة , ص225**

[3] **الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2 ، ص608**

[4] **م . ن ، جـ2 ،ص608**

[5] **الحوادث الجامعة ، ص323**

[6] **م . ن ، ص324**

[7] **الحوادث الجامعة، ص324 ؛ معروف ، عالمات بغداديات ، ص29**

[8] **الغساني ، العسجد المسبوك ،جـ2 ، ص620 ، 603**

[9] **أبن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص278**

[10] **الحوادث الجامعة ، ص324؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2 ، ص609**

[11] **العسجد المسبوك ، جـ2 ، ص609**

ويبدو أن قسما من المحتويات هذه الخزانة من المصاحف كانت مشهورة بخطوطها المنسوبة منها مصحف بخط عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، ومصحف بخط زين العابدين علي أبن الحسين (عليه السلام) ، ومصحف منسوب لأبن البواب[1]، وهو أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المشهور (ت423هـ/1025م)[2] وغيره من أئمة الكتابة .

كانت المدرسة البشيرية من ضمن المدارس التي استأنفت فيها الدراسة بعد الغزو المغولي فقد ورد ذكر من تولى التدريس فيها، حيث رتب الشيخ نور الدين علي أبن الأطلبي الحنفي مدرسا بها سنة 668هـ/1269م[3]، وعين تاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلي الشافعي مدرسا بالبشيرية فضلا عن توليه القضاء بالجانب الغربي ببغداد سنة 671هـ/1272م[4].

وذكر أن في سنة 677هـ/ 1278م أعيد صدر الدين محمد أبن شيخ الاسلام الهروي الى القضاء بالجانب الغربي من بغداد وتدريس المدرسة البشيرية[5] ، كما ذكر أنه نقل مجد الدين علي بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية الى المدرسة البشيرية[6]، وهذا يدل على أن المدرسة كانت مفتوحة لطلاب العلم طيلة القرن السابع الهجري.

4- مدرسة الأصحاب:

هي المدرسة التي أنشئتها السيدة زمرد خاتون (ت 599هـ)[7] أم الخليفة الناصر وزوجة المستضيء ، من أعظم مدارس الشافعية ببغداد ، تم افتتاحها سنة 589هـ/1193م في موقع مجاور لتربتها قرب تربة الشيخ معروف الكرخي ، وألحقت بها دورا خاصة بالمدرسين والفقهاء والقومة ورتبت فيها مدرسا من أفاضل العلماء ، واجرت للجميع الرواتب الحسنة فصارت المدرسة بذلك من اشهر المعاهد العلمية ببغداد يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب[8] ، من أشهر مدرسيها في القرن السابع الهجري هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان المتوفي سنة 631هـ/1233م[9].

---

[1] م . ن ، جـ2 ، ص610

[2] أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ8 ، ص10 ؛ أبن خلكان ، وفيات ألأعيان ، جـ3 ، ص342.الغساني ، العسجد المسبوك ، جـ2 ، ص467 هامش رقم (58)

[3] الحوادث الجامعة ، ص399

[4] م . ن ، ص409

[5] م . ن، ص442

[6] الحوادث الجامعة، ص470

[7] أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ9 ، ص261

[8] رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، ص123

[9] الحوادث الجامعة ، ص91

كما تولى التدريس فيها القاضـي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصـري المتوفي سنة 672هـــ/1272م حيث ذكر صاحب الحوادث " كان عالما فاضلا ولي تدريس النظامية بعد واقعة بغداد ثم نقل الى تدريس مدرسـة الأصـحاب ودرس بالمدرسـة العصمتية عند فتحها وناب في الحكم والقضاء ببغداد[1].
وفي سنة 684هــ/1285م عين صدر الدين محمد أبن شيخ الاسلام مدرسا بمدرسة الأصحاب[2].

6- المدرسة العصمتية:
من مدارس بغداد التي امرت بانشائها زوجة[3] صاحب الديوان علاء الدين عطا ملك الجويني سنة 671هـــ/1272م[4] , وكانت تقع مجاور مشهد عبيد الله(عليه السلام) ظاهر بغداد , ووقفتها على المذاهب الاربعة وبنت الى جانبها تربة لها وربطا للمتصوفه , ورتب بها القاضـي عز الدين ابو المعز محمد بن جعفر البصـري مدرس المذهب الشافعي , وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي مدرس الحنفية وشرف الدين داود الجيلي مدرس الحنابلة , ومجد الدين المعروف بشـقير الواعظ مدرس المالكية , وخلع على الجميع وعمل بها وظيفة وجعلت النظر فيها الى شهاب الدين علي بن عبد الله[5] , وقد توفيت مؤسسة المدرسة سنة 678هـــ/1277م[6]. وهي من المدارس المستجدة في بغداد خلال القرن السابع الهجري.

5- البيمارستان:
البيمارستان او المارستان[7] لفضان اطلقا على المستشفيات بمفهومنا العصري وهي احد المؤسسـات الخيرية العامة التي شـيدها الخلفاء والملوك والسـلاطين والامراء والوزراء وغيرهم الموسرين من الرجال والنساء , صدقة وحسبة للانسانية وتخليدا لذكراهم[8].
ويبدو ان البيمارستانات كانت قليلة في بغداد خلال العصر العباسي وبالاخص الحقبة التي نحن بصـدد دراسـتها ويعود ذلك الى اعتبار ان تاسـيسـها يعد من المسـائل الدنيوية[9] , التي لم تكن للدولة فيها مسـؤولية دينية مما جعل وجودها يعتمد بصـورة

---

[1] م . ن ، ص413
[2] م . ن ، ص483
[3] تدعى شمس الضحى الشاه لبنى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن ايوب زوجة ابي بكر احمد ابن المستعصم اولا , ثم زوجة الصاحب علاء الدين عطا ملك ثاينة . ينظر : الحوادث الجامعة , ص446
[4] الحوادث الجامعة , ص408
[5] الحوادث الجامعة , ص409
[6] م . ن , ص446
[7] ابن منظور , لسان العرب , مج 6 , ص217 مادة مرس , الزبيدي , تاج العروس , جـــ4 , ص246 . بك , احمد عيسى , تاريخ البيمارستانات في الاسلام , المطبعة الهاشمية , دمشق , 1357هـ/1939م , ص4
[8] بك , تاريخ البيمارستانات في الاسلام , ص3
[9] متز , الحضارة الاسلامية , جـ 2 , ص205

رئيسية على الرغبة الشخصية لاولي الامر او غيرهم من سائر الافراد , فنلاحظ ان البعض منها قد تمتع بالاوقاف واحتفظ بها في شـــتى الظروف المختلفة بينما تعرض الباقي الى الاهمال والزوال مما جعلها ترتبط في وجودها واســتمرارها على الاغلب بوجود مؤســســها او دوام اوقافها[1], ومن بين البيمارســتانات التي بقيت اثارها حتى هذه الحقبة هو البيمارستان العضدي الذي سميه نسبة الى منشئه عضد الدولة البويهي سنة 368هـ/978م وتمت عمارته في سنة 371هـ/981م , ويقع في الجانب الغربي من بغداد , ذكر ابن الكازروني في بيان ذلك وهو يصـف عضـد الدولة :" ومن اثاره انشاء المارستان العضدي بالجانب الغربي في خراب دار ابن حمدان"[2].

ولعل خراب دار حمدان كانت بجوار موضع قصر الخلد[3] الذي كان متهدما يوم ذلك ، و الذي يرى البعض إن البيمارسـتان العضـدي انشـأ في موضـعه[4] وهو بذلك يقع بجانب جسر الطاق[5].

و يبدو إن موقع البيمارســـتان كان مختارا من بين مواقع أخرى اختيرت في تشـــييده فأختير أكثرها صـــلاحا و ملائمة لذلك ، حيث ذكر " أمر بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شـــقة لحم، اعتبر الذي لم يتغير و لم يســـهك[6] فيها اللحم بسرعة فأشار بأن يبني في تلك الناحية و هو الموضع الذي بني فيه البيمارستان"[7].

ومهما يكن من أمر ، فأن شــهرت هذا البيمارسـتان قد اقترنت بتجهيزه بما يحتاج من الأطباء والعاملين ، فضـــلا عن الأدوية و الأثاث و اللوازم الأخرى حيث ذكر ابن الجوزي في حوادث سـنة (372 هــــ / 982 م) : " و فتح المارسـتان الذي أنشـأه عضــد الدولة في الجانب الغربي من مدينة السـلام ، و رتب فيه الأطباء والمعالجون والخزان والبوابون والوكلاء والمناظرون نقلت إليه الأدوية والفرش والأدوات"[8].

والظاهر إن البيمارســتان العضــدي اسـتمر محتفظا بعمارته و تجهيزاته المختلفة و جودة خدماته للمرضى حتى خلافة الناصر لدين الله (622-57هـ/1880-1225م) فقد روى ابن جبير أثناء زيارته لبغداد بقوله:" بين الشارع و محلة باب البصرة سوق المارستان و هي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضـــى به ويرتبون لهم كل ما يحتاجون إليه وبين أيديهم قومه يتناولون طبخ الأدوية والأغذية وهو قصـــر كبير فيه

---

[1] مهدي الرحيم , الخدمات العامة في بغداد , ص150

[2] مختصر التاريخ , ص193 ؛ الاربلي , خلاصة الذهب المسبوك, ص260

[3] الخلد: قصر بناه المنصور على ضفة دجلة الغربية سنة (159 هــ / 779 م) ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جــ 1 ، ص 75 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـــ 2 ، ص 382 ؛ جواد ، سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص 56

[4] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 382 ؛ جواد ، سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص141

[5] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 120 ، جواد ، سوسة ، دليل خارطة بغداد

[6] يسهك : السهك قبيح رائحة اللحم ، الزبيدي ، تاج العروس ،جـ 7 ، ص 146 ، مادة (سهك)

[7] ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ 2 ، ص 343.

[8] المنتظم، جـــ7،112، وأشار ابن الأثير إلى ذلك باختصار الكامل في التاريخ ، جـــ9 ، ص 16 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ 4 ، ص 141

المقاصير[1] والبيوت وجميع مرافق المساكن المملوكية والماء يدخل إليه من دجلة"[2].

واستمر اهتمام الدولة بهذا المارستان من خلال تجهيزه بمختلف الأدوية والعقاقير وفي المناسبات المختلفة و من مختلف الجهات ، ففي سنة (599 هـ / 1202م) توفيت زمرد خاتون فأشار ولدها الناصر بحمل ما في خزانتها من الأدوية والعقاقير إلى البيمارستان العضدي ، وقيل إن ثمنه يقدر بآلاف الدنانير[3].

وكان الخليفة الظاهر (622-623 هـ) ممن وصف بالعطف على المرضى وكثرة الزيارات لهم في المارستان العضدي ، حيث ذكر ابن الكازروني ذلك بقوله:" كان كثير التردد إلى المارستان و التطلع على أحوالهم و الوصاة في حقهم رفقا بهم و رحمة[4].

كما اهتم الخليفة المستنصر (623-640 هـ) حيث ورد في الحوادث الجامعة " ....احد خدم الخليفة إلى المارستان ، و معهم عبد العزيز ابن القبيطي ، واعتبرت الحوائج التي في المخزن ، فسأل صاحب المخزن خازن المارستان و الطبيب و القُوّام: كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان؟ فاتفقوا على أن تكفي سنة ، فقال: قد أنهى ابن القّبيطي أن المارستان خالٍ من حوائج وانه سُيشتَرى ما يحتاج إليه المرضى ، ثم أمر به فصفع إلى أن وقع إلى الأرض ، و تقدم بحمله إلى حجرة المجانين ، فَحُبِسَ بها مسلسلا ، و أفرج عنه بعد شهر"[5].

ومن خلال هذا النص نستنتج أن الخليفة المستنصر كان يطلع على أحوال المارستان و ما في من المواد الطبية و العقاقير ، و نظرا لهذه الرعاية المستمرة التي حظي فيها المارستان من جانب الدولة و الأفراد على حد سواء فأنه استمر في تقديم خدماته الصحية للناس ، بالرغم مما أصابه من الخراب من جراء فيضان دجلة في فترات مختلفة[6]، و لكن النهاية الحقيقية لهذا البيمارستان كانت في حصار هولاكو لبغداد سنة (656 هـ / 1258 م)، حيث اتخذ بعض قواده محلة البيمارستان العضدي قاعدة لهجومه[7]، و لا ريب في إن هذا الحصار كان له اثر مباشر في تخريب البيمارستان.

---

[1] **المقاصير: مقاصير الطريق : نواحيها ، الزبيدي ، تاج العروس ، جـ 3 ، ص 196 ، مادة(قصر)**

[2] **الرحلة ، ص 225 ، 226 ، جواد و سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص 143 ، ص 144**

[3] **سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ 8 ، ق 2 ، ص 514 ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص 33**

[4] **مختصر التاريخ ، ص 256**

[5] **الحوادث الجامعة ، ص 15 ، 16**

[6] **لحق الخراب البيمارستان العضدي في فيضان دجلة لسنة (466 هـ / 1047 م) ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 8 ، ص 286 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 8، ص 91 ، و فيضان سنة 569 هـ / 1174 م ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ 10 ، ص 245 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ 9 ، ص 128، و عن هذه السنوات و غيرها انظر ، جواد و سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص 142**

[7] **الهمذاني ، جامع التواريخ ، م 2 ، جـ 1،ص286؛ جواد و سوسة ، دليل خارطة بغداد، ص 142.**

الخاتمة

اهتمت هذه الدراســـة بالحياة الاجتماعية في بغداد في القرن الســـابع الهجري وهي حقبة تكاد أن تكون من أهم الحقب التي مرت بها هذه المدينة في تاريخها الســـياســـي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي اذ شهدت بغداد سقوط الخلافة العباسية التي دامت أكثر من خمسة قرون ، يوم كانت المدينة عاصمة للدولة العربية الإسلامية ومركزا للنشاط السياسي للعالم الإسلامي فمنها تصدر التقاليد والتشريعات التي كانت تضفي الشرعية على حكم أمراء المسلمين للأقاليم المجاورة ، واليها يلجأ هؤلاء الأمراء عند تعرضـــهم لاعتداءات الخارجية لكي تأخذ بأيديهم وترد عنهم بما ترســـله من رســـل وأوامر ، فضلا عن أنها مجمع العلماء والأدباء المفكرين ومقصد لطلاب العلم ومنبع للتراث الإنســـاني ، وبســـقوطها فقدت بغداد زعامتها للعالم الإســـلامي ، أثر الغزو المغولي للمدينة ، فتحولت إلى أقليم تابع لحكم المغول.

ورغم ما تعرضـــت له المدينة من خراب أثر الغزو المغولي لها ، ألا أن التنظيمات الإدارية والاقتصـــادية والأحوال الاجتماعية في ظل الايلخانين لم تخضـــع لتغيرات مفاجئة أو عميقة ، بل إن الاستمرارية ظلت واضحة في البلاد رغم التغير السياسي الذي أطاح بالخلافة العباسية فبقيت العادات والتقاليد الاجتماعية التي توارثها المجتمع البغدادي منذ أقدم العصـــور حتى حقبة دراســـتنا على ما هي عليه بدليل أنها مازالت متوارثة حتى وقتنا الحاضر.

وهذا ما نراه واضحاً في طيات هذه الأطروحة اذ اوضحت فيها الأوضاع السياسية لماله من اثر بالغ في حياة أي مجتمع من المجتمعات الإنســـانية قبل ســـقوط الخلافة العباسية ، وبعد الاحتلال المغولي للمدينة.

كما أوضحت طبيعة المجتمع البغدادي خلال القرن السابع الهجري وبينت عناصره الجنسية أو العرقية التي تألفها منها وهم العرب والأتراك والفرس ، فضلا عن تسليط الضـــوء على المكونـات الـدينيـة في المجتمع البغـدادي وهم المســـلمون واليهود والنصـــارى مبينة مكانة كل فئة من هذه الفئات وعلاقتهم ببعضـــهم البعض من خلال ممارســـتهم لحقوقهم وعاداتهم وتقاليدهم التي نشـــئوا عليها كما أوضـــحت في هذه

الدراسة فئات المجتمع البغدادي ابتداء من الأشراف والقضاة ثم الفقهاء والمحتسب والتجار وأرباب الحرف والصناع وأخيرا العامة الذين يمثلون أغلبية المجتمع البغدادي ومن خلال هذه الدراسة استطعنا معرفة كل فئة ومالها من دور أساسي في المجتمع باعتبارها إحدى الركائز التي لابد من وجودها في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

كما ركزت الدراسة على المكانة الاجتماعية للأسرة البغدادية ، وأهمية الأسرة في المجتمع من خلال علاقة أفراد الأسرة ببعضهم البعض ووضوح الدور الذي يمارسه الرجل بوصفه رب الأسرة واحد أفراد المجتمع ومقارنة ذلك بدور المرأة الفعال في بيتها وفي الحياة العامة أيضا ، وقد ارتبط هذا كله بالأطفال وتربيتهم ومكانتهم في الأسرة.

ومن الأمور الأخرى التي توصلت لها هذه الدراسة من خلال البحث والتقصي التعرف على أنواع الطعام والشراب التي كانت سائدة في بغداد خلال هذه المرحلة ، ولم يقتصر اهتمامنا على هذا الجانب من حياة المجتمع البغدادي فحسب ، بل تحدثت عن أنواع الملابس كل حسب وضعه الاجتماعي كذلك أدوات الزينة ، هذا فضلا عن معرفة مستوى المعيشة للأسرة البغدادية وما يتصل بذلك من النظام النقدي المتداول ، ومستوى أسعار السلع.

كما استطعنا ان نتعرف على ابرز العادات والتقاليد الاجتماعية التي سادت في المجتمع البغدادي كعادتهم في الأفراح والمأتم ، وتصديقهم للخرافات والأساطير وعاداتهم في الأحلام والرؤيا ، وغيرها من العادات التي تحدثت عنها في طيات هذه الأطروحة.

ووضحت الدراسة أيضا الأعياد والاحتفالات التي كانت تضم ألواناً شتى من المناسبات في مدينة بغداد بعضها ديني وبعضها رسمي والبعض الأخر عائلي ، وتدل كلها على أن المجتمع كان في حاجة إلى الترويح عن النفس بشكل أو بأخر ، وإذا كان بعضها يدل على عمق الشعور الديني في المجتمع ، فان البعض الأخر كان يدل على

رقة المظهر الإســلامي في الحياة العامة ، وعلى الرغبة بالاشــتراك في الجانب الاجتماعي والمسلي من الأعياد التقليدية.

هذا فضــلا عن التعريف بوســائل التسـلية واللهو التي كانت تمارســها فئات المجتمع البغدادي والتي شـغلت أوقات فراغهم ، وقد شـملت هذه الوسـائل الألعاب الرياضـية كالفروســية واللعب بالبندق والصــيد والسـعي ، واللعب بالحيوانات ، هذا إلى جانب المجالس الاجتماعية التي كانت من وســائل التثقيف في العلوم المختلفة في شــؤون الدين ، فضــلا عن ممارســة الأصــول الصــحيحة في آداب المحادثة والسـلوك لكلا الجنسين من الرجال والنساء ، والتي كانت تعقد على اختلاف مكانتهم الاجتماعية.

ولم تغفل الدراســة أيضــا مظاهر العمارة والبناء في المجتمع البغدادي من خلال الوصــف الذي زودتنا به المصــادر وانفردت بذكر المســاجد والدور والحمامات والمدارس والبيمارسـتان ووظائفها وإعدادها باعتبارها أهم المنشـات الأسـاسـية في المجتمع.

القرآن الكريم

اولا – الكتب الخطية:

ابو محمد بن علي بن عطيه الحارثي (مازالت سنة وفاته مجهولة)

- الطبيخ ، مخطوطة مصورة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم (1683) .

ثانيا – المصادر العربية المطبوعة:

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن عبد الكريم (ت 630هـ / 1232 م)

1-الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1978م

2-اللباب في تهذيب الانساب ، طبعة القاهرة ، 1356هـ / 1937 ، ودار صادر بيروت ، د.ت

ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن احمد القريشي (ت729هـ / 1328م)

3- معالم القربة في احكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن لوي ، دار الفنون ، كمبردج ، 1937م

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت 717هـ / 1317م)

4- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، صححه مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت

الازدي ، محمد بن احمد ابو المطهر (عاش في القرن الرابع الهجري)

5- حكاية ابي القاسم البغدادي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1902م

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسن (ت 356هـ / 967م)

6- الاغاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1407هـ / 1986م

الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر (ت 617هـ / 1220م)

7- مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، مطبعة عالم الكتب ، القاهرة ، 1968م .

البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسـماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت 256هـ / 869م)

8- صحيح البخاري ، تحقيق قاسم الشماعي ، بيروت ، 1408هـ / 1987م

ابن بسام ، محمد بن احمد بن بسام المحتسب (589هـ / 1193م)

9- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968م

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله (ت 779هـ / 1377 م)

10- تحفة الانظار في غرائب الامصـار ، المعروف (برحلة ابن بطوطة) حققه وعلق عليه علي المنتصر الكناني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د , ت

البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ / 1338 م)

11- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1945 م

البغدادي ، محمد بن الحسن بن محمد عبد الكريم الكاتب (الف كتابه سنة 623 هـ)

12- الطبيخ ، تحقيق داود الحلبي ، بيروت ، د . ت

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ / 892 م)

13- فتوح البلدان ، نشرة صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956 م

البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت 440 هـ / 1048 م)

14- الاثار الباقية عن القرون الخالية ، باعتناء س . ادوارد سخاو , لايبزك ، 1923م

ابن البيطار ، ضياء الدين ابو محمد عبد الله الحسن الاندلسي (ت 646 هـ / 1246م)

15- الدرة البهية في منافع الابدان الانسـانية ، ط 3 ، تحقيق محمد عبد الله الغزالي الاسكندري ، مطبعة كرم ، دمشق ، د.ت

البيهيقي ، ابراهيم بن محمد (ت 320 هـ / 932 م)

16- المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، بيروت ، 1960 م

الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ / 892 م)

17- الجامع الصـــحيح وهو ســـنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شـــاكر ، المكتبة الاسلامية ، د.ت

التطيلي ، بنيامين بن يونه الاندلسي (ت569 هـ / 1173 م)

18- رحلة بنيامين ، ترجمها عن الاصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها ، عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد ، 1945 م

ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874 هـ / 1369 م)

19- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، د.ت

التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي (ت 384 هـ / 994 م)

20- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق المحامي عبود الشالجي ، بيروت ، 1971 – 1973 م

21- الفرج بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، 1955 م

التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد الواسطي البغدادي (ت 400 هـ / 1009 م)

22- الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين ، مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت 430 هـ / 1038 م)

23- فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مطبعة البابي الحلبي ، 1938 م

24- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1949 م

الجاحظ ، ابو عثمان بن بحر (ت 255 هـ / 868 م)

25- التبصــرة بالتجارة في وصــف ما يســتظرف من البلدان من الامتعة الرخيصــة والاعلاق النفيســة والجواهر الثمينة ، عني بنشــره والتعليق عليه حســن حســني عبد الوهاب ، ط 2 ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1935 م

26- البخلاء ، دار صادر بيروت ، 1980 م

27- الرسائل ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1979 م

28- سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1982م

29- التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق احمد زكي باشـا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، 1914 م

30- البيـان والتبين ، ط 2 ، تحقيق عبـد الســـلام هـارون ، مطبعـة لجنـة التـاليف والترجمة والنشر 1960 – 1961 م

31- الحيوان ، تحقيق وشــرح عبد الســلام هارون ، مطبعة مصــطفى البابي الحلبي واولاده 1378 هـ / 1958 م

ابن جبير ، محمد بن احمد الكناني (ت 614 هـ / 1217 م)

32- الرحلة ، دار صادر بيروت ، 1964 م

ابن الجزري ، شمس الديين ابو الخير محمد بن محمد (ت 883 هـ /1429م)

33- غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر .ح. برجستراسر ، 1932 م

الجوالقي ، ابو منصور موهوب بن احمد (ت 540 هـ / 1145 م)

34- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف الهجاء ، تحقيق احمد محمد شـــاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1361 هـ

ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ / 1200 م)

35- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، 1358 هـ / 1959 م

36- الاذكياء ، تحقيق عبد الله محمد صـــــديق الغماري ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، د.ت

37- اخبار الظراف والمتماجنين ، باعتناء القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، 1347 هـ

38- ذم الهوى ، تحقيق مصـــطفى عبد الواحد ، ومراجعة محمد الغزالي ، مطبعة السعادة ، 1381 هـ / 1962 م

39- صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ، دار الوعي ، حلب ، 1963 م

40- القصاص والمذكرين ، تحقيق ابو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني ، زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1406 هـ / 1986 م

41- صيد الخاطر ، تحقيق ناجي الطنطاوي ، دار الفكر ، دمشق ، 1380هـ/1960م
42- تلبيس ابليس ، تصحيح محمد منير الدمشقي ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د.ت
الحبشي ، ابو عبيد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي (ت 782 هـ / م)
43- البركة في فضل السعي والحركة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، 1308 هـ
ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي بن محمد (ت 852 هـ / 1448 م)
44- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق سالم الكرنكوي ، حيدر اباد الدكن ، 1348 هـ
45- لسان الميزان ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1971 م
46- فتح الباري بشرح البخاري ، القاهرة ، 1959 م
47- الاصابة في تميز الصحابة ، تحقيق طه محمد الزيني ، 1389 هـ / 1969 م
الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي (ت 622هـ / 1225م)
48- أخبار الدولة السلجوقية ، بأعتناء محمد أقبال ، لاهور ، 1933م
الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد المصري (ت 1069 هـ / 1659 م)
49- شـــفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، مطبعة الســـعادة ، القاهرة ، 1325هـ
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (808 هـ / 1406 م)
50- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1977 م
51- المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1961م.
ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت 681 هـ / 1282 م)
52- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، دار صادر بيروت ، 1977 م
الخوارزمي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هـ / 997 م)
53- مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، القاهرة ، د.ت
ابن الدبيثي ، ابو عبد الله محمد بن سعيد (ت 637 هـ / 1239 م)

54- المختصـــر المحتـاج اليـه ، انتقـاء محمـد بن احمـد بن عثمـان الـذهبي ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة دار الزمان ، بغداد ، 1963 م

55- ذيل تاريخ مدينة السـلام بغداد ، حققه وعلق عليه بشــار عواد معروف ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، 1974 م

ابن دحية ، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت 633 هـ / م)

56- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1946 م

الدمشقي ، ابو الفضل جعفر بن علي (عاش في القرن السادس الهجري)

57- الاشارة الى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، دمشق ، 1318 هـ

الدواداري ، ابي بكر بن عبد الله بن ايبك (ت 736 هـ /1335م)

58- كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، 1972 م

الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت 808 هـ / 1405 م)

59- حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ، 1958م

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت 748هـ / 1247م)

60- دول الاسلام ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية صيد آباد الدكن ، ط2 ، 1365هـ

61- تاريخ الاسلام ووفيات المشـاهير والأعلام ، حققه وضبطه بشار عواد معروف وشعيب الانؤوط وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، 1408هـ /1988م

62- العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، 1963م

63- سـير أعلام النبلاء ، حققه بشـار عواد معروف ومحيي هلال سرحان ، مؤسسـة الرسالة ، بيروت ، 1985م

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1268م)

64- مختار الصحاح ، مطبعة الرسالة ، الكويت ، 1983م

الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ / 1108 م)

65- محاضـرات الادباء ومحاورات الشـعراء والبلغاء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1961 م

ابن الراهب ، ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذب القبطي (ت 681 هـ / 1282 م)
66- تاريخ ابن الراهب ، عني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، 1903 م
الراوندي ، محمد بن علي (ت 603 هـ / 1206 م)
67- راحة الصـــدور وآية الســـرور في تاريخ الدولة الســـلجوقية ، مطابع دار القلم ، القاهرة ، 1960 م
ابن رجب ، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد (ت 795 هـ / 1392 م)
68- الذيل على طبقات الحنابلة ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1953 م
الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205 هـ / 1791 م)
69- تاج العروس في جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1306 هـ
70- معجم اسـماء النباتات ، تحقيق مصـطفى الدمياطي ، الدار المصـرية للطباعة ، القاهرة ، 1965 م
ابن الزبير ، القاضي رشيد ابو الحسين احمد (عاش في القرن الخامس الهجري)
71- الذخائر والتحف ، حققه محمد حميد الله ، الكويت ، 1959 م
ابن الساعي ، تاج الدين علي بن انجب (ت 674 هـ / 1275 م)
72- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، جـــ 9 ، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة الكاثوليكية ، بغداد ، 1934 م
73- نســاء الخلفاء المســمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، ط 2 ، حققه مصطفى جواد ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت
74- مختصر أخبار الخلفاء ، المطبعة الأميرية بولاق، مصر ، 1309هـ

سبط أبن التعاويذي ، أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله (ت583هـ/1187م)
75ـــ ديوان سبط التعاويذي ، باعتناء د . س . مرجليوث ، مطبعة المقتطف ، مصر ،1903م
سبط أبن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/1256م)

76- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، 1952م

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت771هـ/1369م)

77- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود الطنطاوي وعبد الطحناوي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ، 1964م

78- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي البخاري ، وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1367هـ/1948م

السلامي ، أبو المعالي محمد بن رافع (ت774هـ/1372م)

79- تاريخ علماء بغداد المسمى (منتخب المختار) ، تحقيق عباس العزاوي ، مطبعة الأهالي ، بغداد ، 1938م

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد التميمي المروزي (ت526هـ/1166م)

80- الأنساب ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مطبعة دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن 1383 – 1378هـ ، وطبعة أخرى نشر ، مرجليوث ، ليدن ، 1912م

السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي (ت499هـ/1105م)

81- روضة القضاة وطريق النجاة ، حققه وقدم لها وترجم لمصنفتها صلاح الدين الناهي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1970م

السويدي ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت1200هـ)

82- تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، بغداد ، 1978م

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)

83- تاريخ الخلفاء ،دار المنار ، القاهرة ، د.ت

84- نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ، د.ت

أبن سيده ، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت458هـ/1065م)

85- المخصص ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، 1316-1321هـ
الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت388هـ/998م)
86- الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1951م
أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت665هـ/1247م)
87- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف ب"الذيل على الروضتين" تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، نشر عزت العطار ، ط2 ،دار الجيل ، بيروت ، 1974م
الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد (ت589هـ/1193م)
88- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1946م
الصابيء ، أبو الحسين الهلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)
89- رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1383هـ/1964م
90- الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار أحياء الكتب العربية ، 1958م
الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (764هـ/1263م)
91- نكت الهيمان في نكت العميان ، المطبعة الجمالية ، مصر ، 1911م
92- الوافي بالوفيات ، باعتناء س . د يدريبغ ، دمشق ، 1953م
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)
93- تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، 1962م
الطبرسي ، رضى الدين أبي نصر بن الفضل (توفي في القرن السادس الهجري)
94- مكارم الأخلاق ، مؤسسة النعمان ، بيروت ، د . ت
أبن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م)
95- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، بيروت ، د.ت
أبن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت685هـ/12865م)
96- تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1890م

أبن عبد ربه ، أبن عمر احمد بن محمد (ت328هـ/940م)

97- العقد الفريد ، القاهرة ، 1940م

أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت209هـ/824م)

98- نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ، 1907م ، وطبعة بغداد بالاوفست ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت 571 هـ / 1176 م)

99- تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الحسن الاشعري ، عني بنشره القدسي ، مطبعة التوفيق ، دمشق 1347 هـ

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت1089 هـ / 1679 م)

100- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1351 هـ

العماد الكاتب الاصفهاني ، عماد الدين بن محمد (ت 597 هـ / 1200 م)

101- تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي البنداري الاصفهاني ، مطبعة دار الافاق الجديد ، ط 3 ، بيروت ، 1980 م

العمري ، شهاب الدين ابن فضل الله (ت 748 هـ / 1347 م)

102- مسالك الابصارفي ممالك الامصار ، تحقيق احمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1924 م

العمري ، ياسين خير الله الخطيب (ت 1232 هـ / 1816 م)

103- غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، دار منشورات البصري ، بغداد ، 1388هـ / 1968 م

ابن عنبة ، جمال الدين احمد بن علي الحسني (ت 828 هـ / 1424 م)

104- عمدة الطالب في انساب ابي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1961 م

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ / 1111 م)

105- احياء علوم الدين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1939 م

106- المستصفى من علم الاصول ، المطبعة الامرية ، بولاق ، مصر ، 1322 هـ

الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت 815هـ/1412 م)

107- مطالع البدور في منازل السرور ، مطبعة الوطن ، القاهرة ، 1300 هـ

الغزي ، كامل حسين بن محمد الحلبي

108- نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، حلب ، د.ت

الغساني ، الملك الاشرف اسماعيل بن عباس (ت 803هـ / 1400 م)

109- العســـجد المســـبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، مطبعة دار البيان ، بغداد ،1975م

110- الغياثي ، عبد الله بن فتح الله

تاريخ الغياثي ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1975م

ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت 732هـ / 1331م)

111- المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية د.ت

112- تقويم البلدان ، تحقيق رينود وديسلون ، باريس ، 1815

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 807 هـ / 1404 م)

113- تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حســـن محمد الشـــماع ، مطبعة حداد ، بغداد ، 1386هـ/1967 م

ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد بن الفقيه الهمداني (ت 340 هـ / 951 م)

114- مختصر كتاب البلدان ، باعتناء ام . جي ، ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن 1885 م

115- بغداد مدينة السلام ، تحقيق صالح احمد العلي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، باريس ، 1977 م

ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت 723 هـ / 1323م)

116- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق مصـــطفى جواد ، دار الكتب الظاهرية ، دمشق ، د.ت

117- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الســابعة (المنســوب اليه خطأ) ، تحقيق بشـــار عواد معروف وعماد عبد الســـلام رؤوف ، دار الغرب الاســـلامي ، بيروت ، 1997 م

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ / 1414 م)

118- القاموس المحيط ، القاهرة ، 1913 م
القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ / 1283 م
119- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د.ت
القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (646 هـ / 1248 م)
120- اخبار العلماء واخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1326 م
القلقشندي ، احمد بن عبد الله (ت 821هـ / 1248م)
121- مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الســـتار احمد فراج ، الكويت ، 1964م
122- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، شرح وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م
ابن الكازوني ، ظهر الدين علي بن محمد (ت697 هـ / 1297 م)
123- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1970 م
124- مقامه في قواعد بغداد في الدولة العباســـية ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، بغداد 1962 م
الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764 هـ / 1362 م)
125- فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، 1973
ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت 774 هـ / 1372 م)
126- البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1966 م
ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (275 هـ / 888 م)
127- سنن ابن ماجه ، الرياض ، 1404 هـ
الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد البصري (450 هـ / 1058 م)
128- الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، بغداد ، 1989 م
129- آدب القاضي ، تحقيق محي هلال السرحان ، بغداد ، 1972 م
المجيلدي ، احمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1683 م)

130- التيسير في احكام التعسير ، تحقيق موسى الفيال ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1970 م

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346 هـ / 975 م م)

131- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، 1965 م

مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه الخازن (ت 421 هـ / 1030 م)

132- تهذيب الاخلاق ، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول ، 1908 م ، ودار الكتب العلمية ، 1981 م

مسلم النيسابوري ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ / 874 م)

133- صحيح مسلم ، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، د.ت

ابن المعمار ، محمد بن ابي المكارم البغدادي (ت 642 هـ / 1244 م)

134- الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد واخرون ، بغداد ، 1960 م

المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله (ت 375 هـ / 985 م)

135- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعة ليدن ، 1909 م

المقدسي ، مطهر بن طاهر – كان حيا في بداية القرن الرابع

136- البدء والتاريخ ، باعتناء كليمان هوار ، مطبعة برطندة ، شالون ، 1899 – 1919 م

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م)

137- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934 م

138- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعة بولاق ، د.ت

ابن المقفع ، عبد الله (ت 139 هـ / م)

139- رسالة الصحابة ، ضمن كتاب المجموعة الكاملة (الادب الصغير ، الادب الكبير ، رسالة الصحابة) ، ط 4 ، دار البيان ، بيروت ، 1970 م

المكي ، ابو طالب محمد بن علي (ت 386 هـ / 996 م)

140- قوت القلوب ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، 1351 هـ / 1932 م
المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم (ت 656 هـ / 1258 م)
141- التكملة لوفيات النقلة ، حققه بشار عواد معروف ، مطبعة الادب ، النجف الاشرف ، 1968 – 1971 م ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1981 م
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311 م)
142- لسان العرب ، القاهرة ، 1308 هـ
النبهاهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله بن محمد (كان على قيد الحياة سنة 793 هـ)
143- تاريخ قضاة الاندلس ، باعتناء ليفي بروفسال ، بيروت ، د.ت
ابن النجار ، محب الدين بن محمود البغدادي (ت 643 هـ / 1254 م)
144- التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من العلماء الانام ، تحقيق الاء نافع التكريتي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1989 م
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (732 هـ / 1332 م)
145- نهاية الارب في فنون الادب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1929 م / وطبعة 1949 م
الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت 718 هـ / 1318 م)
146- جامع التواريخ ، نقله الى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد ، دار احياء الكتب العربية ، البابي الحلبي ، د.ت
ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ /1297م)
147- الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق ، جمال الدين الشيال ، مطبعة القاهرة ، 1953 م
الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى (ت 325 هـ / 936 م)
148- الموشي او الظرف والظرفاء ، تحقيق كمال مصطفى ، ط 2 ، مكتبة الخفاجي ، مصر ، 1953 م
اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي (ت 768 هـ / 1366 م)

149- مراة الجنـان وعبرة اليقظـان ، دائرة المعـارف العثمـانيـة ، حيـدر ابـاد الـدكن ، 1339 هـ ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، 1970 م
ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت 626 هـ / 1229 م)
150- معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 1996 م
151- معجم الادباء ، دار المشرق ، بيروت ، د.ت
اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر (ت 284 هـ / 897 م)
152- البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1988 م
ابو يعلي ، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت 458هـ / 1066م)
153- الاحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، القاهرة (1357هـ/ 1938م).
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت 182 هـ / 798 م)
154- الخراج ، القاهرة ، 1302 هـ
اليونيني ، قطب الدين موسى (ت 726 هـ / 1326 م)
155- ذيل مراة الزمان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، 1954 م

ثالثا – المصادر الفارسية:

الجويني ، علاء الدين عطا ملك (ت 681 هـ / 1282 م)
156- تاريخ جهانكشاي ، تحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني ، ليدن ، 1916 م
القزويني ، حمد الله بن ابي بكر (ت 750 هـ / 1349 م)
157- تاريخ كزيدة ، تحقيق ونشر براون ، لندن ، 1328 هـ
الهمداني ، رشيد الدين فضل الله (ت 718 هـ / 1318 م)
158- تاريخ مبارك غازاني داســتان غازان ، بســعي واهتمام كارل يان ، لندن ، 1940 م

رابعا – المراجع الحديثة:

ابو الاجفان ، محمد

1- الحياة الاجتماعية من خلال بعض كتب الحسـبة ، مطبعة وزارة المعارف ، بغداد ، د.ت

ابو زهرة ، محمد

2- ابو حنيفة ، القاهرة ، 1960 م

ارنولد ، توماس

3- الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم وعبد المجيد ، القاهرة ، 1975 م

ارنيست ، كورنل

4- الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى ومراجعة ابراهيم الدسوقي ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، 1961 م

الاطرقجي ، رمزية

5- الحياة الاجتماعية في بغداد في العصـــر العباســـي الاول ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1982 م

افندي ، نظمي زاده مرتضى

6- كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، النجف ، 1971 م

الالوسي ، محمود شكري

7- تاريخ مســاجد بغداد واثارها ، تهذيب محمد بهجة الاثري ، مطبعة دار الســلام ، بغداد ، 1346 هـ

آل ياسين ، محمد مفيد

8- الحياة الفكرية في العراق في القرن الســـابع الهجري ، الدار العربية للطباعة ، بغداد ، 1979 م

آل ياسين ، محمد حسن

9- تاريخ المشهد الكاظمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1967 م

امين ، احمد

10- ظهر الاسلام ، ط 2 ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1975م

امين ، حسين

11- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1965 م

12- المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1960 م

الانباري ، عبد الرزاق علي

13- النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1397 هـ / 1977 م

14- منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية ، مطبعة الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، بيروت ، 1987 م

بابو اسحق ، رفائيل

15- تاريخ نصارى العراق ، مطبعة المنصور ، بغداد ، 1948 م

16- احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1960م

الباشا ، حسن

17- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، القاهرة ، 1975 م

بدر ، مصطفى طه

18- مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، القاهرة ، د.ت

بك ، احمد عيسى

19- تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1357 هـ / 1939 م

الجميلي ، رشيد عبد الله

20- تاريخ الدولة العربية الاسلامية ، بغداد ، 1988 م.

جواد ، علي

21- تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1954م

جواد، مصطفى

22- سيدات البلاط العباسي ، دار الفكر ، بيروت ، 1950م

جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد

23- دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ، المفصل في خطط بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1378هـ/1958م

حتي ، فيليب وآخرون

24- تاريخ العرب المطول ، بيروت ، 1950م

حسن ، حسن ابراهيم

25- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط15 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001م

حسن ، محمود

26- الاسرة ومشكلاتها ، دار المعارف ، مصر ، 1967م

الحسيني ، محمد صادق

27- عمران بغداد ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، 1930م

خصباك ، جعفر حسين

28- تاريخ العراق في عهد المغول الأيلخاني ، بغداد ، 1968م

الخليلي ، جعفر

29- موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ، دار التعارف ، بغداد ، د . ت

الدسوقي ، عمر

30- الفتوة عند العرب ، مطبعة النهضة ، مصر ، د.ت

الدوري ، عبد العزيز

31- مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ط2 ،المطبعة الكاثوليكية ، 1961م

32- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط3 ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995م

الراوي ، عبد اللطيف عبد الرحمن

33- المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري ، مكتبة النهضة ، بغداد ، د.ت

رحمة الله ، مليحة

34- الحالة الاجتماعية في القرنيين الثالث والرابع بعد الهجرة ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، 1970م

رؤوف ، عماد عبد السلام

35- مدارس بغداد في العصر العباسي ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، 1966م

36- من تاريخ الخدمات النسوية في بغداد ، بحث منشور في كتاب بغداد في التاريخ ، 1990م

الزركلي ، خير الدين

37- الأعلام ، ط2 ،بيروت ، د .ت

السامرائي ، حسام

38- المؤســــســــات الأدارية في الدولة العباســـية ، مكتبة دار الفتح ، دمشـــق ، 1391هـ/1971م

السبحاني ، جعفر

39- طبقات الفقهاء في القرن السابع ، مؤسسة الأمام الصادق(عليه السلام)، مطبعة اعتماد ، قم ، 1419هـ

سلمان ، عيسى

40- تحرير العراق من التســلط الأجنبي وانتعاش الخلافة ، بحث منشـــور في كتاب العراق في التاريخ ، بغداد ، 1983م

الشبيبي ،محمد رضا

41- مؤرخ العراق أبن الفوطي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1958م

42- أصول اللفاظ اللهجة العراقية ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، 1956م

شلبي ، احمد

43- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضـارة الاسلامية ، مكتبة النهضـة المصـرية ، القاهرة ، ط2 ، 1982م

الشنتاوي ، احمد وآخرون

44- دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شريف .

شير ، آدي

45- الالفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، 1908م

الصياد ، فؤاد عبد المعطي

46- المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م

عاشور ، سعيد عبد الفتاح وآخرون

47- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط2 ، الكويت ، 1986م

عبد الباقي ، محمد فؤاد

48- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1378هـ

العبود ، عبد الكريم توفيق

49- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، 1976م

العبيدي ، صلاح حسين

50- الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي ، بغداد ، 1980

العريني ، الباز

50- المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1967م

العزاوي ، عباس

52- تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ، 1935م

53- تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية ، طبع شركة التجارة للطباعة ، 1958م

عواد ، ميخائيل

54- صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، دار الطليعة، بيروت ، 1981م

الغندور ، احمد

55- الطلاق في الشريعة الاسلامية والقانون ، مصر ، 1976م

غنيمة ، يوسف رزق الله

56- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2001م

فهد ، بدري محمد

57- العـامـة ببغـداد في القرن الخـامس الهجري ، مطبعـة الارشـــاد، بغـداد ، 1387هـ/1967م

58- تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير، مطبعة الارشاد،بغداد،1973م

59- المجتمع العراقي في العصر العباسي ، بحث منشور في كتاب حضارة العراق، بغداد ، د.ت

فوزي ،فاروق عمر

60- تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الاسلامية (1-656هــــ)، مطبعة الدار العربية، بغداد ، 1988م

61- الخلافة العباســية في عصــورها المتأخرة ، مطبعة دار الخليج ، الشـــارقة ، 1983م

62- الخليفة الداهية الناصــرلدين الله العباســي ، دار الشــؤون الثقافية العامة ، بغداد ،1989م

القزاز ، محمد صالح داود

63- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ، مطبعة القضاء ، النجف ، 1391هـ/1971م

64- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء، النجف ، 1390هـ/ 1970م

كحالة ، عمر رضا

65- اعلام النساء في عالمي العرب والأسلام ،ط2 ،بيروت ، د .ت

الكرملي ، الاب انستاس ماري

66- الفوز بالمرادفي تاريخ بغداد ،بغداد ،1329هـ

الكلداني ، بطرس نصري –القس

67- ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السرياني ، طبع في الموصل في دير الاباء الدومنيكين ، 1905م

كوركيس عواد

68- خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1948م

ليسترنج ، غي

69- بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، بغداد ، 1355هـ/1936م

ماجد ، عبد المنعم

70- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ،1963م

متز ، آدم

71- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، 1940م

المشهداني ، محمد جاسم والنقشبندي اسامة

72- المستنصرية في التاريخ ، الندوة العلمية للمستنصرية ، بغداد ، 1986م

معروف ، ناجي

73- المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1965م

74- عالمات بغداديات في العصر العباسي ، بغداد ، 1967م

75- تاريخ علماء المستنصرية ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1965م

مهدي الرحيم ، عبد الحسين

76- الخدمات العامة ببغداد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987م.

موسى ، محمد يوسف

77- تاريخ الفقه الاسلامي ، ط2 ، القاهرة ، 1966م

النقيب ، احلام حسن مصطفى

78- سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، سلسلة رسائل جامعية، بغداد ، 2000م

الهاشمي ، محمد
79- الفكر العربي جذوره وثماره ، شيكاغو ، 1997م
هل : ي
80- الحضـــارة العربية ، ترجمة ابراهيم العدوي ، مراجعة حســين مؤنس ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1956م
هنتس ، فالتر
81- المكايل والاوزان الاســلامية ، ترجمة كامل العســلي ، منشــورات الجامعة الاردنية ، عمان ، 1970 م

<u>خامسا – الدوريات :</u>

جواد ، مصطفى
1- المدرسة المستنصرية ، مجلة سومر ، مجلد (14) ، بغداد ، 1959 م
2- ازياء العرب ، مجلة التراث الشعبي ، العدد 8 ، لسنة 1964 م
3- الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاســلامية ، مجلة ســومر ، المجلد (10) ، بغداد ، 1954 م
4- المعاهد الخيرية النســوية القديمة في العراق ، مجلة الاداب والعلوم مطبعة وزارة المعارف ، العدد الاول ، بغداد ، حزيران ، 1956 م
خصباك ، جعفر.
5- القضـــاء في العراق في العهد الســلجوقي ، المجلة التاريخية ، الجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، العدد 3 ، بغداد ، 1974

6- احوال العراق الاقتصـــادية في عهد الايلخانين المغول ، مجلة كلية الاداب ، العدد الرابع ، 1961 م

داود ، نبيلة عبد المنعم

7- اداب المائدة ، تاريخ العلوم عند العرب (الندوة القطرية) 17-15 نيسان ، مركز احياء التراث العربي ، 1986

الدوري ، عبد العزيز

8- نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، العدد الاول ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1959 م

رمضانوف ، ن . ف

9- دراســـة في عالم الغزالي وفكره ، ترجمة وتعليق جليل كمال الدين ، مجلة المورد ، المجلد 9 ، العدد 4 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 م

رؤوف ، عماد عبد السلام

10- حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانين ، مجلو المؤرخ العربي ، العدد 11 لسنة 1979 م .

سوسة ، احمد

11- الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد العاشر ، 1962 م

السوداني ، صادق حسين

12- الوظائف الادارية في دولة الناصر لدين الله العباسي ، مجلة المورد ، العدد 3 ، المجلد 3 ، وزارة الثقافة والاعلام ، 1974 م

الصالح ، عباس علوان

13- نصير الدين الطوسي واستيلاء المغول على بغداد ، مجلة الرسالة ، العدد 46 ، السنة الثانية ، 1934 م

طلس ، محمد اسعد

14- الحياة الاجتماعية عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، لسنة 1951 م

العلي ، صالح احمد

15- الحريم الطاهري ، مجلة الاقلام ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، جـ 9 ،الطبعة 5 ، 1969 م

16- قضـاة بغداد في العصـر العباسـي ، مجلة المجمع العراقي ، مجلد 18 ، بغداد ، 1969م

الكرملي ، الاب انستاس

17- معاهد بغداد العمومية عند سـقوطها الاول ، مجلة المشـرق ، المجلد 4 ، لسـنة 1908م

معروف ، ناجي

18- خزانة المستنصرية ، مجلة الاقلام ، جـ 4 ، السنة الثانية ، 1965 م

سادسا – الرسائل الجامعية

حيدر، عبد الرحمن فرطوس

1- العراق في عهد محمود غازان 694-703هـ / 1295-1304م ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1998 م

ذنون ، فارس محمود

2- المكانة الاجتماعية للفقهاء في العراق في العصر العباسي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة الموصل ، 1989 م

عباس ، ندى موسى

3- الربط في العراق في العصـر العباسـي ، رسـالة دكتوراه غير منشـورة مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1996 م

العلواني ، جهاد عبد حسين

4- اثر الوعظ والواعظ في بغداد في القرن الســـادس الهجري في الحياة الســـياســـية والاجتماعية ، رســـالة ماجســـتير على الالة الطابعة ، غير منشـــورة مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1993 م

سابعا – المراجع الاجنبية:

Ali Mozahery

- Lavie Qutidien nedes Musulmanna Moyen Age (Pairs 1901)

Browne (E . G) :

Aliterary History of Persia (London – 1920)-

Dozy (R . P . A):

- Dectionnare Details Des name , Des vectements , chezles Arabs Amsterdam 1845 , lyden 1908

G . Lf strange:

- Baghdad during the Abbasid caliphate (London – 1924)

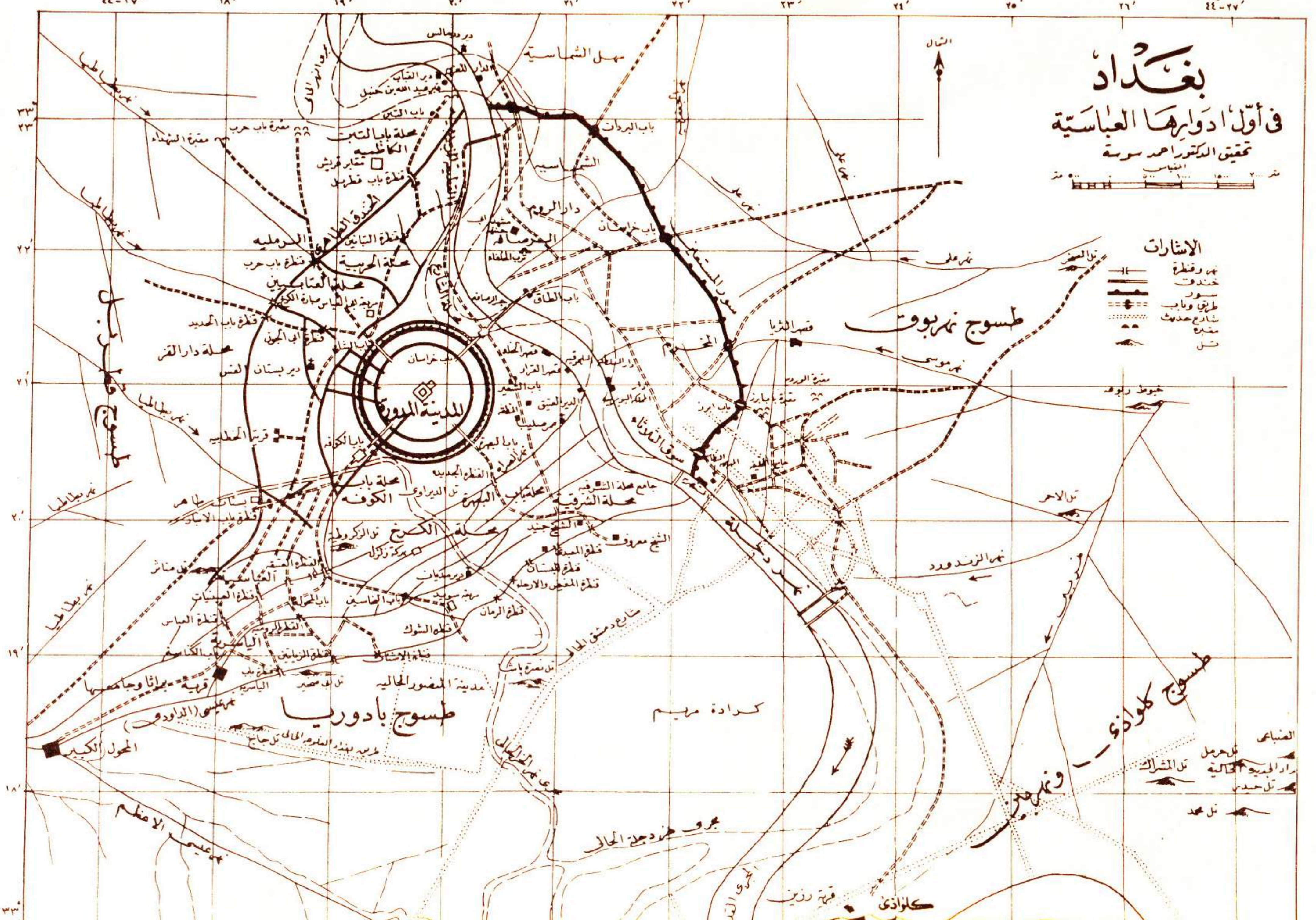
Muir , sir William :

-The Caliphate . Its Rise , Decline and fall (Beirut – 1963)

S . W . Baron

- Asocial and Religios History of the Jews , Columbia university Press , (New York)

- The Encyclopedia of Islam (London : 1965)



بغداد
في أول ادوارها العباسيّة
تحقيق الدكتور احمد سوسة
المقياس
الشمال
الاشارات
نهر وقنطرة
خندق
سور
طريق وباب
شارع حديث
مقبرة
تل
المدينة المدورة
باب خراسان
باب الكوفة
سوق الثلاثاء
نهر دجلة
طسوج نهر بوق
طسوج بادوريا
طسوج قطربل
طسوج كلواذى ونهر بين
كرادة مريم
الرصافة
دار الروم
الشماسية
سهل الشماسية
باب البردان
باب خراسان
باب الطاق
المخرم
قصر الثريا
محلة الكرخ
محلة الشرقية
محلة باب البصرة
محلة باب الكوفة
محلة الحربية
محلة العتابيين
محلة باب التبن
الكاظمية
مقابر قريش
مقبرة باب حرب
مقبرة الشهداء
قنطرة باب حرب
محلة دار القز
دير بستان القس
قرية الحطابية
الياسرية
القاسمية
قنطرة العباس
قرية براثا وجامعها
المحول الكبير
مدينة المنصور الحالية
نهر عيسى
نهر عيسى الاعظم
نهر الزندورد
نهر موسى
نهر علي
كلواذى
قرية رزين
تل الاحمر
تل محمد
الصناعي
٤٤-١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٤٤-٢٧

مدارس بغداد في العصر العباسي

صنعها عماد عبد السلام



١	المدرسه المجاهديه	١٤	المدرسه الشرابيه
٢	مدرسه بنفشا	١٥	مدرسه ابن الجوزي
٣	المدرسه التتشيه	١٦	مدرسه قراح ظفر
٤	المدرسه النظاميه	١٧	مدرسه ابن بكروس
٥	المدرسه المستنصريه	١٨	مدرسه ابن العطار
٦	المدرسه التتشيه	١٩	المدرسه الكماليه
٧	مدرسه الامير سعاده	٢٠	مدرسه جامع السلطان
٨	المدرسه الموفقيه	٢١	مدرسه ابي حنيفه
٩	مدرسه ابي نجيب السهروردي	٢٢	مدرسه باب الطاق
١٠	مدرسه دار الذهب	٢٣	مدرسه باب الشعير
١١	المدرسه التاجيه	٢٤	المدرسه البشيريه
١٢	مدرسه الابرادي	٢٥	مدرسه زمرد خاتون
١٣	مدرسه القاضي المخرمي	٢٦	مدرسه الوزير ابن هبيره

بغداد

في آخر العهد العباسي

صنعها عماد عبد السلام

باب السلطان

سوق السلطان

دار المسناة الناصرية

المدرسة الشرابية

الجسر الأعلى

سوق السلطان

مسجد الناصر

المدرسة الموفقية

مدرسة الأمير سعادة

القرية

المدرسة التتشية

مشرعة درب دينار

دار القرآن المستنصرية

المدرسة المستنصرية

المدرسة البهائية

رباط شيخ الشيوخ

درب دينار الكبير

قبر العاقولي

درب الخبازين

سوق الكتبيين

نهر

دجلة

قصر التاج

عقد المصطنع

جامع القصر

باب العامة